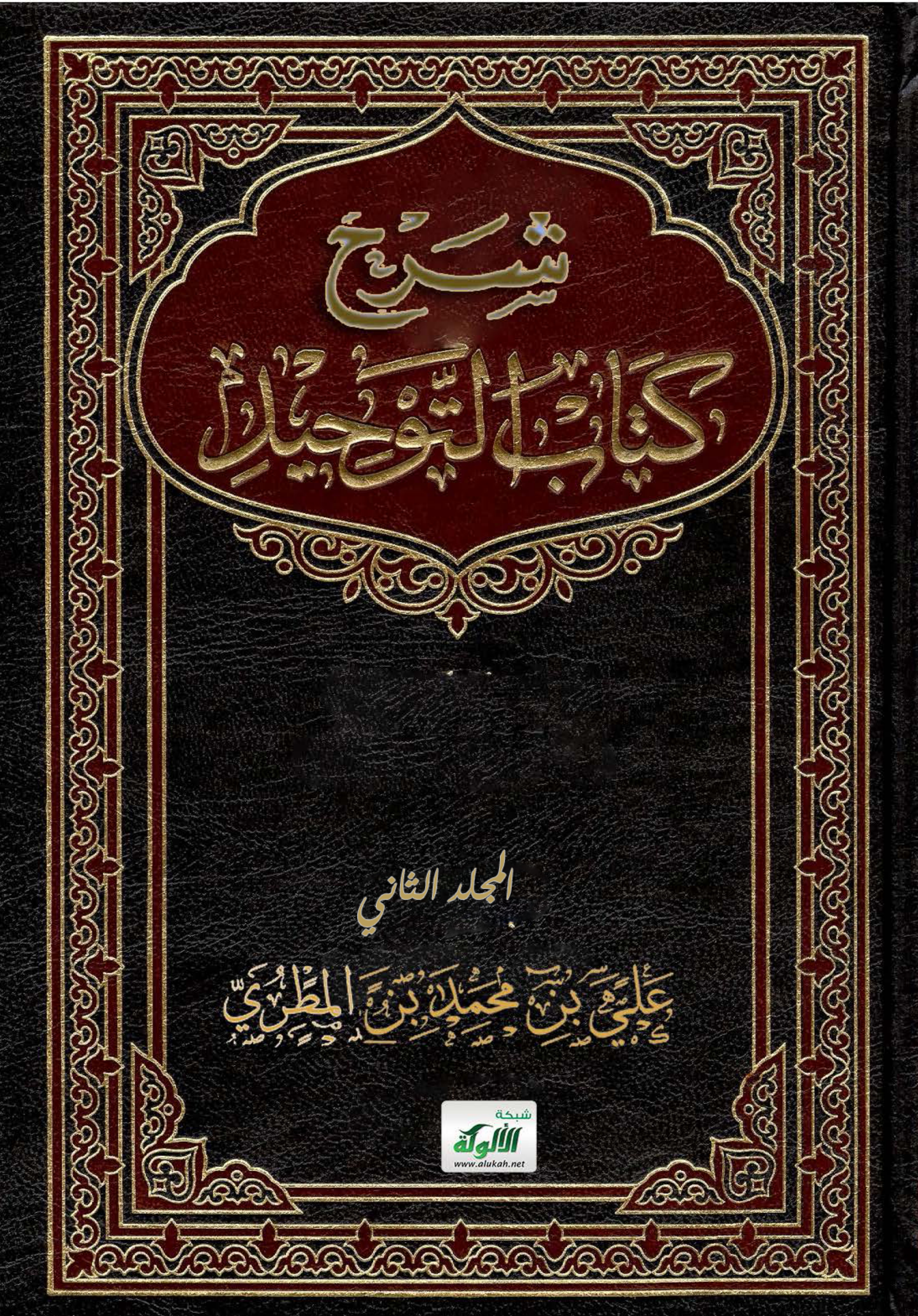

شرح
كتاب التوحيد
المجلد الثاني
علي بن محمد بن المطري
شبكة
الألوكة
www.alukah.net




شرح
كتاب التوحيد
٢





شــرح
كتاب التوحيد

شرحه الشيخ /

أبو الحسن علي بن محمد الأعروقي المطري حفظه الله تعالى.

اعتنى به وخرج أحاديثه /

أبو مالك محمد بن عبد الله الكباري

المجلد الثاني



بسم الله الرّحمن الرّحيم

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب ما جاء في الكهان ونحوهم،

باب لغة: اسم لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء، واصطلاحًا: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وهو دون الكتاب وفوق الفصل، قوله: ما جاء أي ما ورد وما ثبت من الأدلة في الكهان وما شابههم أما من حيث الكَهانة أو الكِهانة فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح الجزء العاشر صفحـ ٢١٦ ـة قال: الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها تقول كاهن كَهانة وكِهانة ومعناها: ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض والأصل هو استراق الجن السمع من الملائكة فيلقي ذلك في أذن سيده وليه فيضيف ذلك كذبات كثيرة إلى هذه الكلمة التي اختطفها الجني من الحق من الملك وهذا كان منتشرًا قبل مبعث النبي ﷺ لكن بعد البعثة منعوا كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع وكانوا قبل المبعث كثيرًا وأما بعد المبعث فإنهم قليل لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من



الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن وليًا لله وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].



روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شيءٍ فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[(١)].



ثم قال الشيخ: روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**» أما لفظة فصدقه ليست في صحيح مسلم هي ثابتة في مسند أحمد وأبي داود بسند صحيح وقوله: «**من أتى عرافًا**» العراف هو الكاهن وهو الذي يخبر الناس بمواضع الضائعة الضالة بأخبار قد يصدق وقد يكذب فيها وكذبهم أكثر من صدقهم وتأمل فقد رتب النبي ﷺ على هذا المجيء ضررًا كثيرًا بمجرد المجيء والسؤال بقوله: «**لم تقبل له صلاة أربعون يومًا**» وهذه عقوبة قال علماؤنا: وليس المراد بذلك أنه يعيد هذه الصلاة فمن حيث الفرض سقط عنه لكن لا أجر له في ذلك أربعين يومًا وقوله ﷺ: «**لم تقبل له صلاة**» صلاة نكرة في سياق النفي تفيد العموم نفل أو فرض أي صلاة لا

---

(١) مسلم (٢٢٣٠).



يقبلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهذه المعصية والكبيرة حينما جاء إلى ذلك يسأله.



وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه أبو داود[(١)].



وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» هذا حديث أبي هريرة في سنن أبي داود فتأمل في الحديث الأول بمجرد المجيء لقصد السؤال لم تقبل له صلاة أربعين يومًا وإذا جاءه وسأله عن شيء فصدقه يكون قد كفر بما أنزل على محمد والذي أنزل على محمد هو القرآن الكريم والسنة المطهرة هذا قضاء قضى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن يفرق بين من جاء إلى الكاهن ليسأله سؤالًا يقصد من وراء ذلك الاختبار أو بيان كذب هذا الكاهن يبين كذبه وافتراءه على الله وعلى المسلمين فقد ذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ابن صياد وكان كاهنًا فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني اختبأت لك شيئًا فما هو؟**» قال: هو الدخ. فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**اخسأ فلن تعلو قدرك**»[(٢)] وهكذا فيما مضى كان العلماء يذهبون إلى الكهنة يسألونهم بقصد الإختبار وإظهار العجز وفضحهم أمام العامة لأن هؤلاء إنما يستطيعون أن يدجلوا على الجهال والرعاع ومن لا علم لديهم أما طلبة العلم والعلماء فهم لا ينحون نحوهم لأنهم يعرفون أنهم لا يمكن أن يصدقوا مثل هذا

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٩٠٤) وأحمد (٩٥٣٢) وانظر حديث رقم: ٥٩٤٢ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (١٢٨٩) ومسلم (٢٩٢٤).



الكلام الذي هو تمويه وكذب وتزوير فلذلك يكثر تواجدهم في القرى النائية التي هي خالية عن العلم والعلماء والدعاة إلى الله ﷻ.



وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»(١).

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مثله موقوفًا(٢).



ثم قال: وللأربعة،

والمراد بالأربعة أهل السنن الأربع أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح على شرطيهما ولا يستفاد من هذه اللفظة تصحيح فربما قال الحاكم: صحيح على شرطيهما ويكون ضعيفًا لأن الحاكم رحمه الله كان واسع الخطو في شرط الصحيح كما قال ابن الصلاح ومعنى على شرطيهما أي أن رجال البخاري ومسلم هم رجال السند بنفس السياق لكن تعرفون الإمام الحاكم رحمه الله عنده تساهل اعتذروا له أعذار منها أنه عاجلته المنية قبل أن ينقح كتابه ومنها أنه رمي بالتشيع فتعصب فهذه اعتذارات للحاكم رحمه الله وإلا فهو كان عالمًا كبيرًا ومعروف أن كتابه المستدرك أراد أن يلزم الشيخين أعني البخاري ومسلمًا بما لم يلزم لا يلزم على

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٦٣٩) وأحمد (٩٥٣٢) والدارمي (١١٣٦) انظر حديث رقم: ٥٩٣٩ في صحيح الجامع.

(٢) مسند أبي يعلى (٥٤٠٨).

البخاري ومسلم إخراج كل حديث صحيح وجد على ظهر الأرض وإنما ما رأياه صحيحًا والإمام البخاري يقول: تركت من الصحيح خشية يطول كتابه وعبارة نحوها للإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، على أية حال هذا الحديث هو صحيح قال عن النبي ﷺ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ» الحديث - بارك الله فيكم - أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وقد صححه الشيخ الألباني كما في إرواء الغليل وهو شاهد لما قبله.

قال ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.



وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ، أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» رواه البزار بإسناد جيد[١].

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى........» إلى آخره[٢].



وعن عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منا من تطير أو تطير له**» ليس منا أي ليس هذا من فعلنا ومن طريقتنا وفيه وعيد شديد إذا قال النبي ﷺ ليس منا مثلًا «**من غشنا**

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (٣٥٥) والأوسط (٤٨٤٤) والبزار (٣٠٤٤) وانظر حديث رقم: ٥٤٣٥ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٥ / ١١٧) وقال المنذري: إسناده حسن.



فليس منا»[١] فهذا يكون فيه وعيد شديد يدل على أن هذا الأمر كبيرة من كبائر الذنوب قوله: «**من تطير**» أي من فعل الطيرة وهو أن يزجر الطير فإن أيمن تفاءل وإن أشأم أي ذهب جهة الشمال تشاءم سواء فعل هذا بنفسه أو فعل له «**أو تكهن أو تكهن له**» كهانة: ادعاء علم الغيب أو «**سحر أو سحر له**» «**ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**» رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «**ومن أتى.... إلخ**»



قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.



قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمة يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير قال أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شيخ الإسلام معروف بعلمه وبجهاده وقد مات عن ثلاثة وستين

(١) مسلم (١٠١).

عامًا ولم يتزوج رحمه الله كان مشغولًا بالعلم والجهاد ولعله أيضًا كان عنده عدم الرغبة في الزواج وإلا لتزوج ما كان عنده ما يجعله يرغب في النساء ففرغ حياته كلها مشغولًا في العلم والدعوة والجهاد وأيضًا سجن كثيرًا فرحمه الله تعالى رحمة واسعة قال: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.



وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تكهن له.

الرابعة: ذكر من تطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.



وقال ابن عباس في قوم يكتبون آبا جاد وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق أي من نصيب إذا كان تعلم حروف هذه: أبجد هوز حطي



كلمن سعفص إذا كان تعلمها من أجل معرفة الحروف الأبجدية ورسم الكلمات وتعلم الهجائية فلا بأس أما إذا كان من أجل ادعاء علم الغيب وجمع بعض الكلمات والاستفادة منها كذا وكذا كما هي طريقة المنجمين فهذا يكون محرم ويكون هذا من علم التأثير المحرم وهذا مقصد ابن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أما إذا كان لقصد التعليم أو لقصد حفظ تأريخ الوفيات فقد ذكر الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال العثيمين: قوله يكتبون آبا جاد وينظرون في النجوم، الواو هنا ليست عطفًا ولكنها للحال يعني والحال أنهم ينظرون فيربطون ما يكتبون بسير النجوم وحركتها.

قوله: ما أرى من فعل ذلك،

يجوز بفتح الهمزة بمعنى أعلم وبالضم بمعنى أظن.

قوله: آبا جاد،

هي من: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

وتعلم آبا جاد كما مر ينقسم إلى قسمين:

الأول تعلمه مباح بأن نتعلمها لحساب الجمل وما أشبه ذلك فهذا لا بأس به وما زال أناس يستعملونه حتى العلماء يؤرخون بها قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي في تأريخ بناء المسجد الجامع القديم:

جد بالرضا واعط المنى	**من ساعدوا في ذا البناء**
تأريخه حيث انتهى	**قول المنيب اغفر لنا**
والشهر في شوال يا	**رب تقبل سعينا**

فقوله اغفر لنا قال: لو عددناها حسب الجمل صارت: (١٣٦٢هـ) وقد اعتنى بها العلماء في العصور الوسطى حتى في القصائد الفقهية والنحوية وغيرها ويؤرخون بها مواليد العلماء ووفياتهم ولم يرد ابن عباس هذا القسم.

الثاني محرم وهو الذي أراده ابن عباس، الثاني محرم وهو كتابة آبا جاد كتابة مربوطة بسير النجوم وحركاتها وطلوعها وغروبها ينظر في النجوم ليستدل بالموافقة والمخالفة على ما سيحدث في الأرض إما على سبيل العموم كالجدب والمرض والحرب ونحو ذلك أو على سبيل الخصوص كأن يقول لشخص سيحدث مرض أو فقر أو سعادة أو نحس وفي هذا وأشباه ذلك فهم يربطون هذا بهذه وليس هناك علاقة بين حركات النجوم واختلاف الوقائع في الأرض ومن هذه الكهانة: ما تنقله نتيجة فلكي بيت الفقيه تلكم النتيجة التي تحمل ادعاء علم الغيب تحمل الإشراك بالله ﷻ لأنها تدعي علم الغيب كانت تقول قبل عامين وهي تعدد الرؤساء موقف الرئيس الفلاني موقفه زاهر من ضمنهم صدام المهم كلهم مواقفهم زاهرة وحصل - بارك الله فيكم - العكس تمامًا هذه النتيجة لا يجوز بيعها ولا شراؤها ولا قراءتها ولا تصديق ما فيها والواجب على مهدي أمين أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يعلم أن ما يكتبه ويسجله خطر عليه وعلى معتقده وعلى معتقد الشعب اليمني الجاهل الذي يصدق بمثل هذه الخرافات كذلك أيضًا فيما يتعلق بعلم التنجيم صار له الآن جامعات أذكر جامعة في لبنان خاصة بعلم التنجيم علم التأثير هذه جامعة بجميع أقسامها من أجل هذا العلم جامعة أخرى في ليبيا لهذا الهدف ولهذا المقصد أما في غير هاتين الدولتين فجامعات كثيرة في هذا الباب فيما يتعلق بعلم التنجيم والكهانة والسحر والشعوذة وهذا بارك الله فيكم إن حصل فهو بسبب تفريط الدعاة إلى الله وعدم قيامهم بواجب الدعوة إلى

الله ﷻ لا سيما إلى الدين الصحيح والتوحيد الصحيح الذي من أجله بعث نبينا محمد ﷺ وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب ما جاء في النشرة

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ما جاء في النشرة،

أي ما ورد من الأدلة في النشرة والنشرة مأخوذة من النشر نشر بالمناشير والمراد بذلك التفريق لأن المنشار يفك بين الجنب والجنب بين المصراعين يعني تعطيه خشبة يفلقها نصفين وهكذا فالنشرة لغة: مأخوذة من النشر والمراد بالنشر التفريق قال أبو السعادات وهو ابن الأثير الجزري في غريب الحديث قال: النشرة ضرب من العلاج والرقية، وقال ابن الجوزي وتبعه ابن قيم الجوزية أبوه كان قائم على مدرسة تسمى بالجوزية في دمشق، ابن الجوزي عراقي وابن القيم دمشقي وابن الجوزي متقدم وابن القيم متأخر قال ابن الجوزي وكذا ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور.

قال: ما جاء في النشرة، ما قال: حرام أو شرك، المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يحكم على النشرة بشيء **لماذا؟**

لأنه كما تقدم لكم أن النشرة معناها حل السحر عن المسحور وحل السحر أو فك السحر عن المسحور له ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: هي الطريقة المثلى وهي الرقى والتعاويذ الشرعية **لماذا؟**



لأن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] ويقول المولى ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] ويقول سبحانه على وجه العموم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧] والقرآن بالجملة شفاء من الأمراض المعنوية والحسية فهو لإصلاح القلوب والعقول والأبدان وهكذا يضم إلى القرآن المصدر الثاني من التشريع وهو الوحي المنزل على نبينا ﷺ فلقد سحر عليه السلام فكان يرتقي ولما أنزل الله ﷻ عليه سورة الفلق وسورة الناس كان يرقي نفسه بهما: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۞ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۞ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۞ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس] وهكذا سورة الفاتحة فهي أيضًا الراقية والشافية وهي أم القرآن وقد كان الصحابة يرقون بها فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن أبا سعيد الخدري وأصحاب له خرجوا في سرية فنزلوا واديًا من الوديان فسألوا الضيافة من أهل الوادي فأبوا فلدغ سيدهم فقال بعضهم لبعض: انظروا هؤلاء الرهط هل تجدون عندهم من راق فجاءوا إليهم قالوا: إن سيد الحي سليم وكلمة سليم بمعنى لديغ لكنهم يقولون ذلك تفاؤلًا قالوا: نعم ولكن لا نرقي حتى تجعلوا لنا جعلًا فشارطوهم على قطيع من الغنم فقام أبو سعيد رضي الله تعالى عنه واسمه سعد بن مالك بن سنان الخزرجي قام وكان شابًا فقرأ سورة الفاتحة مرات قيل سبع مرات في بعض الروايات قال: فكأنما نشط الرجل من عقال أي أنه كان معقول محبوس فقام من فوره فلما جاءوا إلى النبي ﷺ أخبروه الخبر وقال: **وما يديك أنها رقية؟** فسألوه عن القطيع من الغنم قال: «**كلوها واضربوا لي منها بسهم إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا**

كتاب الله»(١) وهكذا يدخل في ذلك أذكار الصباح والمساء والنوم فإن من تلك الأذكار: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، هذا من التعاويذ وهكذا أيضًا: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وقد كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين:

«**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**» وقال: «**إن أباكم إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق**»(٢) وكذلك أيضًا ما جاء من الإستطباب الذي كان يداوي به النبي ﷺ أصحابه من ذلك قوله ﷺ: «**بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا**»(٣) ورقية جبريل لنبينا ﷺ: «**بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر حاسد إذا حسد**»(٤) أيضًا كان ﷺ إذا شكي إليه شيء من الألم قال: «**ضع يدك على موضع الألم ثم قل ثلاثًا: بسم الله ثم قل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»(٥) وهذا على حسب إيمانك ويقينك فإن كنت مستيقنًا معتقدًا موقنًا بأن الله ﷻ سيجعل لك الشفاء في هذا القرآن فسوف ينزل الشفاء بإذنه ﷻ فقد قال ابن القيم رحمه الله: مكثت في مكة أيامًا لم أجد طبيبًا أتداوى عنده قال: فكنت أقرأ الفاتحة وأرقي بها على جسدي فأجد لذلك تأثيرًا عظيمًا، فهذه كلها رقى وتعاويذ شرعية من القرآن من سنة النبي ﷺ فهي أفضل وأنجح وسيلة لاستخراج السحر وإبطاله كما قال ﷻ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ

(١) البخاري (٢١٥٦).

(٢) البخاري (٣١٩١).

(٣) البخاري (٥٤١٣).

(٤) صحيح: الترمذي (٩٧٢) وابن ماجة (٣٥٢٣) وأحمد (٩٧٥٦) وانظر حديث رقم: ٧٠ في صحيح الجامع.

(٥) مسلم (٢٢٠٢).



ﭐللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ [يونس:٨١] ويقول ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩] ويقول ﷺ: «**اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيع لها البطلة**»(١) ويقول ﷺ: «**البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة تنفر منه الشياطين**»(٢) فمن ابتلي بشيء من المس أو السحر والتخييلات وإمالة عقله أو بعض أهله فيقرأ سورة البقرة ويجعل أيضًا المقرئين عبر الأشرطة يقرءونها باستمرار وهو يقرأ البقرة في صالة بيته وفي الغرف وفي الحجر وفي الأحواش ولا بأس أن يأتي بسطل فيه ماء يقرأ سورة الفاتحة سبع مرات ويضع بعض التعاويذ ويأخذ ذلك الماء يوزعه على الجدران فإن هذا إن شاء الله ﷻ كفيل بإخراج السحر والسحر دخل بإذن من الله وسيخرج بإذن من الله الواحد الأحد هذه هي الطريقة السليمة السديدة الشرعية البعيدة من كل شبهة.

الطريقة الثانية: حل السحر ببعض الطب العربي والتجارب الحاصلة وهذه طريقة لا بأس بها ليس فيها من الشرك لكن بمستوى الطريقة الأولى فالطريقة الثانية هذه يذكر بعض أهل العلم كالحافظ ابن حجر في فتح الباري يذكر أمورًا مجربة في ذلك الزمان قال: من ذلك أن يخرج المسحور فيذهب به يمينًا وشمالًا بين أشجار مغدقة ثم يؤخذ من تلك الأشجار وتدق ويقرأ عليها شيئًا من القرآن الكريم ويغتسل بذلك المسحور.

تجربة ثانية: يقولون يؤتى بفأس ذي حدين ويؤتى بأشجار وأحطاب فيشعلونها تحت ذلك الفأس حتى إذا احمر ثم يؤتى بالمسحور فيبول على هذا الفأس وهو حار فإن هذا مما يذهب بالسحر.

---

(١) مسلم (٨٠٤).

(٢) مسلم (٧٨٠).

ويذكر سماحة الشيخ الوالد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر أنه لا بأس أن تؤخذ سبع أوراق سدر وتدق بين حجرين ثم يغسل ويدلك هذا المسحوق بهذه مع الرقية الشرعية ويكون هذا عن طريق مقرئ ولكن كما قلت لكم: طريقة القرآن والرقى الشرعية والأدعية فهي طريقة أفضل وأسلم لأن المسحور أو أولياء المسحور عندهم اضطرار والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقبل دعاء المضطر كما قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

أما الطريقة الثالثة: فهي الطريقة المحرمة طريقة السحر وهو أن يحل السحر بالسحر ينشر السحر بالسحر هذه طريقة محرمة يفعلها بعض المسلمين اليوم يقولون: لا يخرج السحر إلا ساحر إن كان قولهم: لا يخرج السحر إلا ساحر بمعنى أن يذهب الساحر إلى موضع السحر فيخرجه ثم يبطله هذا لابأس به لكن يخرجه بسحر آخر أو ما يفعله بعض الناس يأتي بالزار وهو عبارة عن مجموعة مطبلين وعندهم جن يطبلون ثم يرسلون جنية تركض هذا المريض فيقوم يركض يطلع وينزل هكذا وبعدين يرتمي ثم بعد ذلك يعاهدون هذا الجني أنه لا يعود طريقة مؤقتة ويمتصون أموال الناس وهكذا فهذه طريقة شيطانية خرافية محرمة لا يجوز هذا العمل إطلاقًا لأنه يخالف أمر الله وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد تقدم لكم أن السحرة إن كان عندهم استعانة بالجن واستخدام للجن فإنهم كفار وسواء كان الساحر يستخدم الجن أو كان عن طريق الأدوية والعقاقير فحده الشرعي أن تضرب عنقه كما صح ذلك عن عمر وعن حفصة بنت عمر وعن جندب الأزدي حينما دخل على رجل ساحر قد قطع رأس شخص والناس ينظرون ثم ركبه في الحال فتقدم جندب الأزدي وضرب عنق هذا الساحر.

عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشيطَانِ»[(١)] رواه أحمد بسند جيد وأبو داود وقال: سئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعود يكره ذلك كله.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ: عن جابر،

وجابر هو ابن عبد الله الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة قال: «**هي من عمل الشيطان**» هذا الذي هو حل السحر بسحر مثله رواه أحمد بسند جيد وهو حديث صحيح حسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأبو داود وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.



وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب، أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه[(٢)].



وفي البخاري عن قتادة هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي ولد أكمه وكان يحفظ قال مرة لطلابه: أنه يحفظ صحيفة جابر كما يحفظ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] قال: قلت لابن المسيب: رجل به طب يعني به سحر هذا سؤال يسأل

(١) صحيح: أبو داود (٣٨٦٨) وأحمد (١٤١٦٧) والحاكم (٨٢٩٢) وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٦٠).
(٢) البخاري (٥ / ٢١٧٥).

قتادة ابن المسيب **رجل به طب؟ أو يؤخذ عن امرأته؟** لا يستطيع الوصول إلى زوجته يعني يعقد يحبس عن الوصول إلى امرأته عن طريق الجن والسحرة **أيحل عنه أو ينشر؟** قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه.

إن كان مراد ابن المسيب ما تقدم أن ذلك يكون بالتعاويذ والرقى الشرعية أو بالتجارب المعروفة فلا بأس أما إن كان يريد به يعني حل السحر بالسحر فلا يتابع ابن المسيب على أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من علماء التابعين ولكن كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ.



وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.



قال: وروي عن الحسن أنه قال: ،، لا يحل السحر إلا ساحر،، إن كان المراد لا يحل السحر عن المسحور إلا ساحر بمعنى يخرج السحر من موضعه فهذا لا بأس به وهو من التعاون على البر والتقوى أما إن كان قصده أن يحل السحر بمثله فكما تقدم لكم أن هذا محرم كما سيذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب تلخيصًا عن ابن القيم رحمة الله على الجميع.



قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.



قال ابن قيم الجوزية: النشرة حل السحر عن المسحور وهو نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز وهذا - بارك الله فيكم - هو الذي عليه أهل السنة سلفًا وخلفًا وهو معتقد المسلمين إلى قيام الساعة وفق الله المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.



باب ما جاء في التطير

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

باب ما جاء في التطير،

فالباب من حيث اللغة: استخدم حقيقة لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء واستخدم معنى: استخدمه المؤلفون في كتبهم ويريدون به: جملة علمية مختصة من الكتاب.

وقوله: ما جاء،

أي ما ورد من أدلة الشرع من أحكام الشريعة في هذا الباب.

في باب التطير،

والتطير لغة: تفعل من تطير يتطير طيرة فأصل اشتقاقه من الطير لأن العرب كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بالطير فيأتون بطير ثم يزجرون هذا الطير فإن طار جهة اليمين تفاءلوا قالوا يمن إذن سافر ابن بيتًا تزوج امرأة اقدم على عمل وإن أشأم أي ذهب جهة الشمال تشاءموا وأحجموا فجعلوا علامة الخير والشر هو كون الطير يهديه الله فتذهب جهة اليمين أو يذهب جهة الشمال فإن أيمن قالوا: يمن وإن أشأم أي جهة الشمال قالوا: شؤم فكان هذا والعياذ بالله يحملهم على الإقدام أو الإحجام فجاء الإسلام وبعث الله محمدًا ﷺ من أجل إزالة هذه أو مثل هذه العقائد الظالمة الجائرة



هذه العقائد التي تفقد العبد حسن توكله على الله سبحانه وتعالى تجعله يعلق خيره أو شره بأمر لا حقيقة له أنه يعلق أمله بشيء لا حقيقة له فجاءنا الله سبحانه وتعالى بهذا الخير وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتوكل فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩] توكل عليه سبحانه وتعالى ولا تلتفت إلى مثل هذه العقائد التي كان عليها أهل الجاهلية فالتطير إذن ينافي التوحيد ومنافاته للتوحيد أن المتطير لم يتوكل على الله ليس متوكلًا على الله وإنما تعلق بأمر لا حقيقة له وكان الواجب عليه أن يعتصم بالله ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

فالزم يديك بأمر الله معتصمًا ... فإنه الركن إن خانتك أركان

۞ ۞ ۞

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].



بعد أن بوب المؤلف هذا الباب قال: وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الآية المباركة في سياق قوله جل وعلا: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١] حكاية عن فرعون وآله أرسل الله موسى عليه السلام وأخاه هارون نبيين كريمين قال: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤] فلما جاء إليه بالهداية والنور والخير كان هذا الرجل إذا أصيبوا بالخصب بالأمطار بالبركات قالوا: هذه نحن نستحقها وهي منا فإن جاءهم شيء من الجدب من القحط مما يتضايقون به ذرعًا ينسبونه إلى موسى وقومه - عياذًا بالله - على أن موسى عليه السلام نبي وأخوه هارون نبي وبنو إسرائيل الذين تابعوا موسى أتباع نبي فموسى جاء

بالخير وجاء بالبركات ولكن هكذا أهل الشر يعكسون الأمر تمامًا وما أشبه الليلة بالبارحة فبعضهم ربما نسب قلة الأرزاق وعدم إنبات الأرض وإنزال الأمطار إلى الصالحين قال: بسبب هؤلاء الصالحين بسبب هؤلاء المطاوعة أو الوهابيين إلى آخره من العبارات القذرة هذه لهجة كانت حاصلة في الأمم المتقدمة فنهى عنها الإسلام وأخبرنا عنها القرآن ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ أي أنهم يعيدون هذا الجدب وهذا القحط وقلة الأرزاق يعيدونه إلى موسى وتواجده فيما بينهم فيقول الله ردًا على هؤلاء: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني هذا الذي حصل لكم ليس بسبب ما قلتم من أنكم نسبتم الشر من جدب وقحط ومصائب إلى موسى وإنما هذا بسبب كفركم وتكذيبكم وذنوبكم ومعاصيكم التي قابلتم بها ربكم ورسول ربكم موسى عليه السلام هذا فيما كان في أمة موسى عليه السلام وتأمل إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦] فكان الإيمان والتقوى سببًا لنزول البركات سببًا من أسباب رغد العيش ولكن هكذا أهل الكفر والعناد دائمًا يعاندون ويجعلون أمورًا مضادة لأمر الله سبحانه وتعالى



وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [يس:١٩].



ثم قال عز وجل حاكيًا عن قرية من القرى أرسل الله عز وجل إليهم رسلًا فكان أهل هذه القرية يتطيرون أي يتشاءمون ويعيدون كل مصيبة إنما هي بسبب جرم وشؤم هؤلاء الصالحين من أنبياء ودعاة إلى الله.



قال المؤلف: وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [يس:١٩] هذه القرية ضرب الله ﷻ فيها مثل وهي آيات ذكرها الله في سورة يس:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [يس:١٣] اضرب يا محمد مثالًا لهؤلاء القرشيين العتاة اضرب لهم مثلًا أصحاب القرية ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٣ - ١٤] ثلاثة رسل أنبياء بعثهم الله إلى هذه القرية ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ [يس: ١٥ - ١٨] أي تشاءمنا بكم ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يس:١٨] قال الله ﷻ ردًا على هؤلاء وأمثالهم: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١] يعني هذا التطير الذي أنتم تنسبوه إلى الرسل إلى أهل الخير والدين والصلاح ليس بصحيح وإنما الجدب والمصائب الحاصلة فيكم إنما هي بسبب ذنوبكم ومعاصيكم: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم:٤١] فالتطير هو التشاؤم بمرئي

ﷺ لأنه يعلم أن الأمر بيد الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كذلك تشاءم وتطير القرشيون بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو ﷺ صاحب الدين والخلق العظيم والكرم الفياض الخير كله جاء به من عند ربه ﷻ لكن تأمل إلى أهل الزور والكذب والفجور والكفر والجحود قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ [النساء:٧٨] إن جاءهم شيء من النعم قالوا هذه من عند الله فإن تغير شيء من هذه النعم ابتلاء واختبارًا يقولون: هذه من عند محمد فيقول الله ﷻ: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء:٧٨].



وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ». أخرجاه[١] زاد مسلم: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ»[٢].



وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا عدوى ولا طيرة**» قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا عدوى**» أي لا عدوى مؤثرة بذاتها على حسب ما كان يعتقده أهل الجاهلية الأولى كانوا يعتقدون أن العدوى تنتقل بذاتها بإرادتها فجاء الإسلام فأبطل هذا المعتقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا عدوى**» أي لا يعدي شيء شيئًا لكن **هل العدوى حاصلة أو ليست بحاصلة؟** العدوى بتقدير من الله الواحد الأحد حاصلة وقد ذهب إلى هذا القول من العلماء المتقدمين البيهقي وابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وابن عثيمين من المتأخرين حتى أن ابن العثيمين يقول: العدوى واقعة حسًا ومعنى، واستدل لوقوعها حسيًا ما هو معروف عندما يخالط الصحيح السليم فإذا به يصاب ما هو في هذا المريض كما قيل:

وما ينفع الجرباء قرب صحيحة ... إليها ولكن الصحيحة تجرب

وأما من حيث المعنى فاستدل بحديث أبي موسى في الصحيحين قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «**مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تجد منه ريحة طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك أو تجد منه رائحة كريهة**»[٣] فإذا كان بهذا المصطلح فالعدوى حاصلة ليست مؤثرة بذاتها ولكن بإرادة من الله الواحد الأحد وأن قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا عدوى**» أي لا عدوى مؤثرة بذاتها حسب ما

---

(١) البخاري (٥٣٨٠) ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) مسلم (٢٢٢٢).

(٣) البخاري (١٩٩٥) ومسلم (٢٦٢٨).



كان يعتقده أهل الجاهلية الأولى والأحاديث التي وردت في أن العدوى مؤثرة بذاتها منها حديث: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»(١) وقد أجاب أهل العلم على هذا الحديث بعدة أجوبة منها أنهم قالوا: أن هذا من باب سدا للذريعة حتى لا تصاب أنت بالجذام فتقول بسبب المخالطة وإلا فالأمر هو بقدر من الله ﷻ وإنما يشهد لما قلنا أن رجلًا قال: يا رسول الله إن البعير أو الصحيح من الإبل يصاب بشيء من الجذام في أنفه فيخالطه الصحيح فيجرب فقال النبي ﷺ: «**فمن الذي أعدى الأول؟**»(٢) أي أن الأول كان بتقدير من الله فهكذا الثاني أيضًا فيكون المعنى حسب ما تقدم لكم: لا عدوى أي لا عدوى مؤثرة بذاتها حسب ما كان يعتقده أهل الجاهلية من قبل.

وقوله: «**لا طيرة**» أيضًا هذا قد تقدم لكم القول فيما يتعلق بأمر التطير لغة وهكذا شرعًا والتطير بمرئي أو مسموع أو معلوم وقد قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: ومنا أناس يتطيرون قال: «**ذلك شيء يجده الإنسان في نفسه فلا يصدنكم**»(٣) فلا ينبغي للشخص أن يتطير بشهر أو بعام من الأعوام أو بيوم من الأيام كما هو حاصل عند بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء يقول: هذا يوم نحس أو هذا يوم سعد أو إذا رأى أصلع أو أعرج تشاءم أو أسود فلا ينبغي لك أن تتشاءم فإن هذه مخلوقات خلقها الله ﷻ فالخلق خلقه والأمر أمره.

وقوله: «**ولا هامة ولا صفر**» قال: أخرجاه أي في الصحيحين، قوله: «**لا هامة**» المراد بالهامة كما قال الفراء: طير من طيور الليل ويقال: أنه البومة هذا الطير إذا حط

---

(١) البخاري (٥٣٨٠).

(٢) البخاري (٥٣٨٧) ومسلم (٢٢٢٠).

(٣) مسلم (٥٣٧).

رحله على متن بيت من البيوت يأتي بشيء من الأصوات المزعجة المرعبة فيقول بعضهم: نعى إلي نفسي هذه البومة نعت إلي نفسي، هذه البومة لا تعلم الغيب ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦] **أهذه البومة تعلم الغيب؟** كلا والله الآجال والأنفاس والأعمار بيد الله ﷻ «**لا هامة**» أي لا حقيقة لها هي أمر خيالي كان يعتقده أهل الجاهلية فجاء الإسلام فأبطله على حد قول القائل:

أما آن للسرداب أن يلد الذي	**كلفتموه بزعمكم ما آن**
فعلى عقولكم العفاء فإنكم	**ثلثتم العنقاء والغيلان**

هذه خيالات وجهالات أبطلها الإسلام ببعثة محمد ﷺ.

قوله: «**ولا صفر**» لأهل العلم تفسيران اثنان في هذا اللفظ:

قال بعضهم: هي حية تكون في بطن الماشية وكذلك في الناس أيضًا كان بعضهم يعتقد أنه يوجد هذا في البطن فإذا حصل كان أعدى من الجرب فيموت مثل السرطان مثل أي شيء اعتقاد.

والقول الصحيح: أن المراد به شهر صفر المعروف الذي يتشاءم به الناس اليوم وذلك أنهم كانوا يحلون المحرم ويحرمون مكانه صفر هكذا كان أهل الجاهلية يفعلون فرد الله ﷻ وأبطل قسمتهم قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة:٣٧].

زاد مسلم: «**ولا نوء ولا غول**» المراد بالنوء أحد الأنواء وهي منازل القمر ثمانية وعشرين منزلة كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة فيقول رسول الله: «**ولا نوء**» أي أنك لا تعلق الخير والشر الخصب والجدب الأمطار وعدمها بالنوء الفلاني لا يجوز.

في العام السادس من الهجرة صلى النبي ﷺ صلاة الفجر على إثر مطر كان من



الليل والحديث في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني وسوف يأتي فقال النبي ﷺ حينما صلى بهم الفجر ثم التفت إلى أصحابه: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**يقول ربكم: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب أو بالكواكب**»[(١)] فالواجب على المسلم أن يعلق الخير والشر والخصب والجدب بأمر الله يعلق ذلك كله بالله ﷻ حتى إرصاد الأمطار الآن بالضغط الجوي أو المنخفض الجوي وإن كانت هذه قد تكون علامة حقيقية أدركوها بحسب التجربة عبارة عن علامات وأمارات فنية أوصلهم إلى ذلك علم التقنية، علم الفلك العلوم التي ركزوا بها على هذا الجانب فتجدهم يقولون: ستكون الرياح شمالية جنوبية أو مثلًا شرقية غربية ستكون هناك سحب على البحر أو ستهطل الأمطار أو كذا منهم من يقول: لا ينبغي أن يفتح هذا الباب لأن فتح هذا الباب مضرة على الجهال الجهال يظن يقول: هؤلاء يعلمون الغيب يقولون إنه سيحصل وفعلًا حصل وهكذا علماء الفلك حينما يعلنون بأنه سيحصل انكساف على الجزيرة العربية أو على قارة كذا وكذا ثم يتحقق هذا ليس من علم الغيب بل هو عبارة عن أمارات وعلامات يدكونها على حسب منازل القمر وجريان الشمس نبه على هذا ابن القيم وقبله ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وهي من أمور كان يعرفها الناس قبل الإسلام فالواجب أن يقال هذا من رحمة الله وهذا من فضل الله ﷻ وأن لا نعلق هذا الأمر بالضغط الجوي أو المنخفض الجوي ونقول للناس هذا حصل بسبب كذا بسبب انخفاض أو ارتفاع إن كانت هذه عبارة عن علامات وأمارات فهو أشبه ما يكون بعلم التسيير لا

---

(١) مسلم (٧١).



بعلم التأثير وذلك أن هذا يعني إن طلع النجم الفلاني من كذا فهو علامة لحصول كذا للزراعة أو لهطول الأمطار لا أنه هو المؤثر بذاته فإن مثل هذه الأمور بيد الله قال النبي ﷺ: «**خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ قول الله** ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان:٣٤]»[(١)] آخر سورة لقمان إلى هنا وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

ثم قال ﷺ: «ولا غول»،

والغول بالضم وجمعه أغوال وغيلان قال أبو السعادات الأثري صاحب النهاية في غريب الحديث: الغول واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس تتلون تلونًا في صور شتى وتغولهم ومعنى تغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفى النبي ﷺ إما أنه لا وجود في الكون لشيء يسمى بالغول «**لاغول**» أي لا وجود له وأنه أمر خرافي سراب لا حقيقة له كما قيل هذا أحد شعراء أهل السنة يرد على الشيعة الذين يعتقدون أن إمامهم المهدي المنتظر الذي هو في سرداب (سامرا) وسيخرج قريبًا يرد عليهم ويقول هؤلاء يعيشون خرافة كخرافة الغيلان فيقول:

أما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلفتموه بزعمكم ما آن
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلان

هذا الوجه الأول: لا غول أي لا وجود للغول وأنه أمر خرافي.

---

(١) البخاري (٤٣٥١) ومسلم (٩، ١٠).



التفسير الثاني: لا غول أي وإن وجدت فهي لا تستطيع أن تؤثر أو أن تضل أو أن توصل السوء إلى أحد من الناس إلا بتقدير من الله ﷻ على حد قوله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**» فهذه قد توجد ولكن لا تأثير لها كما قال سبحانه:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١] وأما ما ورد من حديث: «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان أو فعليكم بالأذان**» فهو حديث ضعيف أخرجه أحمد من حديث جابر والطبراني أيضًا وفي سنده عدي بن الفضل وهو متروك الحديث[١].



ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[٢].



ثم قال المؤلف: ولهما، الضمير يعود على البخاري ومسلم عن أنس، وهو أنس بن مالك أبو حمزة صحابي من أصحاب النبي ﷺ وهو من آخر الصحابة موتًا في البصرة ولما مات أنس بن مالك قال مورق العجلي: مات في هذا اليوم نصف العلم لأنهم كانوا إذا اختلفوا يذهبون إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل؟ قال**: رسول الله ﷺ: **الكلمة الطيبة**» كان ﷺ تعجبه الكلمة الطيبة والاسم الحسن فإنه قد غير من حرب إلى سلم رجل

(١) ضعيف: أحمد (١٤٣١٦) وانظر السلسلة الضعيفة (١١٤٠).

(٢) البخاري (٥٤٢٤) ومسلم (٢٢٢٤).

قال له: «**ما اسمك؟ قال: حرب قال: لا أنت سلم**» وهكذا أيضًا قال لرجل: «**ما اسمك؟ قال: صخر قال: أنت سهل**»(١) ولما جاء سهيل بن عمرو في الحديبية قال النبي ﷺ: «**سهل أمركم**» وكان ﷺ إذا خرج في الصباح فسمع قائلًا يقول: يا نجيح أو يا أفلح استبشر(٢) وكان ﷺ يقول: «**إذا أبردتم إلي فابردوا إلي حسن الصورة حسن الاسم**»(٣) مثل ما يقول العوام اليوم: إذا أرسلت فاستحسن الرسول لأنك ربما ترسل شخصًا لقضاء حاجتك فيذهب يتضارب مع الناس فتقول: يا ليتني لم أرسله، فالفأل: الكلمة الطيبة وكان ﷺ يستبشر بذلك أيما استبشار نزلت منطقة من المناطق استبشرت باسمها أن يكون اسمها مأخوذ من الخير نزلت مثلًا منطقة اسمها مدينة النصر أو المنصورة أو دار البركة أو حبة البركة أو حبة الخير يعني أسماء على هيأتها شيء من البشر فهذا استبشار طيب ولما نزل الحسين بن علي العراق قال: **نحن في أي مكان؟** قالوا: هذه كربلاء قال: كرب وبلاء **فهل هناك ارتباط بين الطيرة والفأل؟**

قد يكون هناك نوع من التقارب إذ أن الفأل يحمل صاحبه على الإقدام والأمور بيد الله لكن الصحيح أن الطيرة تجعل صاحبها يقدم رغم أنفه بعلامة وهمية معتقدًا أن الخير موجود في هذه الوجهة بخلاف الفأل فإنه إنما يستبشر دون أن يجعل ذلك سببًا أو علامة قوية وإنما يأخذ البشرى من هذا الشيء الطيب الذي سمعه مرئي أو مسموع أو معلوم.

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن قائلًا: «**قوله: «ويعجبني الفأل**» قال أبو

---

(١) البخاري (٥٨٣٦).

(٢) صحيح: الترمذي (١٦١٦) والطبراني في الأوسط (٤١٨١) وفي الصغير (٥٤٩) وانظر حديث رقم: ٤٩٧٨ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح: مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٧٠) وانظر حديث رقم: ٢٥٩ في صحيح الجامع.



السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر ويقال تفاءلت بكذا أو تفاولت على التحقيق والقلب وقد أولع الناس في ترك الهمزة تخفيفًا وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، والتفاؤل أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول: يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته ومنه الحديث: «**قيل: يا رسول الله ما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة**» بين ﷺ أن الفأل يعجبه فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك بل ذلك إبانة من مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها كما أخبرهم ﷺ أنه حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكان يحب الحلوى والعسل ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك فإذا قرعت هذه الأسماء استبشرت بها النفوس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفًا وطيرة وانكماشًا وانقباضًا عما قصدت له وعزمت عليه فأورثت لها ضررًا في الدنيا ونقصًا في الإيمان وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق والتفاؤل حسن ظن به والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.**

أذكر من المحدثين شعبة بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كان له ولد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سميته سعدًا ليسعد فما فلح ولا سعد قال: أرسلته إلى مؤدبه ومعلمه فأخبرته أنه يذهب يطير الحمام كناية على أنه يلعب وهكذا بارك الله فيكم مرت بي عبارات كثيرة للعلماء أنه قد يتفاءل بشيء سمعه ولو سماعًا غير مباشر يتفاءل بالأمر الطيب وعلى أية حال فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي أو عند حسن ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًا فله»[(١)] فأنت على حسب ظنك بالله

فــلا تظـــنن بربـــك ظـــن ســـوء فـــإن الله أولـــى بالجميـــل

فإساءة الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ لا تجوز إنما هو من أعمال أهل الكفر والنفاق يظنون بالله عَزَّ وَجَلَّ ظنًا سيئًا أما المؤمن فلا بد أن يكون ظنه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كريمًا وحسنًا في كل وقت قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[(٢)].



ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السيئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[(٣)].



(١) صحيح: ابن حبان (٦٣٩) والطبراني في الكبير (٢٠٩) والأوسط (٤٠١) وانظر حديث رقم: ٤٣١٥ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (٢٨٧٧).

(٣) ضعيف: أبو داود (٣٩١٩) انظر حديث رقم: ١٩٩ في ضعيف الجامع.



ثم قال المؤلف: ولأبي داود،

وهو سليمان بن أشعث السجستاني صاحب السنن.

بسند صحيح عند المؤلف عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك**» الحديث الصحيح أنه ضعيف في سنده حبيب بن أبي ثابت وكان كثير الإرسال وليس عن عقبة بن عامر وإنما هو عن عروة بن عامر واختلفوا في صحبة هذا الرجل الذي هو عروة بن عامر.



وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «الطِّيَرَةُ شركٌ، الطِّيَرَةُ شركٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ﷺ[1].



وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعا: «**الطيرة شرك وما منا إلا... ولكن الله يذهبه بالتوكل**» رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود يعني جعله موقوفًا هذا الحديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة في كتاب الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٢٩).

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٩١٠) وابن ماجة (٣٥٣٨) والترمذي (١٦١٤) وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٤٢٩).

ولأحمد من حديث ابن عمرو ﵁: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشرَكَ»، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»(١).



ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**» هذا الحديث رواه أحمد وفي سنده ابن لهيعة عبد الله بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري سكن مصر احترقت كتبه فاختلط فبعض أهل العلم يضعف هذا الحديث باعتبار أنه كان بعد الإختلاط وبعضهم يصححه باعتبار أنه حدث به قبل أن يختلط أي قبل أن تحترق كتبه فالله أعلم فالعلماء فيه ما بين مصحح ومضعف.



ولە من حديث الفضل بن عباس ﵄: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»(٢).



قال: وله من حديث الفضل بن عباس ﵄: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**» وهذا أيضًا نفس التفصيل الذي سمعتموه في الحديث الأول: «**اللهم لا خير إلا خيرك...**» الحديث.



---

(١) صحيح: أحمد (٧٠٤٥) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٦٥).

(٢) صحيح: أحمد (١٨٢٤) وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده ضعيف.

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١] مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس:١٩].

الثانية: نفي العدوى. الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة. الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.



قال المؤلف: فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] وقد تقدم قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس:١٩] تقدم أيضًا شرحه.

الثانية: نفي العدوى أي العدوى المؤثرة بذاتها.

الثالثة: نفي الطيرة أي أن التشاؤم بالطير لا يجلب نفعًا ولا يدفع ضرًا.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل وهو الكلمة الطيبة.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل يعني وإن حصل شيء من هذا فتوكل على الله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

التاسعة: ذكر ما يقول من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة استند إلى أثر الفضل «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**» يعني إذا وجد شيء في قلبك فما أعرته اهتمامًا فلا تكن قد تطيرت لكن قد يوجد شيء منه في النفس فلا تلفت إليه بل امض

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ... فإن فساد الرأي أن تترددا

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب ما جاء في التنجيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في التنجيم

ما جاء أي: ما ورد وما ثبت من الأدلة في هذا الباب في باب التنجيم، معنى التنجيم أي تعلم علم النجوم معرفة النجوم هو قال: ما جاء في التنجيم عمومًا بغض النظر عن التفصيل والتقسيم في ذلك أي: ما ورد وما ثبت من الأدلة في هذا الباب وعلم النجوم على قسمين: علم تأثير وعلم تسيير،

أما علم التسيير: فهذا لا خلاف في شرعيته وفي جواز تعلمه وإنما الخلاف في تعلم علم التأثير فكثير من السلف حرموا تعلم التنجيم عمومًا كما سوف يأتي سدًا للذريعة أما إذا كان بهذا التفصيل أن علم التسيير يتعلم لأنه يراد من ورائه معرفة فصول السنة والأبراج اثنا عشر برجًا ومنازل القمر ثمانية وعشرين منزلة وأنها تنزل على فصول السنة يعرف من خلالها الحر والبرد فلا بأس بذلك كما ذكره كثير من العلماء المحققين رحمهم الله.



قال البخاري رحه الله في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك



أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به[١]. انتهى.



روى البخاري في صحيحه عن قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «**خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدى بها**» هذا أثر معلق وهو معلق صحيح بصيغة الجزم وحكم المعلقات إن كانت بصيغة الجزم فغالبها الصحة وإن كانت بصيغة التمريض فغالبها الضعف إن كانت بلفظ: قال وحكى وثبت أو ورد فهذه صيغة جزم أما صيغ التمريض مثل: ذكر ويحكى وقيل ويذكر وقد ألف الإمام ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتابًا في ذلك فسماه «**تغليق التعليق**» أوصل فيه كثيرًا من الآثار المعلقة في صحيح البخاري.

وتعريف الحديث المعلق لغة: من التعليق مأخوذ من تعليق المرأة فلا هي مطلقة ولا متزوجة.

واصطلاحًا: أن يحذف المؤلف شيخه فأكثر فيقول المؤلف: قال ابن عمر قال الزهري قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحكمه عمومًا الضعف لأنه فقد شرطًا من شروط القبول وهو اتصال السند لأنه يشترط في الحديث اتصال السند وعدالة الرواة والضبط وعدم الشذوذ وعدم العلة فهذه شروط اشترطها العلماء المحدثون للرواية حتى يكون الحديث صحيحًا نسبته إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال ابن سيرين وغيره من العلماء أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم وكما قال ابن المبارك: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وذكر الإمام الزهري حديثًا بالسند فقال له ابن

---

(١) البخاري (٣/ ١١٦٨).



عيينة: هاته من غير سند فقال له: **أترقى السطح من غير سلم؟** ويقول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: الإسناد سلاح المؤمن فيروي هذا الإمام العظيم رَحِمَهُ اللَّهُ من فقهه أنه يقول: خلق الله هذه النجوم التي نراها لثلاثة أشياء: إما زينة للسماء وإما رجومًا للشياطين - يجعلها الله عبارة عن شهب يرمي بها الشياطين المردة الذين يحاولون استراق السمع من الحق - وعلامات يهتدى بها كما قال الله: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] قال: فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وكلف ما لا علم له به يعني لو أنه تعدى هذه الثلاث الخصال من أن تكون عقيدته أن هذه النجوم زينة للسماء كما قال ربنا: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك:٥]، ثانيًا: رجومًا للشياطين كما في الآية ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك:٥] أو للاهتداء بها

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] فمن ابتغى غير هذه الثلاث الخصال التي ذكرها القرآن الكريم يكون قد أخطأ وأضاع نصيبه وكلف ما لا علم له به بمعنى أنه أثمَّ لأنه تجاوز ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومراد هذا الإمام الفاضل أعني قتادة بن دعامة رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مراده علم التأثير هكذا ولكن السلف رحمهم الله كانوا يمنعون من الشيء احتياطًا وتورعًا وسدًا للذريعة أما من جاء بهذا التفصيل فالسلف تعرفون هم حملة الشريعة وهم حفاظها وهم نقلتها ولكن حينما كثر السحر والتنجيم كانوا يمنعون هذا الأمر احتياطًا وسدًا للذرائع ورحمة الله على الأندلسي وهو يقول:

إن النجوم على ثلاثة أوجه	**فاسمع مقال الناقد الدهقاني**
بعض النجوم خلقن زينًا للسماء	**كالدر فوق ترائب النسوان**
وكواكب تهدي المسافر في السرى	**ورجوم كل مثابر شيطان.**



وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص فيه ابن عيينه، ذكره حرب عنهما.
ورخص في تعلم المنازل أحمد، وإسحاق.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وكره قتادة وهو الذي تقدم ذكره في السند ومعنى كره الكراهة تطلق في لسان الفقهاء المتأخرين على كراهة التنزيه ولكن عند السلف يعنون بها كراهة التحريم قال: وكره قتادة أي رأى هذا الأمر محرمًا تعلم منازل القمر المنازل التي أخبرناكم عنها أنها ثمانية وعشرين منزلة كرهوا تعلمها قال: ولم يرخص ابن عيينة فيه سفيان بن عيينة أبو محمد الكوفي الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكره حرب عنهما وحرب هو أحد فقهاء الحنابلة ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق إذا كان المراد بذلك علم التأثير.

هنا كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم جهة القبلة فإنه غير داخل فيه فيما نهي عنه وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا أكثر من أن الظل ما دام متناقصًا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء في الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حالة الغيبة عنها فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم وهذا**

يحتاجه المسلم فضلًا عن غيره لأن الأمور تتعلق بفصول السنة وجهة القبلة وهكذا أيضًا بمواقيت الصلاة ثم نبه المحقق على هذا قال: وحقيقة علم الفلك: هو معرفة حركات النجوم والكواكب وتنقلاتها ومنازلها وقد اخترع لمعرفة ذلك آلات حسابية ومنظارات مقربة ومراصد كاملة الأسباب والآلات عرفوا بها شيئًا كثيرًا جدًا من العوالم العلوية حتى أصبحت كأنها على هذه الأرض وكل ذلك لا يصح أن يختلف فيه مطلقًا لأنه كعلم الحساب أما أن ينسب إلى هذه النجوم والكواكب شيئًا من الحوادث على الأرض من موت أو حياة أو حرب أو سلم يكون في المستقبل فهو الذي لا شك في كذبه وأنه ضلال يعني إذا كان المراد بها من أجل الفصول ومعرفة مواسم الزراعة معرفة القبلة معرفة أوقات الصلاة فهذا لا بأس أما إذا كان يستدل بها على موت فلان وحياة فلان من الناس فهذا هو الكذب الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ حينما قال: «من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[(١)] وهنا كلام طيب لشيخ الإسلام محمد الصالح العثيمين رحمه الله أحببت أن أقرأه على مسامعكم نظرًا لنفاسته وأهميته قال الشيخ رحمه الله بعد أن قسم علم النجوم إلى قسمين: علم التأثير وعلم التسيير قال:

وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة بمعنى أنها هي التي تفعل أو تخلق الحوادث والشرور فهذا شرك أكبر لأن من ادعى أن مع الله خالق فهو مشرك شركًا أكبر فهذا جعل المخلوق المسخر خالقًا مسخرًا.

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجة (٣٧٢٦) وأحمد (٢٨٤١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٦) انظر حديث رقم: ٦٠٧٤ في صحيح الجامع.



٢- أن يجعلها سببًا يدعي بها علم الغيب فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا مثل أن يقول هذا الإنسان ستصير حياته شقاء لأنه ولد في النجم الفلاني وهذا حياته ستكون سعيدة لأنه ولد في النجم الفلاني فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥] وهذا من أقوى أنواع الحصر لأنه بالإثبات والنفي فإذا ادعى أحد علم الغيب فقد كذب القرآن.

٣- أن يعتقدها سببًا لحدوث الخير والشر أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم ولا ينسب إلى النجوم شيء إلا بعد وقوعه فهذا شرك فإن قيل ينتقض هذا بما ثبت عن النبي ﷺ بقوله: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده**»[(١)] فمعنى ذلك أنهما علامة إنذار هذا فيما يتعلق بعلم التأثير المحرم.

ننتقل إلى القسم الثاني وهو علم التسيير قسم الشيخ رحمه الله هذا إلى قسمين قال:

١- **الأول**: أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية فهذا مطلوب إذا كان يعين على مصالح دينية واجبة كان واجبًا كما إذا أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل جهة القبلة والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة فهذا فيه فائدة عظيمة.

٢- **ثانيًا**: أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية فهذا لا بأس به وهو نوعان:

النوع الأول: أن يستدل بها على جهات كمعرفة أن النجم القطبي يقع شمالًا

---

(١) البخاري (١٠٠١) ومسلم (٩١١).



والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالًا وهكذا فهذا جائز قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل:١٦].

النوع الثاني: أن يستدل بها على الفصول وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر فهذا كرهه بعض السلف وأباحه آخرون والذين كرهوه قالوا: يخشى إذا قيل طلع النجم الفلاني فهو وقت الشتاء أو الصيف أن بعض العامة يعتقد أنه هو الذي يأتي بالبرد أو بالحر أو بالرياح والصحيح عدم الكراهة مع التبيين لأن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كانوا يحافظون على عقيدة العوام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا لأن غالبية الناس هم عوام لا يفهمون بل بعض العامة ربما اعتقد أن هذه السماء هي الإله ما يميز أن هذه السماء عبارة عن طباق وأجرام جعلها الله ﷻ سقفًا لهذه الأرض وأن الله ﷻ على العرش استوى فربما قالت الأم لابنها أنظر إلى الله أنظر ما أعظم الله وما أوسعه وما أرفعه وهي تعني بذلك السماء التي فوقنا هذا - بارك الله فيكم - ما يتعلق بعلم التسيير وعلم التأثير ثم ذكر الشيخ فائدة أخرى عند كراهية السلف لتعلم منازل القمر قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعلم منازل القمر يحتمل أمرين:

الأول: أن المراد به معرفة منزلة القمر الليلة يكون في الشرطين ويكون في الإكليل قال فالمراد معرفة منازل كل ليلة لأن كل ليلة له منزلة حتى يتم ٢٨ وفي ٢٩ و٣٠ لا يظهر في الغالب.

الثاني: أن المراد به تعلم منازل النجوم أي يخرج النجم الفلاني في اليوم الفلاني وهذه النجوم جعلها الله أوقاتًا للفصول لأنها ٢٨ نجمًا ومنها أربعة عشر يمانية وأربعة عشر شمالية فإذا حلت الشمس في المنازل الشمالية صار الحر وإذا حلت في الجنوبية صار البرد ولذلك كانت من علامة دنو البرد خروج سهيل وهو من النجوم اليمانية

وهذا - بارك الله فيكم - ما نعتقده وندين الله ﷻ به أنه لا مانع من تعلم علم النجوم أعني به علم التسيير الذي هو من أجل المصالح الدينية أو الدنيوية كما ارتضاه أحمد وإسحاق ومن بعدهما شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب والعلماء قاطبة إلى قيام الساعة وأما العلماء الذين منعوا تعلم النجوم مطلقًا فإنما أرادوا بذلك أخذ الحيطة وسدًا للذريعة ومحافظة على عقيدة المسلمين.



وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه[1].

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.



ثم روى المؤلف عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر ومصدق بالسحر وقاطع الرحم**» هذا الحديث ضعفه الشيخ

---

(١) صحيح لغيره: أحمد (١٩٥٨٧) وابن حبان (٥٣٤٦) والحاكم (٧٢٣٤) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٩).



الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة وهكذا في الجامع الضعيف لكنه صح مقطعًا ومفرقًا من غير لفظة «**ومصدق بالسحر**» والمراد بقوله:

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة**» ليس على وجه الحصر وقوله: «**لا يدخلون**» المراد بذلك إن كانوا مستحلين هذه الكبائر فهم لا يدخلون إطلاقًا لأنهم بحكم الكفار

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢] لكن المراد بذلك لا يدخلون الجنة دخولًا أوليًا كما فسر كثير من السلف الصالح هذا الحديث وأمثاله بهذا أنه يحمل على عدم الدخول الأولوي فلا بد أن يحاسب في النار على قدر ما عنده من المعصية ثم يكون مآله إن شاء الله إلى الجنة وقوله: «**مدمن خمر**» جاء حديث أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر**»(١) ومعنى المدمن أي المكثر المداوم على شربه ويقول النبي ﷺ: «**مدمن الخمر كعابد وثن**»(٢) ويقول النبي ﷺ: «**لعن الله الخمرة ولعن شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**»(٣) عشرة من المتعاونين في إيصالها وقبل ذلك القرآن الكريم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٣٣٧٦) وصحيح ابن حبان (٦١٣٧) والطبراني في الكبير (١١١٦٨) وانظر حديث رقم: ٧٦٧٣ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: ابن ماجة (٣٣٧٥) وأحمد (٢٤٥٣) وابن حبان (٥٣٤٧) وانظر حديث رقم: ٥٨٦١ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح: أبو داود (٣٦٧٤) وأحمد (٥٧١٦) والحاكم (٢٢٣٥) وانظر حديث رقم: ٥٠٩١ في صحيح الجامع.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١] ويقول النبي ﷺ: «**الخمرة أم الخبائث**»(١) ويقول: «**من شرب الخمر في الدنيا شرب يوم القيامة من طينة الخبال**»(٢) ويقول النبي ﷺ: «**من شرب الخمر زنا بأمه وعمته وخالته وابنته**» وحد الخمر الإسكار كما في حديث ابن عمر في صحيح مسلم يقول ﷺ: «**كل ما أسكر خمر**»(٣) وسمي خمر لأنه يخامر العقل فلذلك مدح الله ما في الجنة من الخمر ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد:١٥] إن خمر الآخرة لا تزهق ولا تضل العقول ولا تغيرها بخلاف خمر الدنيا كما قال أحمد مطر:

تجعل الديك حمارًا وبياض العين أحمر

وقال آخر:

واترك الخمر لا تشربها كيف يسعى في جنون من عقل

ولما شرب حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أسد الله وأسد رسوله قبل أن يحرم الخمر شرب الخمر فتغير عقله ثم استقام أمام النبي ﷺ وأمام علي بن أبي طالب وقد جذ كثيرًا من الإبل التي كان علي رضي الله عنه قد أعدها لوليمته ثم قال: هل أنتم إلا عبيد لآبائي وأجدادي، وذلك أنه يتكلم من غير شعور فهي حقيقة أم الخبائث نسأل الله عز وجل أن يجنبنا وإياكم منها وهكذا يلحق بها الحشيشة والمخدرات وجميع

---

(١) حسن: النسائي (٥٦٦٦) وابن حبان (٥٣٤٨) والدارقطني (١) وانظر حديث رقم: ٣٣٤٤ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (٢٠٠٢).

(٣) مسلم (٢٠٠٣).



المسكرات حتى القات إن وصل إلى حد الإسكار يأخذ نفس الحكم وهكذا لو أضيف على القات كثير من المرطبات أو من الحبوب الأخرى فخامر العقل فيأخذ نفس الحكم لقوله ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[(١)] وهكذا - بارك الله فيكم - يكون شارب الخمر فاسقًا لأنه خرج عن طاعة الله ﷻ وحده يعني حد الخمر اختلف الصحابة في ذلك فبعضهم من يرى أدنى الحدين أربعين جلدة وبعضهم من يقول: ثمانين جلدة والأمر في هذا راجع إلى اجتهاد الحاكم المسلم فله أن يجلد أربعين وله أن يجلد ثمانين جلدة من شرب الخمر وقوله ﷺ: «**قاطع للرحم**» المراد بالقطع عدم الوصل والرحم هو صاحب القرابة من قبل الأب أو من قبل الأم أما ما كان من جهة الزوجين فلا يقال عنهم أقارب وإنما يقال عنهم أصهارًا والله ﷻ يقول:

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١] وليس الواصل بالمكافئ كونك تصل فتوصل أنت مكافئ لست بواصل لكن الواصل كما قال ﷺ: «**من قطعت رحمه فوصلها**»[(٢)] ويقول النبي ﷺ: «**من أحب أن ينسأ له في أثره وأن يزاد له في رزقه فليصل رحمه**»[(٣)] صح حديث في هذاالباب وهو قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[(٤)] أما قوله: «**مصدق بالسحر**» فالمراد بذلك أنه صدق بما أخبر به المنجم وهو الساحر وفي هذا مصداق لحديث النبي ﷺ:

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٦٨١) والترمذي (١٨٦٥) والنسائي (٥٦٠٧) وانظر حديث رقم: ٥٥٣٠ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٥٦٤٥).

(٣) البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) البخاري (٥٦٣٨) ومسلم (٢٥٥٦).



«من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[(١)] وكما قلت لكم: هذا الحديث ضعفه علماؤنا ولكن صحت لفظة: مدمن الخمر وقاطع الرحم من أدلة أخرى وما يتعلق بأمر السحر تقدم أيضًا في الأبواب التي قبل هذا أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه والله أعلم.



---

(١) صحيح: أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجة (٣٧٢٦) وأحمد (٢٨٤١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٦) انظر حديث رقم: ٦٠٧٤ في صحيح الجامع.



باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

الاستسقاء: طلب السقيا مثل الاستغفار طلب المغفرة إذا قال المسلم أستغفر الله بمعنى أطلب المغفرة منك يا ألله والاستعانة طلب المعونة والاستعاذة طلب العوذ والاستهداء طلب الهداية وهكذا.

وقوله: بالأنواء المراد بالأنواء النجوم كما جاء في صحيح البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني قال: هذا الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «**صلى بنا النبي ﷺ زمن الحديبية صلاة الصبح على إثر سماء كان من الليل فلما انصرف استقبلنا بوجهه**» وقد استفاد العلماء من هذا مشروعية استقبال الإمام المصلين بوجهه، والشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ علق على هذا الحديث في الجزء الثاني من فتح الباري قال: بعد أن يقول أستغفر الله أستغفر الله أستغفر اللهً الله أكبرالله أكبرالله أكبرً اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام وغلبة الظن أنه ذكر فقط الاستغفار واللهم أنت السلام ومنك السلام قال: ثم يتحول ليستقبل المصلين فلما استقبل النبي ﷺ المصلين قال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» واستفاد علماء العقيدة من هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا:**

الله ورسوله أعلم قال: يقول الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب وفي رواية بالكواكب ومن قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب أو بالكواكب»(١) فهذا معنى الاستسقاء بالأنواء وهو أن يطلب السقيا من النجوم وقد قسم العلماء الاستسقاء بالأنواء إلى قسمين اثنين:

القسم الأول: أن يطلب المسلم السقيا من النجم الفلاني أو من الكوكب الفلاني هكذا يطلبه من النجم من المريخ من زحل من عطارد أي نجم يطلب منه السقيا مباشرة فهذا شرك أكبر مخرج من الملة كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] أي من المشركين فهذا شرك أكبر مخرج من الملة هذا القسم الأول من قسمي الاستسقاء بالنجوم.

القسم الثاني: إذا اعتقد المسلم أن تواجد هذه النجوم أو نجمًا معينًا سبب نزول المطر وهطوله فهذا شرك أصغر غير مخرج من الملة هذا في حالة أنه يعتقد هذا السبب والمطر أنزله الله وأغاثنا الله به ولكن السبب تواجد النجم الفلاني الشرقي الغربي اليماني **لماذا؟**

لأن هذا سبب غير شرعي ليس هذا سبب شرعيًا وكل سبب ليس شرعيًا فيضيف الإنسان الخير والشر له فيقول علماؤنا رحمهم الله: أن هذا يفضي بصاحبه إلى الشرك الأصغر وصاحبه على خطر والواجب أن يطلب السقيا من الله كما قال ربنا:

---

(١) البخاري (٩٩١) ومسلم (٧١).



﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٣] وجاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان على المنبر يوم الجمعة دخل أعرابي والحديث في البخاري من حديث أنس قال: يا رسول الله انقطعت السبل وهلكت الأنعام فادعو الله أن يغيثنا فرفع النبي ﷺ يديه وقال:

«**اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا**» قال أنس: فرأينا في السماء قزعة مثل الترس فلما توسطت على جبل سلع وهو جبل خارج المدينة ثم انتشرت فما رأينا الشمس سبتًا أسبوعًا كاملًا وهم يمطرون وإذا بالنبي ﷺ يبتسم ويقول: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ثم دخل أعرابي قيل: هو وقيل غيره فقال: يا رسول الله هلكت السبل انقطعت الطرق ادعوا الله أن يمسكها عنا فرفع النبي ﷺ يديه وقال:** «**اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والضراب ومنابت الشجر**» قال أنس بن مالك: فخرجنا نمشي في الشمس[(١)] فكان نبينا ﷺ إنما يسأل السقيا من الله سبحانه وتعالى مباشرة قال جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى:٢٨] ويقول الله سبحانه وتعالى وهذا دليل خاص في الباب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤] قلت: هذا شاهد لهذا الباب لأن طلوع النجم ظهور النجم غروب النجم لا يكون سببًا ليس المسبب هذا النجم فالله هو الذي إذا شاء كان وإذا لم يشأ لم يكن.



(١) البخاري (٨٩١) ومسلم (٨٩٧).



وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].



قال: وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ ومعنى تجعلون أي تصيرون كما قال سبحانه: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ [الفيل: ٥] أي فصيرهم ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ المراد بالرزق قيل: المطر وقيل: العطاء التام الشامل يدخل في ذلك العلم والفقه والأعطيات الحسية والمعنوية ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ في قول ربنا سبحانه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم في الضياء المختار عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا(١) وهذا أولى ما فسرت به الآية وروي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخرساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه الاستدلال للمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بالآية.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون وقد خسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب(٢).



---

(١) ضعيف: الترمذي (٣٢٩٥) وأحمد (٦٧٧) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

(٢) انظر شفاء العليل (٤٢).



وعن أبي مالك الأشعري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ على الميت» وقال: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سربَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رواه مسلم(١).



قال: وعن أبي مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن**» أضاف النبي ﷺ هذه الخصال إلى الجاهلية لغرض التقبيح والتنفير مثل قولته لأبي ذر: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»(٢) وقوله: «**في أمتي**» أي في أمة الإجابة لأن أمة النبي ﷺ على قسمين أمة الدعوة وهم اليهود والنصارى وأمة الإجابة وهم كل من آمن به منذ أن بعثه الله إلى قيام الساعة والمراد بالجاهلية هي الحالة التي بعث النبي ﷺ والناس عليها ولا ينبغي لشخص أن يقول عن حالته قبل أن يستقيم على طاعة الله في الجاهلية لما كنت في الجاهلية كذا لأن الجاهلية قد أزيلت ببعثة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن قال قائل: إن عنى الشخص ما يحصل من الزنا ومثلًا المنكرات خمور شركيات وكذا نقول: فيها معنى الجاهلية لكن المراد بالجاهلية المعرفة بالألف واللام هي الجاهلية التي كانت قبل الإسلام قبل أن يبعث محمد ﷺ ثم بين ﵊ هذه الأربعة الخصال:

١- «**الفخر بالأحساب**» والمراد بالفخر التعاظم والتعالي والمراد بالأحساب ما يحتسبه الإنسان من شرف وسؤدد هذه نعرات عنصرية جاهلية أنا من بني فلان هذه

(١) مسلم (٩٣٤).

(٢) البخاري (٥٧٠٣) ومسلم (١٦٦١).

أمور قضى عليها الإسلام وصار الإسلام هو النسب الشريف فمن انتسب إلى الدين والأخلاق والإسلام فقد غطى دينه على كل قبيح فيه

أبـي الإسـلام لا أب لـي سـواه إذا افتخـروا بقـيس أو تمـيم

وتعرفون كيف صار حال بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي في أعلى الرتب وأبو جهل وأبو لهب بل أبو طالب في حضيض الكفر

لعمـرك مـا الإنسـان إلا ابـن دينـه فـلا تترك التقوى اتكـالًا على النسب

فقـد رفـع الإسـلام سـلمان فـارس وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

وجاء في مسند أحمد أنه انتسب رجلان فقال الأول: أنا فلان بن فلان بن فلان وعد تسعة من الناس ثم قال للآخر: فمن أنت لا أم لك؟ فخر وتعالي وتعاظم فقال الثاني: أنا فلان بن فلان بن الإسلام فأوحى الله إلى موسى أن يخبر ذينك المنتسبين أما الأول فإنك انتسبت إلى تسعة أنت عاشرهم إلى النار وأما الثاني انتسبت إلى ثلاثة فأنت رابعهم في الجنة فما أحسن النسبة إلى الدين

كـن ابـن مـن شـئت واكتسـب أدبًـا يغنيـك محمـوده عـن النسـب

وقد اختلف علماؤنا في إمامة ابن الزنا إن صلح حاله واستقامت أموره وكان على التزام قالوا: فما عيبه؟ العيب عيب الأبوين أبيه وأمه فأقر كثير منهم إمامته الصغرى والكبرى يعني أن يكون إمامًا للمسلمين في الصلاة وأن يكون إمامًا في الحكم وليس في ذلك مطعن فيه إطلاقًا.

٢- «**والطعن في الأنساب**» والمراد بالطعن العيب والمراد بالأنساب النسب أصل الإنسان كما قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء:١] والنبي ﷺ



يقول: «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[١] فالمراد بالأنساب أن يعني نسبتي كذا وإلى كذا فيحاول أن يرفع من شأن هذه النسبة التي هو منها مثلا يمني مكاوي فيحاول كل شخص يطعن في نسب الآخر أنت كذا وما أنت إلا كذا فهذا لا يجوز إطلاقًا هذا من العيب وهو حاصل وهو أمر محرم حرمه نبينا ﷺ والله ﷻ يقول:

﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ﴾ [الحجرات:١١].

٣- «**والاستسقاء بالنجوم**» وقد تقدم.

٤- «**والنياحة على الميت**»: المراد به رفع الصوت بالندب على الميت ويكون مصحوبًا بالتسخط على قدر الله كما يقول بعض المصريين إذا نزلت به مصيبة: **ليش كدا يا رب؟ ليش كدا يا رب؟ ليش كدا يا رب؟** وبعض اليمنيين يقول: ما معك إلا أنا جالس أستغفر الله العظيم وأتوب إليه لا يجوز هذا بل بعضهم يقول: فلان معه عشرة ما حصلتني إلا أنا هذا لا يجوز يقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]

ويقول النبي ﷺ: «**من أصيب بمصيبة ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي هذه واخلف لي خيرًا منها إلا أخلفه الله خيرًا منها**»[٢] هذا الحديث عن أبي سلمة وأبو سلمة من السابقين الأول طبقته أم سلمة لما مات أبو سلمة ثم قالت: **من أين لي خيرًا من أبي سلمة؟** هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة من أقدم الصحابة هجرة وإسلامًا قالت: فقلته فعوضني الله خيرًا من أبي سلمة رسول الله ﷺ ولا بأس أن يكون الألم في القلب فإن هذا شيء أراده الله ﷻ لا يكون الحال كحال بعض

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) مسلم (٩١٨).

الصالحين مات ابنه فقام يضحك فقيل له: لماذا؟ قال: أريد أن أوافق قدر الله قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: اجتمعت في قلب هذا الوفاق للقدر واجتمع في قلب النبي ﷺ موافقة القدر والرحمة على البشر أو كلامًا قريبًا من هذا فإن النبي ﷺ لما رفع ابن إحدى بناته قال: ونفس الصبي تقعقع كأنها في شن فإذا بالنبي ﷺ يبكي وتنحدر الدموع من عينيه قال له سعد بن عبادة: ما هذا؟ قال: «**هذه رحمة أودعها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(١) فلا بأس أن تبكي وقد بكى النبي ﷺ وهو القائل: «**العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٢) فلا بأس ولكن من غير تسخط ثم هناك عادات وتقاليد في كثير من المناطق اليمنية وقد رأيت بعضها يستأجرون نائحة تنوح يستأجرونها بألف بألفي ريال تأتي هذه فتنوح وتندب الميت، من لنا بعدك واعضداه واجبلاه وتأتي بصوت أعوذ بالله صوت مخيف جدًا وهي في البيت ثم ما نذهب بالجنازة إلى المقبرة إلا وقد سبقت إلى هناك من أين جاءت؟ الله أعلم كيف عملت الطريق؟ وهي هناك بمجرد ما ترى الجنازة وإذا بها تأتي بذلك الموال صوتها الموال الرفيع فيقول النبي ﷺ: «**والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» رواه مسلم نسأل الله السلامة والعافية.

قال هنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن: قوله: «**والنائحة إذا لم تتب قبل موتها**» فيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب وإن عظم هذا مجمع عليه في الجملة ويكفر أيضًا بالحسنة الماحية والمصائب ودعاء المسلمين بعضهم لبعض وبالشفاعة بإذن الله

---

(١) البخاري (١٢٢٤) ومسلم (٩٢٣).

(٢) البخاري (١٢٤١) ومسلم (٢٣١٥).



وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك به شيئًا ثم ذكر حديثًا آخر إلى أن قال: قوله:

«**تقام يوم القيامة**» قال القرطبي: السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص يعني أنهن يلطخن بالقطران فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم والقطران يساعد على انتشار النار يعني هو بمثابة مادة الإزفلت هذه لو أن شخص أخذ قليلًا من الإزفلت الآن ووضعه في يده ثم أشعل يكون الاشتعال أعظم من لو لم يكن هذا الإزفلت موجودًا من أجل زيادة التعذيب نسأل الله السلامة والعافية.

قال: فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وآلامهن بسبب الجرب أشد لا يكتفى بالقطران على الجلود الذي هو يزداد انتشارًا بل تكون هذه الجلود فيها نوع من الأمراض وهو مرض الجرب الذي يشقق الجسد فتأمل لو التقى نار على موضع في جسدك فيه جرح فإن الألم يكون أشد فكيف إذا كان فيه قطران وهي مادة تساعد في الاشتعال نسأل الله السلامة والعافية وهذا دليل على أن هذه من الكبائر العظمى كيف لا والنبي ﷺ قد قال: هي من أمور الجاهلية.



ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»(١).

(١) مسلم (٧١).

قال: ولهما أي للبخاري ومسلم عن زيد بن خالد ﵁ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية وهذا كان في العام السادس من الهجرة حينما منع النبي ﷺ من دخول الكعبة والآن يسمى هذا الموضع بالشميسي وهو بالقرب من مكة إلى الآن معروف فبعضه من الحل وبعضه من الحرم قال: على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال:

«هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»



ولهما من حديث ابن عباس ﵄ بمعناه وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ...﴾ [الواقعة:٧٥] إلى قوله: ﴿...أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢][١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

---

(١) مسلم (٧٣).



الخامسة: قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»[(١)] بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: «لقد صدق نوء كذا وكذا»[(٢)].

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟»[(٣)].

العاشرة: وعيد النائحة.



ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا وهذا تفسير لما تقدم فأنزل الله هذه الآيات ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ وقد تقدم شرح هذه الآية في بداية الدرس إلى هنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.



(١) مسلم (٧١).

(٢) مسلم (٧٣).

(٣) مسلم (٧١).



باب قول الله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]

يقول المؤلف رحمه الله:

باب قول الله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ من هذه تبعيضية والمراد بذلك المشركون فإنهم هم الذين يتخذون أندادًا يحبونهم كحب الله أو أشد أما المؤمنون فإنهم يحبون الله سبحانه وتعالى ويكفرون بالأنداد والأصنام كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٧] وفي الآية نفسها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥] وقوله: ﴿أَندَادًا﴾ المراد بالأنداد الأشباه، النظراء، العدلاء كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] أي أنهم يساوون الله بأصنامهم وكما حكى الله عن أحد الصديقين قال: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٤ – ٥٦] يقول سبحانه: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٨] هنا موطن الشاهد أي أنهم يسوون الأصنام والأنداد والنظراء بالله سبحانه وتعالى وهذا الباب معقود



في أمر المحبة لأن هذه الآية تدل أن المحبة نوع من أنواع العبادة وذلك أن يكون المؤمن يحب الله بل العبادة مبنية على الحب وفي دروس مضت بينا لكم أنه لا بد للعبادة من خمسة شرائط:

١- **الشرط الأول**: الإخلاص. ٢- **والشرط الثاني**: الإتباع.

٣- **والشرط الثالث**: الخوف. ٤- **الشرط الرابع**: الرجاء.

٥- **والشرط الخامس**: المحبة.

فالعبادة إذا ارتكزت على هذه الخمس الخصال صحت هذه العبادة وإلا كانت العبادة باطلة لذا يقول العلماء: من عبد الله بالمحبة وحدها فهو صوفي فهنا عبادته باطلة لأنه لا بد من الإخلاص ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] ولا بد من الإتباع ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] ولا بد من الخوف والرجاء

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] فالصوفية يقولون: نحن نعبد الله لأننا نحبه لا نعبده طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره - أعوذ بالله - هذا ضلال فلذلك يقدمون الطعم والوجد على طريقة النبي ﷺ بل ينبذون سنة النبي ﷺ بزعم هذه المحبة الباطلة محبة غير صحيحة:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقال آخر:

يا مدعي حب طه لا تخالفه ... الخلف يحرم في دنيا المحبين

فهؤلاء الصوفية هذا هو ديدنهم ولما قرأ قارئ منهم الآية من سورة آل عمران:

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢] طعنوا في أصحاب النبي ﷺ وقالوا: الله لا يحبونه فنحن نحب الله وطعنوا في أفضل البشر بعد نبينا محمد ﷺ.

قال العلماء: ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي الخوارج مبدأهم ومعتقدهم ضلال إذ أنهم يكفرون المسلمين بمطلق المعاصي عندهم غلو ودين الإسلام وسط بين الغلو والجفاء.

ومن عبد الله بالرجاء قالوا: فهو مرجئ عنده إرجاء وكان لا بد أن تجتمع في العبادة خمسة أمور فهي كالأساس إخلاص اتباع خوف رجاء محبة لا بد من هذا وإذا صرفت من هذه المحبة شيئًا لغير الله كان ذلك والعياذ بالله من الهوى فلا بد أن تجتمع المحبة التي أساسها لزوم طاعة الله ﷻ لله ﷻ وحده لاشريك له.



وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤].



قال: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].



قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمر الله نبيه ﷺ أن يتوعد من أحب أهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فآثرها أو بعضها على فعل ما أوجب الله عليه من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضاها كالهجرة والجهاد ونحو ذلك.

ونقل الشيخ عبد الرحمن عن ابن كثير قال: وقال العماد بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: أي إن كانت هذه الأشياء الآباء والأبناء الأخوان الزوجات العشيرة الأموال التجارة المساكن قال: أي إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه.

قال: وقد روى الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن عطاء الخرساني عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة - وهي ضرب خفي من أبواب الربا - وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلًا لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم**»(١) قال: فلا بد من إيثار ما أحب الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه ويوالي فيه ويعادي فيه ويتابع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا بد من هذا ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ [التوبة:٢٤] وأحب من أفعل التفضيل ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤] ويذكرون أن من علامة التوفيق أن يؤاثر العبد ما أحبه الله على محابه وهذا شامل في كل شيء فمن أحب مثلا النوم على

(١) صحيح: أبو داود (٣٤٦٢) وسنن البيهقي الكبرى (١٠٤٨٤) انظر حديث رقم: ٤٢٣ في صحيح الجامع.

الصلاة على أمر الله فلينتظر العقوبة قال الله:

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ أي انتظروا ومن أحب مثلا الباطل المنكر أيًا كان نوعه على أمر الله أمر الله بالعدل وأمر الله بالمعروف وأمر الله بالخير وأنت تريد الشر وتدافع عنه هنا أيضًا تنتظر العقوبة فالمقام خطير جد خطير وقد جاء أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا: لو التفتنا فنصلح ما خرب من أرضنا فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] كانت هذه تهلكة مع أنهم ما أرادوا أن يتركوا طاعة الله وإنما قالوا: أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فلو اتجهنا إلى أرضنا فنصلح ما خرب منها على أن هذا شيء مباح فنزلت الآية ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] لو نظرنا اليوم إلى واقع المسلمين شغلتهم وظائفهم تجارتهم نساؤهم أبناؤهم أعمالهم شغلهم الشيطان والهوى والدنيا والمعاصي والذنوب عن طاعة الله ﷻ فالأمر يا إخوان حقيقة يحتاج إلى أن يحاسب العبد نفسه قبل أن يفد على الله ﷻ وأن يتأمل أين هو من هذه الآية المباركة.



عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أخرجاه[١].



ثم روى الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال: عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» قال: أخرجاه.

---

(١) البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).



وقوله: «**لا يؤمن**» هذا نفي لكمال الإيمان وليس لأصل الإيمان ما دام أنه مؤمن لكن ضعيف الإيمان إما إذا كان هذا لا يحب الرسول لا يحب الطاعة فيكون والعياذ بالله نفي لأصل الإيمان فيقول ﷺ: «**حتى أكون أحب إليه**» وشرط المحبة الإتباع قال الحسن البصري: إذا رأيت من يزعم محبة رسول الله فاختبره بقوله سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] فإن كانت المحبة مجردة عن اتباع فهي دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة ولا محل لها من الإعراب،

والـــدعاوي إن لـــم يقيمـــوا عليهـــا بينـــــــات أبناؤهـــــا أدعيـــــــاء

لو أن الولد قال لوالده: أنا أحبك هكذا يكرر من هذا اللفظ فإذا الأب قال لابنه: أفعل كذا قال: لا والله ما أستطيع أي محبة هذه وهكذا لو أن الرجل قال لامرأته: هو يحبها أو العكس قالت له: أنها تحبه وهذا يكثر عند النساء كما قيل: «**إنما يبكي على الحب النساء**» ثم أمر الزوج زوجته فلم تطعه أي محبة هذه على أن المحبة هنا مقيدة يعني بالطاعة كما جاء من حديث عمر في البخاري: «**إنما الطاعة بالمعروف**»(١) لكن إذا كان الآمر هو الله ورسوله ﷺ يعني الله يقول كذا وأنت تقول: لا ورسول الله يقول كذا وأنت تقول: لا هذا حب غير صحيح هذا حب مكذوب فلو كان حبًا صحيحًا لكانت المتابعة حليفة ذلك وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من أعظم الناس محبة للنبي ﷺ وكانت هذه المحبة برهانها طاعة الله ومتابعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر النبي ﷺ أصحابه عدة أوامر فكانوا يأتمرون ويصدرون عن رأيه فلقد طلع النبي ﷺ يومًا خطيبًا على المنبر قبل أن يحرم الذهب وكان لابسًا خاتمًا من ذهب فخلع خاتمه فإذا بالصحابة يخلعون خواتمهم هكذا مباشرة وصلى

---

(١) البخاري (٦٧٢٦) ومسلم (١٨٤٠).

مرة عليه الصلاة والسلام بالنعال والصلاة بالنعال سنة فجاءه جبريل وأخبره أن في نعليه خبثًا فخلع نعله وهو في الصلاة فخلع الصحابة نعالاتهم ولما رأى الصحابة النبي ﷺ يحلق يوم الحديبية بادروا وكادوا أن يقتتلوا على الحلاقة والنحر هذه متابعة للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهكذا أشياء كثيرة ربما خالفوا ما تهواه نفوسهم طمعًا في مرضاة الله تبارك وتعالى روى البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله تعالى عنها أعتقت بريرة وكانت أمة بيضاء وزوجها مغيث عبدًا أسود وهذا كما يقول العلماء: وصف طردي أي لا يأتي بالحكم فرأى النبي ﷺ مغيث يمشي في شوارع المدينة ويذكر شريكة حياته وزوجته لكن هو عبد وهي قد حررت وإذا عتقت الأمة وهي تحت عبد فهي بالخيار تبقى تحته أو تخرج من عصمته فخرجت من عصمته وكانت قد أعتقتها عائشة دخل النبي ﷺ على بريرة وقد رق لمغيث فقال النبي ﷺ لبريرة:

«**هل لك في مغيث؟**» فقالت له: **تأمر؟** قال لها: «**لا**» فهنا وقفة بين قوسين في كلمة تأمر أي لو كان يأمر لما كان لها الخيار ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الأحزاب:٣٦] أمرًا: أي أمر نكرة في سياق النفي يفيد العموم ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] لا اختيار ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فقال النبي ﷺ لبريرة: «**هل لك في مغيث؟**» قالت: **أتأمر؟** قال:

«**لا ولكن أشفع**» قالت: لا حاجة لي به[1] فتركها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقائع كثيرة جدًا يأمر النبي ﷺ فيطاع أمره هذه هي المحبة الصادقة المراد بها متابعة النبي ﷺ الإئتمار بأمره والانتهاء عن نهيه والوقوف عند رغبته ﷺ فإنه

(١) البخاري (٤٩٧٩).



المبعوث رحمة للعالمين لذا يقول الناظم ولله دره:

دعـوا كـل قـول عنـد قـول محمـد فمـــا آمـــن في دينـــه كمخـــاطر

ويقول الإمام الزهري: كان فيما سلف يكتب بعضهم لبعض: أما بعد فإن الاستمساك بالسنة نجاة، وقال مالك بن أنس: السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، لا يجوز للشخص أن يبتدع ولا أن يكثر الآراء ضاربًا بسنة النبي ﷺ عرض الحائط وإن كان عنده من العلم ما عنده فإن أمر النبي ﷺ هو المقدم على كل حال ولا داعي للتعصب المذهبي أو الطائفي أو الطابع الحزبي من أجل إرضاء الجماعة الفلانية التي أنت فيها وترضي شخصًا وتبغض شخصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو الذي يقوم عند حوضه يوم القيامة فيقول: «**سحقًا سحقًا لمن غير بعدي**»[(١)] فمن جعل النبي ﷺ هنا قدوة وقيادة نفعه هناك يوم أن يقول الله: «**يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع**»[(٢)] فمن ذكره هنا ذكره النبي ﷺ هناك ونفعته شفاعة النبي ﷺ في عرصات القيامة فما أحوجنا يا طلبة العلم بل ما أحوج الأمة المحمدية كلها أن تعرف قدر نبيها محمد ﷺ،

بشـــرى لنـــا معشـــر الإســـلام أن لنـــا مـــن العنايـــة ركنًـــا غيـــر منهـــدم

لمـــا دعـــا الله داعينـــا لطاعـــته بـــأكرم الرســـل كنـــا أكـــرم الأمـــم.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٦٢١٢).

(٢) البخاري (٣١٦٢) ومسلم (١٩٣).

ولهما عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

وفي رواية: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ حَتَّى...» إلى آخره(٢).



قال: ولهما أي للبخاري ومسلم عنه أي عن الصحابي الذي ذكر في الحديث الأول قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**» والمراد بهذه الحلاوة حلاوة حسية لا كما يقوله البعض: حلاوة معنوية حلاوة حسية أي تجد لذة الطاعة فقد كان بعض الصالحين يدعو الله في صلاة الليل ويقول: **اللهم إني قد رضيت عنك فمتى ترضى عني؟** عملًا بحديث العباس عند مسلم قال النبي ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا**»(٣) وتعرفون الحديث الذي يقول النبي ﷺ فيه: «**من أصبح وقال: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا قال: كان حقًا على الله أن آخذ بيده حتى أدخله الجنة بيدي**»(٤) أو كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبين ﷺ أن هذه الثلاث الخصال من وجدت فيه وجد بهن حلاوة الإيمان **ما هي؟**

---

(١) البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

(٢) البخاري (٥٦٩٤).

(٣) مسلم (٣٤).

(٤) الترمذي (٣٣٨٩) وابن ماجة (٣٨٧٠) وأحمد (١٨٩٨٨).

الأولى: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» من الأمور التي تقدمت في الآية وهي قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ...﴾ الآية [التوبة:٢٤] لأن أغلب مشاكل الناس واهتمامات الناس بهذه،

وأعظم من ترى في الناس قدرًا يعيش الدهر عبد فم وفرج

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ [التوبة:٢٤] هذه فلا بد أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سوى ذلك يقدم أمر الله وأمر الرسول ﷺ على كل شيء مهما كان

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم والحرب تسقي الأرض جامًا أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا في مطلع الروح الأمين فكبرا

«**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**» لا نحبه من أجل مصلحة دنيوية من أجل المال من أجل أن تتزوج بنته أو أخته أو كذا مصالح لا من أجل حزبية ولا لأنه يوافقك في الرأي فمن وافقك رفعته ومن خالفك خفضته المحبة لله ﷻ «**أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**» لأن هذه المحبة عليها الحسنات والأجور يوم القيامة قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين في**»[(١)] ويقول النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ومن هؤلاء: رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[(٢)] ويقول سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] يعني

---

(١) صحيح: مالك (١٧١١) وأحمد (٢٢٠٨٣) وابن حبان (٥٧٥) وانظر حديث رقم: ٤٣٣١ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٦٢٩) ومسلم (١٠٣١).

هذه الزمالات والصداقات التي كانت على أساس من الباطل من أجل دنيا من أجل أمور ومصالح دنيوية انتهت وانعكست إلى عداوات ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] فلا بد أن تكون محبتنا من أجل هذا من أجل الله ﷻ أحببته في الله تعرفون حديث في الترمذي يقول النبي ﷺ: **«من عاد مريضًا أو زار أخًا في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا»**[(١)] وأذكرك بحديث اجعله نصب عينيك في الترمذي أيضًا أن النبي ﷺ أخبرنا عمن كان قبلنا: **«أن رجلًا زار أخًا له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكًا قال: أين تريد؟ قال: أريد هذه القرية قال: ماذا تريد؟ قال: أريد أن أزور أخًا لي فيها قال: هل لك عليه من نعمة تربها أو حاجة تطلبها؟ قال: لا إلا أني أحببته في الله قال: فأنا رسول ربك إليك أن الله قد أحبك كما أحببته»**[(٢)] وليس العجب أن تحب الله فالإنسان عبد الإحسان تحب الله أحسن إليك ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٤، ٢٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٦، ٧] أنت مجبور على محبة الله ومفطور على محبته لكن العجب أن الله ﷻ أحبك فإذا أحبك فأنت من الأولياء **«وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»**[(٣)].

(١) حسن: الترمذي (٢٠٠٨) والبيهقي في الشعب (٩٠٢٦) وانظر حديث رقم: ٦٣٨٧ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (٢٥٦٧).

(٣) البخاري (٦١٣٧).



الثالثة: «**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» **هل هذه الصفة تحققت فينا؟** أن يكون عندك الكراهية للكفر ولأهله ولطريقة الكفار وأن يكون عندك بغض للمنكر ولأهل المنكر لا يكفي أن تترك المنكر بل ينبغي أن تبغضه وأن تخرج جميع الرواسب من قلبك لا يكفي أن تترك طريق الزنا بل لا بد أن تبغض الزنا من قلبك لا يكفي أن تترك النظر إلى الأفلام الخليعة بل لا بد أن تنزع حظ الشيطان من قلبك وأن يكون عندك قاموس في قلبك تحمله من الأمور المتفق عليه أنك لأن تخر من السماء أحب إليك من أن تعصي الله ﷻ لا يمكن قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - ومن هؤلاء - رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: - عفوًا - قال: إني أخاف الله رب العالمين**»[(١)] رغم المغريات منصب يأمل جمال فاضح يؤزه أزًا ومع ذلك يرفض **لماذا؟** لأنه يخاف من الله ﷻ

وإذا خلـــوت بريبـــة في ظلمـــة	**والـــنفس داعيـــة إلـــى الطغيـــان**
فاســتحي مــن نظــر الإلــه وقــل لهــا	**إن الـــذي خلـــق الظـــلام يـــراني.**

قال: وفي رواية: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى.... إلخ**».



وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا» رواه ابن جرير.

---

(١) البخاري (٦٢٩) ومسلم (١٠٣١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] قال: المودة.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحدٌ طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦].

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًا شديدًا.

العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.



وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أحب في الله وأبغض في الله ووالا في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك قال رضي الله عنهما: ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته



وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا رواه ابن جرير وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ قال: المودة تقطعت وقبل هذا يقول الله: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧] نسأل الله السلامة والعافية هذه مشكلة يا إخوان جد مشكلة أن يكون الشخص في الدنيا له أصحاب وأصدقاء ثم تنعكس هذه إلى لعن يلعن بعضهم بعضًا ويفضح بعضهم بعضًا أعوذ بالله فما أحوجنا إلى أخوة مبنية على أساس من الخير ومن الدين حتى ننتفع بهذه المحبة بين يدي الله سبحانه وتعالى.





باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]

وقفنا فيما مضى عند قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥] يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]

هذه الآية المباركة وردت بعد قول ربنا ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ -١٧٥] وذلك أنه في العام الثالث أقبلت قريش بخيلائها وبفرسانها وبأبطالها تريد الانتقام والأخذ بالثأر لصناديدهم الذين قتلوا في غزوة بدر فالتقوا في مكان يسمى جبل أحد وهو معروف إلى اليوم والمقبرة موجودة إلى اليوم عليها أسوار من شبك حديدي إلى يومنا هذا وقد كان النبي ﷺ يريد أن يبقى في المدينة ليدفع عن بيضة أهل المدينة السوء والقتال وكان بعض الصحابة يطمع ويريد الخروج وكان ابن أبي يريد ما يريد النبي ﷺ فعزم



الرسول ﷺ على الخروج فخرج وغضب لذلك عبد الله بن أبي وقال: يعصيني ويطيع غيري فكانت في نفسه حتى أنه انخنس بثلثي الجيش ورجع بهم إلى المدينة فالتقى هناك في ذلك الموضع في مكان جبل أحد الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**»[(١)] وارتقى النبي ﷺ يومًا على متنه فأراد التحرك قال:

«**اثبت أحد إنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[(٢)] ويعني بالنبي نفسه وبالصديق أبي بكر وبالشهيدين عمر وعثمان رضي الله عنهم فكان النبي ﷺ قد رتب الجيش وجعل خمسين راميًا على قمة الجبل وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال: «**إن رأيتم الطيور تتخطفنا فلا تبرحوا عن أماكنكم**»[(٣)] فكانت الدائرة في بداية المعركة لصالح المسلمين فظنوا أن الأمر قد انتهى والنصر قد تنزل والمعركة قد انتهت فنادى بعضهم بعضًا الغنيمة الغنيمة يا قوم فتركوا أماكنهم ولم يبق على قمة الجبل إلا عبد الله بن جبير وستة من أصحابه وقيل تسعة ونزل الباقون فيأتي خالد بن الوليد وكان لا يزال على الشرك رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأراد وهذا شيء أراده الله سبحانه وتعالى وكثير من المحققين يقولون: هذا ليس بهزيمة وإنما هو نصر من وجه آخر فقد ذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد عدة فوائد منها الابتلاء ومنها معرفة أعداء المؤمنين من المنافقين وكذلك تأديب لأصحاب النبي ﷺ عندما خالفوا أمر النبي ﷺ المهم يأتي خالد بن الوليد من الخلف فكانت - لا حول ولا قوة إلا بالله - مصيبة نازلة على المسلمين فهجموا على النبي ﷺ وكان طلحة بن عبيد الله أو أبو طلحة الأنصاري يتقي كل ما

---

(١) البخاري (٣٨٥٥).

(٢) البخاري (٣٤٧٢).

(٣) البخاري (٢٨٧٤).

جاء من أذى على رسول الله ﷺ بجسده وانتهت المعركة على أن قتل من أصحاب النبي ﷺ السبعين وقد رأى النبي ﷺ قبل المعركة بأن بقرًا تنحر فأول ذلك باستشهاد أصحابه وقتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ والله تبارك وتعالى يقول: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ [آل عمران:١٧٢] وهي الجروح الجراحات والأوجاع والآلام فأذن النبي ﷺ أن تحمل جثث الشهداء ثم بعد ذلك أمر مناديًا أن ادفنوا الشهداء في مواضعهم فدفنوا هناك في مكان أحد ثم يعود النبي ﷺ يوم السبت إلى المدينة فما إن رجع إلا وتشاور الكفار وكان أبو سفيان بن حرب لم يسلم على أنه أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وهو أبو معاوية وهو صهر النبي ﷺ فإن أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها هي بنته كان لا زال على الشرك وهو الذي بعد انتهاء المعركة قال: **أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي كبشة؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟** فلم يصبر عمر فقال: لقد أبقى الله لك ما يسوؤك ثم قال: أعل هبل قال النبي ﷺ لأصحابه: «**ألا تجيبوه؟**» قالوا: **ما نقول؟** قال: «**قولوا: الله أعلى وأجل**» فقال أبو سفيان: الحرب سجال يوم بيوم يوم أحد بيوم بدر فقال النبي ﷺ قولوا له: «**قتلاكم في النار وقتلانا في الجنة الله مولانا ولا مولى لكم**»(١) فيعود النبي ﷺ بأصحابه وقرر الكفار فيما بينهم قالوا: **كيف نعود إلى مكة فإنا لم نصنع شيئًا؟** فلا بد أن نعود إليهم لنستأصل شأفتهم كهذا كانوا يظنون ويبرمون فأرادوا الرجوع فعلم النبي ﷺ بأن قريشًا تريد استئصال بيضة المسلمين فندب النبي ﷺ كل الذين خرجوا لأحد بما فيهم من الآلام والأوجاع والجروح وما فيهم من الأحزان على قتلاهم أن يخرجوا مرة ثانية لمناجزة عدوهم حتى إن ابن أبي قال: **أتأذن لي أن أخرج؟** قال: لا لا أريدك أن تخرج معنا فيخرج النبي ﷺ قرابة ثمانية

---

(١) البخاري (٢٨٧٤).



أميال من المدينة فيعسكر هناك في مكان اسمه حمراء الأسد فيمر رجل من المشركين فأسلم على يد النبي ﷺ وهو من قبيلة خزاعة وما كان يعلم أبو سفيان بإسلام هذا الرجل فقال له: **ما وراءك يا فلان؟** قال: قريش تريد الإقبال عليكم لتستأصل شأفتكم ولتفعل ولتفعل تخويف ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] أرادوا الجمع أرادوا استئصال بيضة المسلمين فالمسلمون ورسول المسلمين محمد ﷺ لسان حالهم ومقالهم: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] حتى إن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول:

حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حينما ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حينما قيل له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] فخرجوا صابرين حتى إنهم ذكروا أن أخوين جريحين خرجا فكان الذي عنده الجراح الكثيرة يحمله أخوه فإذا ما تعب وضعه ليمشي قليلًا حتى لحقوا بعسكر النبي ﷺ ابتلاء واختبارًا فهذا الرجل أخبر النبي ﷺ بما رأى فقال له النبي ﷺ إذهب إليهم وقد أسلم وخذلهم فلما أدرك أبو سفيان ظن أبو سفيان أنه لا زال على الشرك فقال: لقد خرج محمد بجمع لم ير مثله فخاف الكفار ورجعوا فارين إلى مكة ورجع هؤلاء بالنصر والظفر والأجر الكثير كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] قال الله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤] والمراد بذلك الأجر ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤] أي ما حصل لهم من قتال إطلاقا ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٧٤] يعني أرادوا بهذا الخروج رضوان الله ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤] ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ وإنما

هنا أداة حصر وقصر ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥] أي هذا الذي حصل من المشركين إنما هو بسبب الشيطان فكان الشيطان يخوف أولياءه أي أتباعه أحزابه أصحابه الذين إن استمالهم استمالوا له كما قال ربنا سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة:٢٥٧] وقال سبحانه: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فالمراد بهذه الإشارة يعني إشارة إلى ما حصل من التهديد والتخويف من قبل أعداء الإسلام للمسلمين قال سبحانه فيما يتعلق بتهديد قريش لأصحاب النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [آل عمران:١٧٥] أي الذي حصل من المشركين إنما هو بسبب الشيطان يخوف أولياءه قال الله لأصحاب النبي ﷺ ولكل المسلمين إلى قيام الساعة: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] والشيطان المراد به إبليس الذي عصى الله سبحانه وتعالى وهو العدو الأكبر وهو أكفر الكافرين وهو الذي يأمر بالسوء وينهى عن الخير يأمر بالشح والبخل والزنا واللواط وشنيع القول والفعل ويحرض على القتل وعلى الطلاق وعلى كل رذيلة هو من وراء ذلك كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] وقال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر:١٦] فهو يؤز إلى طريقه وإلى صراطه وإلى سبيله أزًا فإذا ما أوصل إلى ذلك تبرأ عدو الله وهكذا يوم القيامة يستقيم خطيبًا ويتنصل من هذا الشر الذي كان بجرمه وبشؤمه وأراد المؤلف رحمه الله من هذه الآية الاستدلال بقوله:

﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ **وبقوله:** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾ [آل عمران:١٧٥] وجاء بهذا الباب



مقصودًا بعد الباب الذي قبله لأن الباب الذي قبله باب المحبة ليعلم أن العبادة إنما ترتكز على أمرين اثنين: الخوف والمحبة وقد تقدم أنه لا بد من خمس أسس: المحبة،الخوف، الرجاء، الإخلاص، المتابعة، فلا بد من هذه الأساسات لأنها تكون بمثابة الأساس القوي للبناء وهكذا هذه لا بد منها من أجل أن يكون العمل الصالح صالحًا نرجو من ورائه الخير في الدنيا والآخرة وإلا كان عملًا باطلًا قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] فالخوف أقسام:

فالقسم الأول: خوف العبادة وهو التعظيم تعظيم الله ﷻ وصرفه لغير الله يكون شركًا أكبر وصرفه لله وحده لا شريك له هو العبادة في حد ذاته ويسميه العلماء بخوف السر هذا القسم الأول خوف عبادة لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠] ويقول سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] نسأل الله أن يرزقنا الخوف من مقامه ويقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١] ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي الذي رواه أبو نعيم من حديث ابن عمر: «**وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**»[1] والله ﷻ يقول في حق الآمنين المحققين للتوحيد والسنة والطاعة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] بمعنى أن الذي كانوا على شرك ليسوا آمنين وإنما هم في خوف دائم في الدنيا وفي القبر وفي العرصات وهم أيضًا في النار لأنهم أمنوا في هذه الدنيا فكان الخوف - والعياذ بالله - حليفهم في ذلك اليوم والخوف المحمود هو الذي يحجزك عن المعصية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في

---

(١) صحيح: ابن حبان (٦٤٠) والبيهقي في الشعب (٧٧٧) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٦٦٦).



التحفة العراقية عن الأمراض القلبية قال: «**الخوف المحمود هو الذي يحجزك عن معصية الله فإن كنت تخاف من الله ﷻ فارج من نفسك خيرًا**» «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه من الدمع**»(١) ما جاء هذا البكاء من فراغ وإنما جاء من عصرة عصرها القلب

وليس الذي يجري من العين ماؤها ... ولكنهـــا روح تســـيل فتقطـــر

وهكذا أيضًا يقول النبي ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**»(٢) فهذا هو القسم الأول من أقسام الخوف وهو خوف العبادة أو يسميه العلماء خوف السر فإن صرف لله فهو عبادة وإن صرف لغير الله فهو شرك أكبر مخرج من الملة كأن تخاف من جني من صاحب قبر تخاف من الأصنام من الأنداد لا تخاف وإنما خف من الله ﷻ وكن شجاعًا مقدامًا واعلم أن الأنفاس والأرزاق بيد الله ﷻ

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١]

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة ... والمرأ في الجبن لا ينجو من الحذر

فهذا هو النوع من الأول.

النوع الثاني: خوف معصية وتعريف هذا: أنك تترك الطاعة خوفًا من فلان تترك

---

(١) البخاري (١٣٥٧) ومسلم (١٠٣١).

(٢) صحيح: مسند أبي يعلى (٤٣٤٦) ومسند الشاميين (٢٤٢٧) ومسند الشهاب (٣٢٠) وانظر حديث رقم: ٤١١٣ في صحيح الجامع.



الطاعة تترك الأمر بالمعروف تترك الصلاة تترك الإلتزام تترك إعفاء اللحية خوفًا من فلان إحترامًا لفلان وكان الأولى أن تخشى الله ﷻ.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه والحديث ذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨١٤) أن النبي ﷺ قال:

«إن الله يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت المنكر ألا تغيره؟ فيقول: رب خشية الناس خشية الناس هو الذي منعني فيقول الله: إياي كنت أحق أن تخشى»(١) يعني كان الجدير بك أن تخشى الله ﷻ فهذا يسميه العلماء خوف معصية وليس من الشرك فالشرك أكبر الكبائر لا يغفره الله ﷻ.

القسم الثالث: خوف طبيعي كأن تخاف من الأسد من الكلاب من الظلام من العدو هذا جائز قال الله ﷻ إخبارًا عن موسى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١] ويقول ﷻ أيضًا: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١] وهو يختلف من شخص لآخر فمن الناس من يخاف من الأسد ومن الناس من لا يخاف شجاع عنده إقدام وهذا مباح على أنه لا ينبغي للشخص أن يكون يذعر من ظله بل عليه أن يكون شجاع فإن الأقدار بيد الله ﷻ واعلم أن ما أراده الله ﷻ فلا بد أن يكون واصلًا إليك سواء حذرت منه أو لم تحذر

إن المقادير التي في اللوح قد كتبت   إما أتتك يا فتى وإلا فتأتيها

لكن هذا النوع يقول العلماء: هو مباح لأنه ما فيه ترك واجب ولا ارتكاب محرم ولا فيه صرف عبادة لغير الله ﷻ إذن لا بد أن تكون طاعة العبد مبنية على الإخلاص

---

(١) ضعيف: أحمد (١١٤٥٨) انظر حديث رقم: ٦٣٣٢ في ضعيف الجامع.

وعلى الإتباع وعلى المحبة وعلى الخوف والرجاء قال ابن القيم: «**وهما للعبد السالك كالجناحين للطائر**» فإن انكسر أحدهما فبأيهما يطير **وهل على العبد أن يغلب جانب الخوف أم جانب الرجاء؟** قولان لأهل العلم:

والتفصيل هو الصحيح إن كان العبد صالحًا فليغلب جانب الرجاء وإن كان مسيئًا فليغلب جانب الخوف وقد كان بعض الصالحين يقوم من الليل فيقرأ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧] أي ظهر لهم ما لم يكن يخطر لهم على بال وكان بعضهم يبكي ويقول: أخشى أن أطرح في النار ولا يبالى بي يخاف مدلول قول الله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١] لكن في حال المرض في حال الإحتضار وجب على العبد أن يغلب جانب الرجاء لقول النبي ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»(١) والنبي ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًا فله**»(٢)

فلا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

وإذا ظننت بربك خيرًا وتفاءلت فعلى حسب نيتك وربما جاء الشيطان يقنطك وكذا وكذا الشيطان ربما يأتي إلى طالب علم ويبني أمامه أشياء ويأتيه كذا ويقول: ما في داعي تطلب العلم أنت اذهب وكذا من شأن أن تعمل وتعف نفسك واليد العليا خير من اليد السفلى ولا بد تكون عزيز ولا بد تحفظ نفسك ولا بد ولا بد أشياء يعني يريد ينفره عن طلب العلم من أجل أن يستريح الشيطان الرجيم من هذا الذي سيكون داعية إلى الله ﷻ على بصيرة علم من الكتاب والسنة فالشيطان ليس بناصح ولا أمين

---

(١) مسلم (٢٨٧٧).

(٢) البخاري (٦٩٧٠) ومسلم (٢٦٧٥).



بل هو خوان عدو يدعو إلى ما فيه الضرر وقد ذكر الله ﷻ عن عباد الله الصالحين قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء:٥٧] والمؤمن هو هكذا يعبد الله بالخوف والرجاء ذكرت لكم فائدة قبل قول لبعض أهل العلم: من عبد الله بالمحبة فهو صوفي ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالخوف فهو حروري أو خارجي ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو مؤمن ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] وقد كان النبي ﷺ هكذا بين الخوف وبين الرجاء يعيش بين الخوف والرجاء فهو ﷺ الذي قام يتعبد لربه حتى ورمت قدماه وهو الذي يقول عبد الله بن الشخير: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وهو الذي بكى ثم أرسل الله جبريل يسأله وهو أعلم قال: أخبره **ما الذي يبكيه؟** قال: «**أمتي أمتي قال عد إليه وقل له: إنا سنرضيك في أمتك**»[(١)] وهو الذي كان يشرب بعد ما تشرب عائشة من موضع الشراب وهو الذي كان يسابق عائشة رضي الله تعالى عنها وهو الذي يقول للصغير:

«**يا أبا عمير ما فعل النغير؟**»[(٢)] وهو ﷺ الذي كان يقعد مع أصحابه فينفتح لهم وينبسط إليهم ويسمع ما يخوضون به من أمر الجاهلية فيضحكون وهو يبتسم فهو ﷺ كان رؤوفًا رحيمًا محبًا خائفًا راجيًا طائعًا فهو ﷺ قدوتنا في هذا الباب قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ ومعنى أسوة أي قدوة ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١] أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه

---

(١) مسلم (٢٠٢).

(٢) البخاري (٥٧٧٨).

الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من الخائفين الذين يخافونه وحده لا شريك له وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].



يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨] هذا تابع لدرس الأمس، وفي قوله: ﴿إِنَّمَا﴾ يسمي العلماء هذه الكلمة كافة ومكفوفة من حيث أن إن لم تعمل لأن ما كفتها عن العمل ويسميها علماء التفسير: أداة حصر وقصر حصرت وقصرت هذا الأمر المتحدث عنه فيقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ﴾ والمراد بالعمارة أمرين: عمارة معنوية وعمارة حسية أما العمارة الحسية فهو البناء المعروف بالأحجار والبلك والإسمنت والسعي في ذلك يقول النبي ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرًا أو بيتًا في الجنة**»[1] والأحاديث في هذا متواترة كما قال العراقي كما قال السيوطي:

ومما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٧٣٨) وأحمد (٢١٥٧) وابن خزيمة (١٢٩٢) وانظر حديث رقم: ٦١٢٨ في صحيح الجامع.

ورؤيـــــة شـــــفاعة والحــــــوض ومســـح خفـــين وهـــذا بعـــض

وفي ذلك أجر كبير وعظيم في بناء المساجد أو الإسهام في بنائها وهو دليل إيمان ولكن يجب أن يكون هذا المال من حلال لا أن يكون من ربا ولا من غسيل الأموال لأن هناك بعض الناس الآن بعض الأثرياء عندهم ما يسمى بغسيل الأموال يأخذ كذا يقول لك: نغسل هذه الأموال المجعوثة بغبار الربا فنبني بها مسجدًا لا لا بد أن يكون المسجد حلال من حلال لقول النبي ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»(١) ولا يكون كما قيل:

بنـــى مســـجدًا لله مـــن غيـــر حلـــه فكـــان بحمـــد الله غيـــر موفـــق
ككافلـة الأيتـام مـن كسـب فرجهـا لـــك الويـــل لا تـــزني ولا تتصـــدقي

لا أحد يريد صدقة من باطل من ربا من حرام وإنما يكون من حلال قال النبي ﷺ:

«**ما تصدق رجل من كسب طيب بعدل التمرة إلا تقبلها الله بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه - أي فصيله وهو ابن الناقة - حتى تكون مثل جبل أحد**»(٢) والحديث في البخاري في كتاب الزكاة في الجزء الثالث في كتاب الزكاة.

وأما العمارة المعنوية: فعمارتها بالصلاة المكتوبة النافلة قراءة القرآن ذكر الله ﷻ في هذه المساجد في بيوت الله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٦- ٣٧] وقد جاء حديث هذا: «**من رأيتموه يعتاد المساجد فاشهدوا**

(١) مسلم (١٠١٥).

(٢) البخاري (١٣٤٤) ومسلم (١٠١٤).

له بالإيمان»(١) وهو حديث ضعيف هو يوافق الآية لكن ضعيف لأن في سنده دراج أبا السمح عن أبي الهيثم وهي رواية منقطعة ليس الحديث صحيحًا فهذا هو المقصود بقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ﴾ من هاهنا تفيد العموم الشمول ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ سواء كان عربيًا أعجميًا أسود أبيض غني فقير ذكر أنثى المهم هذه أوصافه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجود الله بربوبيته بألوهيته بالأسماء والصفات هذه مستلزمات الإيمان بالله وهو ركن من أركان الإيمان قال: ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن باليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره**»(٢) ركن عظيم من فقده فقد فقد الخير كله في هذه الدنيا

إذا الإيمـــان ضـــاع فـــلا حيـــاة	**ولا دنيـــا لمـــن لـــم يحـــي دينًـــا**
ومـــن رضـــي الحيـــاة بغيـــر ديـــن	**فقـــد جعـــل الفنـــاء لهـــا قرينًـــا**

فهذه أوصاف الصالحين الذين ستأتي لهم أيضًا أوصاف فيقول ربنا: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ عنده الإيمان التصديق اليقين الجازم بوجود الله وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته قال: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أيضًا يؤمن باليوم الآخر وسمي يومًا آخر لأنه آخر يوم من أيام الدنيا وليس بعده يوم هذا اليوم الذي هو كألف سنة مما نعد ليس بعده يوم بعده كما قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥] وكما قال سبحانه: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥] وكما قال سبحانه: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] ما بعد ذلك إلا الفصل

(١) ضعيف: الترمذي (٢٦١٧) وابن ماجة (٨٠٢) وأحمد (١١٧٤٣) وانظر حديث رقم: ٥٠٩ في ضعيف الجامع.

(٢) مسلم (٨)، (١٠).



نسأل الله ﷻ أن يجعل فصلنا إلى جنة عرضها السماوات والأرض والمسلمين أجمعين قال:

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أتى بها على وجه قويم لا نقص فيه بوجه من الوجوه والإقامة تتضمن أمورًا منها: أنه صلاها في وقتها يعني أتى بالأركان بالشروط بالواجبات بالمستحبات وأثرت هذه الصلاة على جوارحه وعلى سلوكه كما قال سبحانه:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت:٤٥] الصلاة الحقيقية ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بمعنى أنه أعطى حق الله من خلال الزكاة والزكاة بمعنى النماء زكى بمعنى نمى واصطلاحًا: هي المال الذي أوجب الله ورسوله إخراجه بشرطين حلول الحول وبلوغ النصاب كما قال سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الأنعام:١٤١] وقال النبي ﷺ: «**لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول**»[(١)] والزكاة - بارك الله فيكم - لها تفريعات وتفصيلات من حيث الأركان والشروط ومن حيث الأنصبة والمقادير والأنواع ليس هذا موضعها.

قال: ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ من صفات هؤلاء القوم أنهم لا يخشون إلا الله والخشية أخص من الخوف فالخوف يشترك فيه العالم والجاهل بخلاف العالم فإنه يكون إلى جانب الخوف خشية الله كما قال سبحانه:

﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] فالخشية أخص من الخوف فهؤلاء لا يخشون إلا الله ﷻ وهذا هو الشاهد من الباب أن هؤلاء لم يخشوا إلا ربهم ﷻ

---

(١) صحيح: أبو داود (١٥٧٣) والترمذي (٦٣١) وابن ماجة (١٧٩٢) وانظر حديث رقم: ٧٤٩٧ في صحيح الجامع.

وهذه والله من المكرمات ومن توفيق الله ﷻ للعبد يوم أن يعلن تحرره من قيود الخوف الخوف من الفقر الخوف من الجبن الخوف من الشيطان الخوف من خطوب الزمان ونوائبه وأن يجعل خوفه كله من الله ولله ﷻ وتأمل قوله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾ [التوبة:٥١] وقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] وهكذا أيضًا حديث ابن عباس في الترمذي وأصله في مسند أحمد قال النبي ﷺ له: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1] **فممن تخاف أنت يا عبد الله؟** تخاف أحدًا أن يأخذ من أيامك من أوقاتك من أرزاقك لا يستطيع إنه لا يستطيع أن ينزل بك ضررًا أبدًا الشياطين والجن والعفاريت والسحرة الذين عندهم من الشر والتمويه والقدرة على الحيل لن يستطيعوا أن يصلوا إلى العبد إلا بتقدير من الله وغيرهم من باب أولى قال سبحانه:

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١٠٢] وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمى على أعدائه يوم أن قال وهو تحدي في نفس الوقت قال: «**ماذا يريد مني أعدائي أنا سجني خلوة وموتي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة؟**» **ماذا يريد مني الأعداء؟** إن قتلوني فهم يقدمون لي جميل أنني أرزق بالشهادة وإن سجنوني فأتفرغ وكان رحمه الله وهو في السجن يقول: «**المسجون من سجن قلبه عن ذكر الله والمأسور**

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).



من استأسره هواه» وإن أخرجوني سياحة وكان يقول: «**أنا جنتي وبستاني في قلبي**» ولما ردوا عليه الباب في السجن قال: «﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣]» فما أحوجنا أن تكون خشيتنا من الله وقد قال النبي ﷺ في الحديث: «**ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فهي خشية الله في السر والعلانية**»(١)

وإذا خلـــوت بريبـــة في ظلمـــة	**والـــنفس داعيـــة إلـــى الطغيـــان**
فاســتحي مــن نظــر الإلــه وقــل لهــا	**إن الـــذي خلـــق الظـــلام يـــراني**

تخشى من الله ولا يكون هذا تصنعًا بين إخوانك ما شاء الله إيمان واستغفار فإذا ما خلا لك الجو كنت شيطانًا رجيمًا تبارز الله بالعظائم هذا لا ينفع بل لا بد أن تكون على استقامة والتزام في حال السر أعظم قال النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه من الدمع**»(٢) هذا الفيضان ما جاء من فراغ لما كان بمفرده تعرف أن الشيطان يستطيع أن يجرجر الشخص إذا كان بمفرده لو كان مع الجماعة تجد أن الشخص يتحصن نوعًا ما والخذلان من الله سبحانه وتعالى للشخص هو قد يكون بسبب قلة الإخلاص لكن لو كان معه أناس آخرون ربما استحيا فإذا كان وحده ربما ذهب عنه الحياء والخجل فبينما هو وحده في مكان فربما يفعل المستحيلات لكن هذا بينما هو وحيد في غرفة مستقلة في مكان خال ذكر الله ذكر عظمة الله وذكر القبر وذكر النار وذكر الصراط والميزان والحساب ولقاء الله عز وجل

---

(١) صحيح: الطبراني في الأوسط (٥٤٥٢) والبيهقي في الشعب (٧٤٥) وانظر حديث رقم: ٣٠٣٩ في صحيح الجامع.

(٢) تقدم تخريجه.

وحيدًا فريدًا كما قال النبي ﷺ: «**إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلًا**»[(١)] فلما ذكر نفسه بمثل هذا بكى ما جاء البكاء إلا نتيجة لما تذكره وما تنزل الدموع من العيون إلا وقد أخذ القلب عصرة كما قيل:

وليس الذي يجري من العين ماؤها ... ولكنها روح تسيل فتقطر

قال: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ﴾ [التوبة:١٨] عسى هذه اجعلها بين قوسين هي في اللغة العربية من أخوات كان بمعنى الترجي حرف ترجي تقول عسى أن يأتينا زيد يعني نرجوا أن يأتينا زيد لكن إن جاءت في القرآن والسنة عسى ولعل تكون بمعنى اليقين والواجب ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ﴾ يعني حقًا أن يكون هؤلاء كما قال سبحانه: ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ أي حقيقي وجدير أن يكون هؤلاء من المهتدين هداهم الله توفيق الله ﷻ.

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن هنا قال: قوله: ﴿فَعَسَىٰ﴾ قال ابن أبي طلحة طبعًا منقطع لأن رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة يقول: إن أولئك هم المهتدون وكل عسى في القرآن فهي واجبة قال ابن كثير: قال ابن عباس: كقوله لنبيه ﷺ: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] وهي الشفاعة وقال محمد بن إسحاق بن يسار: وعسى في القرآن من الله حق.



وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠].



(١) البخاري (٣١٧١) ومسلم (٢٨٥٩).



وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ﴾ [العنكبوت:١٠] هذه الآية فيها شاهد بالمعنى لهذا الباب لأن الباب بعنوان:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]

يعني في باب الخوف والخشية وذلك أن بعض الناس يؤمن بالله ولكن لا نقول: يؤمن يسلم فقط كما قال سبحانه: ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات:١٤] يعني ربما كان من المنافقين فيؤمن بالله يسلم إسلامًا ظاهرًا ولم يتمكن الإيمان من قلبه ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ يعني فتن كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ [البروج:١٠] أوذي من بعض الناس من الكفار فهنا جعل فتنة الناس كعذاب الله ربما يرتد كما قال سبحانه:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١] وكان الأولى أن يصبر فالنبي ﷺ يقول: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل وإنما يبتلى الرجل على قدر دينه**»(١) وهكذا أنت قبل أن تلتزم كان الناس يحبوك ويحترموك فإذا التزمت قالوا مطوع قالوا كذا لكن الحمد لله لا يستطيعون أن يقولوا أنك صاحب فجور وكذا وكذا ويقولون هذا بأفواههم أما في قرارة أنفسهم فهم يعترفون لك بالفضل والخير.



(١) صحيح: الحاكم (١٢٠) والطيالسي (٢١٥) والبيهقي في الشعب (٩٧٧٥) وانظر حديث رقم: ٩٩٢ في صحيح الجامع.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[(١)].



وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا أي إلى النبي ﷺ: «**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله**» هذا الحديث ضعيف على أن معناه صحيح وفي هذه الحكم أن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله هذه آفة وان تحمدهم على رزق الله كان الأولى أن تحمد الله سبحانه وتعالى الحديث ضعيف ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة وكذلك أيضًا الدوسري

«**وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا جره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره**» هذا كلام صحيح مائة في المائة أن ما أراده الله فلا بد أن يكون واصل إليك جاء حديث حسنه الشيخ الألباني «**إن رزق ابن آدم يطلبه كما يطلبه أجله أو يطلبه الأجل**»[(٢)] ولله در زين العابدين علي بن الحسين حينما قال:

لــو أن في صــخرة صــما ململمــة	في البحــر راســية ملــس نواحيهــا
رزق لعبــــد ذراه الله لانفلقــــت	حتــى تــؤدي إليــه كــل مــا فيهــا

ومن أمثلة السائدة العامة يقولون: رزقك يأتي ولو كان في ناصية الأسد، فلا بد أن تأخذ رزقك لكن ابذل السبب والأسباب تختلف فالأرزاق هي موجودة في هذه الدنيا

(١) ضعيف: البيهقي في الشعب (٢٠٧) انظر حديث رقم: ٢٠٠٩ في ضعيف الجامع.

(٢) صحيح: ابن حبان (٣٢٣٨) والمعجم الكبير (٢٧٣٧) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٧٠٣).



خلقك الله وخلق معك رزقك حديث ابن مسعود لما قال: حدثنا الصادق المصدوق:

«**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة.... ثم قال: يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات كتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد**»[(١)] هذه أصول لا بد أن نذكر أنفسنا بها فرزقك يا عبد الله موجود وهو بين الكاف والنون فإياك أن تسيء الظن بالله تعالى لا تسئ الظن بالله ﷻ فربما بعض الناس تأخر عنه رزقه فيتضجر وكان الأولى أن يصبر حتى يأتيه رزقه الله ﷻ رزق أعداءه ورزق الحيوانات المفترسة وأنت يا طالب العلم لا بد أن يرزقك الله ﷻ والإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «**آداب الطلب**» ذكر شيئًا كثيرًا من الأمثلة إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

مـا مـات والله جوعـا عـالم أبـدًا ... سـل التـواريخ عنـه والـدواوينا

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن أحد العلماء كان عنده طلاب ونشاط ودعوة فضجر قال: أريد أن أدخل مع السلطان أكتب وكذا وكان كاتبًا لماحًا وترك الحلقة وترك العلم فكان يأكل طعامًا وكان الطعام فيه سمك فجاء إليه هر فأعطاه قطعة سمك أخذ هذه القطعة وذهب بها ثم رجع أعطاه قطعة أخرى فذهب ورجع فتعجب ما أسرع قد أكلها **ولماذا لا يأكلها أمامي؟ ليش يذهب إلى مكان بعيد؟** فقال لبعض أهله: تابعوا هذا الهر فتابعوه فوجدوه يرقى على سطح ثم ينزل إلى مكان وأنه يعطي هذه القطع قطع السمك لهر كبير أعمى فذهب ينظر فتأثر قال: سبحان الله قال: هيأ الله له من يأتيه بالرزق فاستفاد من هذه وأخذ العبرة ورجع إلى طلابه واستمر في نشر العلم وتدريسه.

وذكر ابن القيم في مفتاح دار السعادة: أن ديكاً كان يأخذ الطعام ويذهب يأتي بأصوات إلى حية كبيرة عمياء فتفتح فاها فيضع فيه الرزق وكان أحد الصالحين

---

(١) البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣).

يمشي في رحلة وكان عنده طعام ومعه أهله فكان يقول: نأكل هنا فتقول له: لا كذا نشوف شجرة مثمرة أحسن إلى أن وصلوا إلى مكان قالوا: هاهنا نأكل فأخرجوا الطعام فأول لقمة أراد أن يأكلها سقطت فتأتي حشرة تأخذها فقال: سبحان الله أنا أحمل رزقها ولا أدري هو جاء من مكان بعيد من أجل رزق هذه الحشرة رزقها الله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود:٦] لا ينبغي أن تسيء الظن بالعلم

لا تسيئ الظن بالعلم يا فتى إن سوء الظن بالعلم عطب

ويذكر بكر أبو زيد عن الشنقيطي قال: أتيت من شنقيط بكنز قال بكر أبو زيد: كنت أقول إيش الكنز هذا؟ قال: جئت من شنقيط بكنز وأخشى أن ينفد قال: فعلمت بعد أيام أنه القناعة الكنز الذي لا يفنى هو القناعة وكم من أخ كان على خير وصلاح وكان يفهم العلم لأن المشكلة أن بعض الناس ما يفهمش العلم فهذا لو أنه يذهب يتسبب ربما يكون أولى قال المبرد: أشفق على رجلين ذكي لا يطلب العلم ويطلب العلم من لا يفهم، فبعضهم كان ذكيًا فإذا به يضيع لا واصل العلم ولا أخذ من الدنيا شيء يذكر ما تحصل على شيء يذكر من أمور الدنيا فلو أنه صبر لكان خيرًا عظيمًا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنِ الْتَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِي الله عَنْهُ وَأَرْضى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ الله عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» رواه ابن



حبان في صحيحه(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران. الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت. الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك: هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله. الثامنة: ذكر عقاب من تركه.



يقول المؤلف:

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**» رواه ابن حبان في صحيحه هذا الحديث من حيث صحته ونسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة بحثًا طويلًا مكونًا من ورقتين ثم في نهاية المطاف قال: وبالجملة فالحديث ثابت موقوفًا على عائشة ومرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا - بارك الله فيكم - من حيث الصحة فهو حديث صحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام وله قصة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه

(١) صحيح: ابن حبان (٢٧٦) ومسند الشهاب (٤٩٩) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٥٠).

الترمذي عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية ﷺ إلى عائشة ﷺ أن اكتبي لي كتابًا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت عائشة ﷺ إلى معاوية: سلام عليك أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**»(١) والسلام،،

قال: ورواه أبو نعيم في الحلية قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكتبت عائشة إلى معاوية وروى أنها رفعته «**من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا**»(٢) هذا لفظ المرفوع ولفظ الموقوف: «**من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذامًا**»(٣) وهذا من أعظم الفقه في الدين فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين والله كاف عبده ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

قال: والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب وأما كون الناس كلهم يرضون عنه قد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض وإذا تبين لهم العاقبة.

ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا كالظالم الذي يعض على يديه وهذا الذي يعض على يديه يوم القيامة وذلك أنه أرضى الناس بسخط الله:

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] نسأل الله السلامة والعافية

(١) صيحح: الترمذي (٢٤١٤) وانظر حديث رقم: ٦٠٩٧ في صحيح الجامع.

(٢) وانظر حديث رقم: ٦٠١٠ في صحيح الجامع.

(٣) ضعيف: مسند الشهاب (٤٩٨) وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (١٣٦٥).



وأما كون حامده ينقلب ذامًا فهذا يحصل كثير ويقع في العاقبة فإن العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند أهوائهم وقد أحسن من قال:

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب إن هذا لشيء عجاب قال: وفي الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على الله وأن العقوبة قد تكون في الدين عياذًا بالله من ذلك كما قال تعالى:

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٧] في هذا الحديث في بدايته قوله ﷺ: «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه**» التمس بمعنى طلب وفيه إثبات صفة الرضا لله صفة ثابتة لله بالكتاب والسنة وبإجماع السلف قال سبحانه: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩/ والتوبة: ١٠٠/ والمجادلة: ٢٢/ والبينة: ٨] إثبات صفة الرضا وجاء في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها وأن يشرب الشربة فيحمده عليها**»(١) وإجمع السلف على إثبات هذه الصفة صفة الرضا لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل رضا حقيقي يليق بجلاله وكماله وكبريائه وهكذا أيضًا في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ومن التمس**» أي من طلب

«**رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**» أيضًا يثبت أهل

---

(١) مسلم (٢٧٣٤).



السنة والجماعة قاطبة صفة السخط لله ﷻ وبعضهم يفسرها بالغضب أو بمستلزمات الغضب سخط حقيقي عل حسب ما يفهمه العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فهذه الصفة ثابتة لله في كتاب الله كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨] وكان النبي ﷺ يدعو:

«**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك**»(١) حديث عائشة فهذه صفة ثابتة لله في الكتاب وفي السنة وهكذا أجمع أهل السنة أجمع المسلمون أجمع السلف على إثبات هذه الصفة لله ﷻ من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف على حد قوله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

الأشاعرة والجهمية قبلهم أولوا هاتين الصفتين عطلوا هاتين الصفتين، الله ﷻ أثبت ورسوله ﷺ أثبت وهؤلاء نفوا صفات الله ﷻ إما جحودًا وإما تأويلًا لأنهم يقولون: لا تليق بالله نقول: **فمن أعلم أنتم أم ربنا ﷻ؟ أنتم أعلم أم رسولنا ﷺ؟** فإنه أعلم الناس بربه وهكذا أيضًا السلف الصالح الذين تلقوا علم الرسول ﷺ تلقوه بالدليل بالسلسلة الموصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا - بارك الله فيكم - من أعجب ما يكون وذلك أنهم ردوا وجحدوا ما أثبته الله أو أثبته رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد أن عرفنا أن لله صفة الغضب صفة السخط وصفة الرضا يقول ﵊:

«**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس**» بمعنى أنه إذا قدم ما أراده الله وعظم ما عظم الله وأتمر بما أمر الله وإن أسخط الناس فإن ذلك لا

(١) مسلم (٤٨٦).



يهم أبدًا فإن الله ﷻ سوف يرضى عنه ويرضي عنه الناس لأن نواصي العباد بيد الله ثم أيضًا الناس لن يرضوا عنك سنة الله في خلقه

مـــا ســـلم الله مــــن بريتـــه ولا نبـــي الهـــدى فكيـــف أنـــا

ومن أراد أن يطلب رضا الناس كلهم فهو أحمق وما من رجل طال كعبه في علم أو شرف أو سيادة إلا كان له مادح وقادح وجاء في بعض الآثار الإسرائيلية أن موسى عليه السلام قال: يا رب أسألك سؤالًا قال: سل قال: كف عني كلام الناس في قال الله: ما اتخذت ذلك لنفسي.

فإرضاء الناس غاية لا تدرك، غاية لا تدرك الناس إن تكلمت قالوا: مثرثرًا وإن سكت قالوا: أبكمًا لا يرضون على أية حالة لا بد من الكلام ولا بد لك أنت من التحمل «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**»(١) وأن يكون ديدن الشخص **متى يرضى عني ربي** ﷻ؟ هذا يكون همك الأول والأخير أن تبحث عن رضى الله ﷻ فإن الله ﷻ إذا رضي عنك فأنت من الأولياء أنت من المقربين إليه ﷻ وهنا سؤال قد يقول قائل: **كيف أعرف أن الله راضٍ عني أو ساخط علي؟**

أنا أجيبك على هذا السؤال والجواب عليه سهل وميسر وتستطيع أن تعرف أين محلك في الرضا أو في السخط إن وجدت نفسك منشرحًا بالطاعة مقبلًا على الله نشيطًا إلى الخير فقل: الحمد لله وارجو من نفسك خيرًا هذه علامة الرضا وقد كان بعض الصالحين يقول: اللهم إني قد رضيت عنك **فمتى سترضى؟** عني والنبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم عن العباس: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا

(١) صحيح: الحاكم (١٢٠) والطيالسي (٢١٥) والبيهقي في الشعب (٩٧٧٥) وانظر حديث رقم: ٩٩٢ في صحيح الجامع.

وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا فإن وجدت نفسك نشيطًا إلى الطاعة تأنس بالله تخشع جوارحك يخضع قلبك لله فهنا إن شاء هذه علامة الرضا وإن وجدت نفسك ثقيلًا بطيئًا إلى الخير وإلى الطاعة وعندك من الجرأة على المعصية والذنب فلا زلت بالطريق أنت تحتاج إلى تصحيح تحتاج إلى عناية تعتني بنفسك حتى تصل إلى ربك ﷻ باحثًا عن رضاه فإن وجدت نفسك في حالة أردى من هذه تضيق من القرآن تضيق من السنة تضيق من الخير فاعلم أن هذه علامة السخط نسأل الله السلامة.

ذكروا - بارك الله فيكم - أنه من العلماء في هذا الزمان رجل كان ذكيًا ذكاءً خارقًا ذكي في منتهى الذكاء لكن عنده الغرور رد على الحداثيين على العلمانيين على الملاحدة رجل كان في بلاد الحرمين يدعى بعبد الله القصير وكان بعض مشايخه لكثرة مجادلة هذا الرجل وهو لا زال في الخير والدين والإسلام والقرآن كان من حملة الشريعة كان يقول: أنا أرى هذا مضطربًا ما أظنه يثبت هكذا تفرس فيه مثل ما تفرس الألباني في ثلاثة نفر كما ذكروا في ترجمته جاءه يمكن في السبعينات ثلاثة نفر يجادلونه فقال: هذا ما أظنه يثبت ففعلًا صار من الشيوعيين الثالث صار شيوعي إباحي فهذا عبد الله القصير ذهب إلى لبنان ودخل في بعض المسارح - ولا حول ولا قوة إلا بالله - زل حمار العلم في الطين نسأل الله السلامة والعافية ألف بعد ذلك كتاب بعنوان الأغلال هذا الكتاب الآن قالوا: يدرس في أمريكا هكذا المراد بالأغلال يقول: كأن هذا الدين عبارة عن قيود قيدك عن الخمر قيدك من الزنا قيدك من اللواط قيدك من التبرج من كذا ومن كذا نسأل الله السلامة والعافية ناصحه العلماء أرسلوا له بالرسائل نظمًا ونثرًا ولكن أبى أن يعود إلى الدين وإلى الإسلام هذا - بارك الله فيكم - علامة السخط من علامة السخط.



أن إذا كنت وحدك تخشى الله هذا علامة رضا إذا كنت بمفردك وأنت تعصي الله أو تفكر أو تهم بمعصية الله فانتبه هنا الإشارة حمراء خطر أنت الآن عليك آثار السخط إذا قمت إلى الصلاة نشيطًا طيب النفس علامة رضا إذا قمت إليها كسل فهذه علامة سخط إذا قيل لك: هذا حرام والدليل من القرآن كذا وكذا ومن السنة كذا أو هذا لا يليق بالمروءة فقلت سمعًا وطاعة هذا علامة الرضا فإن أخذت تجادل وتماحك وتكذلك وتبرر لنفسك فهذا من علامة السخط فيحاول الشخص بقدر الإمكان إرضاء الله وفي هذا الحديث تأديب للملوك والرؤساء والحكام والقضاة والعلماء والدعاة الرجال والنساء للراعي والرعية ولجميع المسلمين أن يكون هم العبد هو إرضاء الله ﷻ وأن لا ترضي الناس على حساب دينك ترضيهم على حساب الدين وتداريهم على حساب الدين وتجاملهم على حساب الدين فالناس لا يغنوا عنك من الله شيئًا إذا كانت الآلهة والأصنام تتبرأ ممن عبدها يوم القيامة وهكذا القادة يتبرءون من الأتباع ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٦- ١٦٧] قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧] فيحصل الإبتراء والعداوة والخصام ولكن حين لات مندم فمن الآن أصلح نفسك يا عبد الله وليكن الله همك في السر والعلانية وحاول أن تلتمس رضا الرحمن فإن نواصي العباد بيد الله فإنك إن أرضيت الرحمن أرضى الله بقية البشر وجعلهم يرضون عنك وإن أنت أسخطته انقلب ذلك الرضا سخطًا عليك من حيث لا تدري نسأل الله السلامة والعافية فبدلًا من أن تبقى ترضي هذا وتصلح هذا تلتمس رضا هذا إلتمس رضا الله ﷻ ومن حكايات السلف في هذا الباب أن رجلًا قال لرجل: إن أردت أن تخرج فنبحك كلب فلان **ما تصنع له؟**

قال: أرجمه قال: فإن كانت كثيرة؟

قال: كذلك قال: بإمكانك أن تستعين براعي الأغنام وهو يجنبك هذا الخطر ربما كانت الكلاب مفترسة فهكذا بدلًا من أن تقول: أنا أشتي فلانًا يرضى عني والله أنا خائف فلان هذا يتكلم علي ليش تخاف من فلان؟ دعه يتكلم عنك دعه يقول فيك الناس يجرحون ويعدلون من الشارع ناس سوقة ربما كان بضاعة ذنوب ومعاصي ويتكلم ويحشر أنفه وهو لا يحسن ويتعاطى مسائل أكبر من حجمه فلقد كان السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم يعيشون مثل هذا وما بالوا بمن تكلم فيهم إن تكلم فيك المتكلم وكان كلامه بحق وعرفت أنه حق وإن كان قدحًا وهو حق فيك تراجعت وإن كان كذبًا وزورًا فالله يتولى الدفاع عنك يقول الله ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج:٣٨] ويقول الله ﷻ:

«**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»[(١)] وهكذا - بارك الله فيكم - عاش الأنبياء وأتباع الأنبياء يكون هم الواحد منهم أن يرضى عنه ﷻ وهو دائمًا حريص كل الحرص على أن يقدم رضاه لأن في إرضاء الله ﷻ خير لك يا عبد الله في الدنيا والآخرة أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا ما يسخطه ويأباه والله المستعان.



(١) البخاري (٦١٣٧).



باب قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فيقول الشيخ الفاضل محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

هذا الباب العظيم باب التوكل هو من أجمع أبواب الإيمان والتوحيد وأعمقها وأعلاها وأرفعها فإذا كان العلماء يحرصون كل الحرص أن يذكروا في كتب العقيدة والتوحيد باب التوكل فمناسبة دخوله في باب أو في كتب التوحيد ذلك أن التوكل على قسمين وبعضهم أضاف قسمًا ثالثًا:

فأما من توكل على الله وحده لا شريك له فقد توكل على الله وعبده حق عبادته ومن توكل على غير الله فيكون قد أشرك شركًا أكبر مخرجا من الملة والله ﷻ أمرنا بأن نتوكل عليه في أمورنا كلها قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] فشرط الإيمان أن يتوكل على الله ويقول سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

والتوكل في اللغة: بمعنى التفويض وقال بعضهم: التوكل لغة: هو الإعتماد على الغير في دفع مضرة أو جلب منفعة وأما في الإصطلاح قالوا: هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار ولا ينافي الأخذ بالأسباب.

فالتوكل إخواني هذه أقسامه:

فمن توكل على الله فهذا توكل مشروع يؤجر عليه صاحبه وهو من الموحدين ومن توكل على غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله يكون قد أشرك شركًا أكبر مخرجًا من الملة حينما يقول الشخص: هو متوكل على فلان ويجعل اعتماده ورجاءه وخوفه منوطًا ومرتبطًا بفلان من الناس وأما القسم الثالث: فربما يكون سببًا من الأسباب لكن بعضهم يصيره حتى يرفع هذا الأمر فوق السبب مثلًا الوظيفة سبب من أسباب الرزق وإلا فربما كان رزقك في غير الوظيفة أكثر وأعظم وأنفع وأبرك فلا ينبغي أن تجامل أو أن تحابي مديرك في العمل أو الشركة التي أنت فيها أو أن يكون الشعور: لولا هذه الشركة لولا هذه الشهادة لولا هذه الوظيفة لمت جوعًا هذا - بارك الله فيكم - خدش في التوكل وطعن في التوحيد أيضًا من العلماء من يذكر قسمًا رابعًا وهو التوكل المشروع أو الجائز المباح فيما إذا وكل الرجل شخصًا يقوم بأعماله قال: أنت وكيلي في أعمال كلفتك بها هنا توكل شرعي كما حصل للنبي ﷺ حينما قدمت له مائة من الإبل في حجة الوداع فكان بيده الحربة من أجل أن ينحرها نحرًا لا يذبحها ذبحًا لأن الإبل تنحر وهي قائمة معقولة في الرجل اليمنى واليد اليسرى أو العكس فكانت الإبل تزدلف إليه ﷺ أيها ينحرها أولًا كرامة من الله لنبيه عليه السلام فنحر ﷺ ثلاثًا وستين إبلة قيل في ذلك إشارة إلى تمام سنه هذا المقدار عمره ﷺ وفى ثلاثة وستين عامًا ثم وكل علي بن أبي طالب أن ينحر ما بقي من الإبل ثم وكله ألا يعطي الجازر



منها شيئًا وهكذا وكل النبي ﷺ أناسًا من أصحابه كثيرين وكل خالد بن الوليد أن يأتي الشعرى فيهدمها ووكل عمار بن ياسر وعلي بن أبي طالب أن يأتيا المرأة التي كانت تحمل خطابًا إلى أهل مكة من حاطب بن أبي بلتعة قال: أدركوا الظعينة بروضة خاخ تحمل رسالة إلى أهل مكة فذهب إليها علي وعمار وقالا لها: هاتي الكتاب قالت: ما عندي كتاب فقالوا لها: ما كذبنا ولا كذبنا أي نحن صادقون فيما ندعي وما كذبنا أي ما كذبنا من أمرنا وهو رسول الله ﷺ فأبت فقال لها علي: إن أبيت نجرد ثيابك فأخرجت الرسالة من قرون ظفيرتها ودفعتها لهذين الصحابيين الكريمين وهكذا أيضًا من وكل رجلًا في عمل من الأعمال المعينة وكلتك أن تكون لي سكرتيرًا مندوبًا مديرًا مشرفًا على أعمالي هذا من التوكيل الجائز لكن من جعل تألهه وتنسكه من قلبه لفلان دون الله ﷻ لا سيما في جلب النفع وفي دفع الضر فهذا يكون من التوكل المحرم الذي يفضي بصاحبه إلى حد الإشراك بالله لذا جاء في مسند أحمد وفي جامع الإمام الإمام الترمذي أن النبي ﷺ قال والحديث من حديث عمر:

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»(١) فالتوكل الشرعي لا ينافي الأخذ بالأسباب لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإعتماد على السبب شرك وترك السبب قدح في الشريعة لو أن شخصًا قال: أنا متوكل على الله لن آكل ولن أشرب ولن أتزوج سوف يأتيني الشراب ويأتيني الطعام ويأتيني النسل الطيب دون أن يباشر الأسباب فهذا مجنون ليس بعاقل، المتوكل: هو الذي يبذل السبب المتوكل هو الذي يرمي البذرة في التربة وينتظر نتاجها هذا متوكل على الله لكن الأول جاهل هو متواكل وليس متوكل لذا جاء في البخاري:

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٣٤٤) وأحمد (٢٠٥) والطيالسي (٥١) وانظر السلسلة الصحيحة (٣١٠).

أن أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فقال عمر أو ابن عباس: هم المتواكلون ونزلت الآية: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [البقرة:١٩٧] فمن اعتقد في هذا السبب من جهة أخرى يعني عندك سببًا من الأسباب أنت تاجر مثلًا تعتقد أن لولا هذا السبب مت جوعًا لولا هذه الوظيفة مت جوعًا لا، الإعتماد على السبب شرك وترك السبب قدح في الشريعة سذاجة وجهل عميق وعقيم ومركب ولكن تتوكل كما تتوكل الطير الطير تتوكل على الله الحشرات الحيوانات تخرج باحثة عن أرزاقها في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**دخلت امرأة النار بهرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(١) لا هي أطعمتها جابت لها الطعام ولا تركتها اتركها على الله ﷻ فماتت هذه الهرة فدخلت المرأة النار ولا حول ولا قوة إلا بالله بسبب هرة وهكذا، هذا من الظلم والشاهد - بارك الله فيكم - أن هذه الهرة تخرج باحثة عن أرزاقها وهكذا سائر الحيوانات المملوكة والغير مملوكة والأليفة والغير أليفة المتوحشة رزقها على الرحمن ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود:٦] فالطير يخرج من الصباح من وكره باحثًا عن العيش وعن الرزق تغدو خماصًا أي جائعة البطن ثم تروح بطانًا وما عندها زمبيل ولا علاقية ولا قرطاس ولا شيء وإنما أكلت وارتوت ارتعت أكلت ثم رجعت إلى وكرها **من الذي أطعمها؟**

الله، الله ﷻ هو الذي أطعمها النبي ﷺ يضرب مثلًا بهذا العصفور وهكذا الله ﷻ يقول للناس: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] فلا بد أن تكون هذه العقيدة عقيدة سليمة في قلب المؤمن الواثق بالله ﷻ

(١) البخاري (٣١٤٠) ومسلم (٢٦١٩).



وأن يعلم أن الله خلقه وقد تكفل برزقه كما جاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين:

«**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأثره وشقي أو سعيد**»(١) وحديث أبي الدرداء في مسند أحمد أن النبي ﷺ قال:

«**إن الله فرغ إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وأثره وعمله وشقي أو سعيد**»(٢) أمور انتهي منها «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٣)،

مشيناها خطًا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطًا مشاها

وأرزاقًا لنا متفرقات ... فمن لم تأته حتمًا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

الأمور حسمت فلذلك حرم الله الحسد حرم الله البغضاء حرم الله الشحناء حرم الله ﷻ أمراض القلوب الأرزاق قسمها الله لكن أنت خذ بالسبب الشرعي السبب الشرعي ليس هو المحرم وليكن اعتمادك على الله لا على الخلق فالخلق كما في الحديث: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله**

---

(١) البخاري (٣٠٣٦) (٣١٥٤) (٧٠١٦) ومسلم (٢٦٤٣) وأبو داود (٤٧٠٨) والترمذي (٢١٣٧) وابن ماجة (٧٦) وغيرهم.

(٢) صحيح: أحمد (٢١٧٧١) وانظر حديث رقم: ٤٢٠١ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

عليك»(١) إذن عليك أن تستريح قيل لحاتم الأصم وهذا الرجل كان إمامًا زاهدًا قدوة - أبو عبد الرحمن - حاتم بن عنوان بن يوسف من أقران الإمام أحمد يأتي ويسأله الإمام أحمد وكان يلقب بلقمان هذه الأمة وكان له ثلاث نساء وعنده أولاد كثر قالوا له: على أي شيء بنيت أمرك في التوكل؟ قال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي، هذا العلم ما جاء من فراغ هذا عالم كبير يحفظ القرآن والإسلام كله في رأسه يقول: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يطلبني فأنا أبادره وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحٍ من الله سبحانه وتعالى،

ما شاء الله تحرر من الرق الذي استأسر كثيرًا من الناس رق العبودية عبودية الدينار والدرهم يشلطها من حلال أو من حرام كما قال ابن القيم:

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»**(٢) يعظم الدنيا وتجده يعظم هذا المدير أو هذا الرئيس أو هذا الذي عن طريقه وظيفته أعظم من تعظيمه لله إذا رآه إعظام وإجلال طيب والذي خلق؟

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠- ١٣]

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٢) البخاري (٢٧٣٠).



ومعنى ما لكم لا ترجون لله وقارًا أي ما لكم لا تعظمون الله حق تعظيمه فالتوكل من أجمع خصال الإيمان وعلى الداعية إلى الله أن يكون متوكلًا على الله في فتح قلوب الناس وأن تؤثر دعوته في الناس وأن يكون مرتبطًا بالله ﷻ لا أن يكون مرتبطًا بالناس وإنما يكون اعتماده على الله ﷻ فهذه عقيدة الأنبياء وهذه الآية التي ساقها المؤلف ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] قالها أصحاب موسى عليه السلام حينما أرادوا أن يدخلوا على أرض فلسطين التي كانت أرضًا مقدسة بأيدي المشركين بأيدي الوثنيين فقال بعضهم لبعض: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ [المائدة:٢٣] أي اهجموا عليهم اهجموا على هؤلاء الأعداء ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] يعني من شروط الإيمان توكلكم على الله ﷻ وهكذا موسى مواقفه معروفة وهكذا نبي الله هود عليه السلام قال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ [هود:٥٦] وهكذا إبراهيم توكل على الله ﷻ وهدم الأصنام وجاهد في ذات الله لذلك يمتدحه الله بقوله:

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧] ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] وهكذا أيضًا نبينا ﷺ ومواقفه كثيرة في باب التوكل قبل أن ننتهي من قصة إبراهيم سوف يأتي في آخر الدرس ما قاله ابن عباس وليس هذا من كلام ابن عباس أعني موقوفًا عليه يعني قال ذلك بإشارة من رسول الله ﷺ أو مما هو عن أهل الكتاب قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حينما ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حينما قيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] فإبراهيم في أضيق الأمور يقول: حسبنا الله أي كافيني الله وقد جمعوا الأحطاب وأرادوا إحراق إبراهيم **وإيش فعل من جريمة؟**

دعاهم إلى التوحيد إلى نبذ الشرك إلى الطاعة إلى نبذ المعصية إلى السنة إلى نبذ البدعة ولكن هكذا أرادوا إحراقه لكن الله أراد عدم ذلك فكان أمر الله ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] سلمه الله ﷻ.

ثم ساق المؤلف ما كان عن نبينا ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] وذلك أنه بعد غزوة أحد وما كان في المسلمين من القتل والجراحات ذكر الله ذلك في سورة آل عمران كما تقدم لنا في بعض الدروس قتل من أصحاب نبينا ﷺ أكثر من سبعين ورجعوا إلى المدينة وفيهم من اللأواء والجراحة فمر بعض الناس بأبي سفيان وكان لا يزال على الشرك فقال: **أين تريدون يا قوم؟** قالوا: المدينة قال: فأخبروا محمدًا وأصحابه أننا قادمون لنستأصل شأفتهم هكذا غرورًا وكبرًا ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ المراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبو سفيان وأصحابه والمراد بالناس الذين مروا مارة يريدون المدينة فلما وصلوا أخبروا النبي ﷺ وأصحابه قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ أبو سفيان يريدون الرجوع بعد غزوة أحد فيندب النبي ﷺ أصحابه فخرجوا إلى منطقة يقال لها: (حمراء الأسد) وكان بعضهم مصاب بجراحة هو وأخوه فهذا يحمل هذا قليلًا وذاك يحمله قليلًا حتى وصلوا إلى ذلك الموضع فكما قال الله أنهم لم يمسوا بأذى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] أولا كان اعتمادهم على الله فلما اعتمدوا على الله اسمع إيش بعدها

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤] رجعوا إلى المدينة أما أبو سفيان وأصحابه فإنهم خافوا ورجعوا على



مكة فارين خوفًا من نبينا ﷺ ومن أصحاب نبينا رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.



وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].



قال: وقول الله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] وهذه من أوصاف أهل الإيمان على جهة العموم فدائمًا يتوكلون على ربهم ﷻ.



وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].



وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤] ومعنى حسبك الله أي كافيك الله ومن اتبعك بعضهم يفهم هذه الآية فهمًا غير صحيح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [الأنفال:٦٤] ليس معنى ذلك أن الله حسبك وكذلك حسبك من اتبعك، لا، وإنما أنت ومن اتبعك حسبكم الله أي كافيكم الله كما قال سبحانه:

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤] قال ابن القيم: الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.



وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:٣].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] رواه البخاري، والنسائي(١).

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفيسر الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد ﷺ في الشدائد.



(١) البخاري (٤٢٨٧) وسنن النسائي الكبرى (١٠٤٣٩).



وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي كافيه ذكر لنا بعض الناس أن رجلين مسلم ويهودي كان كل واحد منهما له حمار ينزل في نزلة تسمى نقيل أو عقبة فاليهودي قال: يا ألله أسألك أن تحفظ حماري فسلم الحمار وإلا فاليهودي يهودي عقيدته باطلة ولكن ابتلاء واختبار والمسلم الجاهل قال: يا ألله ويا خمسة زاد جنب الله خمسة على شان كل واحد في جهة وواحد في الرأس فإذا بالحمار يتردى من قمة الجبل إلى أسفل ومات الحمار وذهبت البضاعة كلها،

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقال له اليهودي: أنا اكتفيت بواحد - يعني رجع اليهودي أفقه من المسلم - وهكذا بعض الناس اليوم ربما كان عنده في قلبه لجوء ورجاء من غير الله نسأل الله السلامة والعافية والأولى أن يكون الشخص دائمًا همه الله في السراء والضراء فهو الذي إذا أنزلت مصيبتك أو همك عليه أنجاك وأسعدك وجعل لك بعد الشدة فرجًا ومخرجًا وبعد العسر يسرًا،

توكل على الرحمن في الأمر كله ... فما خاب حقًا من عليه توكلا

وكن واثقًا بالله واصبر لحكمه ... تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

وحديث ابن مسعود عند الترمذي: «**من أصابته فاقة فأنزلها بالله أوشك الله له برزق عاجل أو آجل ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته**»(١)

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

لا تشكون إلى ابن آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

***

(١) صحيح: أبو داود (١٦٤٥) وأحمد (٣٨٦٩) وانظر حديث رقم: ٦٥٦٦ في صحيح الجامع.



يـا صـاحب الهـم إن الهـم منفـرج أبشـر بخيـر فـإن الكاشـف الله

الله هو الذي يجعل لنا الفرج والمخرج فمن توكل على الله كفله الله ﷻ وضمن الله ﷻ له حياته كلها **فمن الذي يحفظ السفن في البحر؟ ومن الذي يحفظ الطائرات في الفضاء؟ ومن الذي يحفظ السيارات وهي تمشي على هواء؟** إنه الله ﷻ إذن على الشخص أن يكون في قلبه هذه العقيدة عقيدة التوكل على الله ﷻ وأن يعلم أن الخير بيد الله وأن الرزق بيد الله وأن العطاء من فضل الله وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله على كل شيء قدير **ماذا تريد بعد هذا؟** ما بقي إلا أن نتوكل عليه ﷻ في جلب النفع وفي دفع الضر وإياك أن تركن إلى غيره من الخلق فإنهم لا يضرون ولا ينفعون لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا في أمور من باب التعاون فقد كان النبي ﷺ يطلب من أصحابه تعاونًا لكن ليس معنى ذلك أن يكون تعظيمك ورجاؤك مثل رجائك لله ﷻ فالله هو الذي يعظم وهو الذي يقدس وهو الذي يعبد وهو الذي يرجى وهو الذي يخاف منه أما هذا أخوك إنسان ضعيف مثلك لا يستطيع حولًا ولا قوة وقد كان النبي ﷺ يقول كما أمره الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يرينا الحق حقًا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلًا فيرزقنا اجتنابه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





باب قول الله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول الله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ **[الأعراف:٩٩]**.

هذا الباب معقود لأمرين اثنين:

الأمر الأول: الأمن من مكر الله.

والثاني: القنوط من رحمة الله وكلاهما طرفا نقيض.

الأمن من مكر الله يعني يعطي نفسه الأمان التام ويستدرجه الله ﷻ بنعمه فلا يبالي يمشي يركض وراء الذنوب والمعاصي ولا يخاف الله ﷻ.

والقنوط من رحمة الله أن يصاب باليأس والقنوط هو أشد اليأس يستبعد الفرج والخير وكلاهما حرام والمؤمن من وفقه الله لأن السائر إلى الله يعترضه في طريقه هذان الأمران آفتان ومصيبتان إما أمن من المكر وإما قنوط من الروح أو الرحمة وسوف يأتي والموفق هو الذي لا يأمن من مكر الله ولا يقنط من رحمة الله بل هو بين الخوف والرجاء وهذه من أساسيات العبادة من أساسيات الدين لذا يقول العلماء:

من عبد الله بالمحبة فهو صوفي فالصوفية يقولون: نعبد الله ليس طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره ولكن نحبه قالوا: ومن عبد الله بالخوف فهو حروري خارجي ومن عبد الله بالرجاء فهو مرجئ ومن عبد الله بالخوف والمحبة والرجاء فهو مؤمن والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] والنبي ﷺ يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**»(١) فنتناول الكلام أولًا عن الأمن من مكر الله **وهل لله مكر؟**

نعم يثبت أهل السنة والجماعة صفة المكر لله وهي صفة تليق بجلاله وكماله وكبريائه والمكر معناه: التوصل للإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر فهي صفة كمال من وجه وذم من وجه آخر فإن كنت تمكر بمن لا يمكر بك فهي ذم فأنت مطالب بأن تكون مستقيمًا على الطاعة والهداية وإن كنت إنما تريد المكر بمن يحاول المكر بك فهي صفة كمال ومدح لذا يروى عن عمر وقيل ابن سيرين أنه كان يقول: «**لست بالخب ولا الخب يخدعني**» وأما إثباتها في حق الله فيقولون هي صفة كمال مطلق لأنها صفة مقابلة يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤] فيوصف الله بالمكر أي بمن يمكر به كما قال ﷻ في كتابه الكريم في حق الاستهزاء: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] حينما كان عندهم استهزاء استهزأ الله ﷻ بهم فتكون هذه من صفات المقابلة يستخدمها الله فيمن كذا بخلاف بعض الصفات التي هي سلب أو ذم من كل اتجاه كالخيانة مثلًا قال الله ﷻ:

﴿خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ﴾ [الأنفال:٧١] وما قال: فخانهم لأن الخيانة صفة

---

(١) مسلم (٢٨٧٧) وأبو داود (٣١١٣) وابن ماجة (٤١٦٧) وأحمد (١٤٦٢٠) وابن حبان (٦٣٨) والطيالسي (١٧٧٩) وغيرهم.



نقص من كل وجه فهذه الآية التي ساقها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: وقول الله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٩٩] الإستفهام هذا يسميه العلماء بالإستفهام الإنكاري أو للتعجب من حال هؤلاء الآية هذه في سورة الأعراف وقبلها الآيات ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف:٩٦] والمراد بالقرى: الأرياف والمدن لأن المدن أساسها من القرى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦] ثم قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف:٩٧] أفأمن هؤلاء حينما أغدق الله عليهم بالطاعة والخير ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٨- ٩٩] الخاسر هو الذي يأمن المكر من خسر في هذه الدنيا والآخرة هو الذي يأمن المكر الكافر أما المؤمن فلا لأنه يعلم أن الله ربما يستدرجه كما قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٢- ١٨٣] وفي حديث أبي موسى في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]»[١] فالله يمهل ولا يهمل أمهل الله النمرود وأمهل فرعون وأمهل الكفار **لكن بعد ذلك ماذا؟**

أخذهم فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعطي للعباد من النعم لكن بعد الإمهال فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينتقم أشد الإنتقام يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٢- ٤٣] تأمل إلى حال الشيطان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً

---

(١) البخاري (٤٤٠٩) ومسلم (٢٥٨٣).

﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤- ٤٥].

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ له كلام حول هذه الآية وهو من الفقه يقول: إن الله سبحانه وتعالى لا يفضح العاصي من بداية أمره ولكن مرتين ثلاث أربع الله يمهل،

سبحان من يعفو ونهفو دائمًا	**ولا يزل مهما هفا العبد عفا**
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه	**جلاله من العطا لذي الخطا**

عظيم حليم الله حليم يحلم هو قوي قدير ولكن عفو غفور رحيم رؤوف عل العبد أن يرجع عله أن يتوب رجل من الناس كان في بلاد الأندلس وكان عنده من المال والأبهة وأصناف الثرى وكان له من الأولاد والبنين ما يقارب ثلاثين فردًا ذكورًا وإناثًا وكان يأمر الخدامين فيأتون بالتراب ويخلطوه بالمسك ويجعل بناته تمشي على هذا المسك وكان عنده من العنجهية ثم بعد ذلك ينام على خمر وطرب وغناء فتأتي دولة المرابطين لتجتاح دولته وكان كأمس الذاهب

يا راقد الليل مسرورًا بأوله	**إن الحوادث قد يطرقن أسحارا**

أخذ هذا الملك وأودع في السجن أمس ملك واليوم سجين وقتل من أولاده كثير وأما بناته ونساؤه فصرن شغالات وغزالات عند الوزراء والأمراء في الدولة الجديدة دولة المرابطين فتذهب بناته يوم العيد وهو في سجن في منطقة اسمها أغمات في بلاد المغرب وهو سجين والبنات في حالة رثة لابسات ثياب مقطعة ممزقة مهلهلة وما عندهن أحذية حفاة حالة بائسة من أمور الدنيا فتذكر حينما رأى هذا المنظر ما كان من قبل فانطلق منشدًا يقول:

فيما مضى كنت في الأعياد مسرورًا	**فساءك العيد في أغمات مأسورًا**
ترى بناتك في الأطمار جائعة	**يغزلن للناس لم يملكن قطميرًا**

بـــرزن نحـــوك للتســـليم خاشـــعة ... أبصـــارهن حســـيرات مكاســـيرا
يطـــأن في الطـــين والأقـــدام حافيـــة ... كأنهـــا لـــم تطـــأ مســـكًا وكـــافورًا
مـــن عـــاش بعـــدك في ملـــك يســـر بـــه ... فإنمـــا عـــاش في الأحـــلام مغـــرورًا

فبكى من هول ما رأى وهكذا أمر الدنيا فمن الناس من يعطي لنفسه العنان ويظن أنه بعيد كل البعد من قبضة الله ومن إحاطة الله به ثم يأتيه الأجل ويعود إلى النقص بل وربما تسلب منه هذه النعمة وهذا أمر حتمي لكل شيء إلا أن يشاء الله،

لكـــل شـــيء إذا مـــا تـــم نقصـــان ... فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش إنســـان
هـــي الحيـــاة كمـــا شـــاهدتها دول ... مـــن ســـره زمـــن ســـاءته أزمـــان

حكمة الله حتى هذه الآية المباركة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة:٣] بكى عمر بن الخطاب حينما سمعها بكى لأنه عاقل ملهم فقيه عملاق **ما لك يا أبا حفص؟ ما الذي أبكاك؟** قال: «**قد علمت أنه ليس بعد التمام إلا النقصان**» فالأمن من مكر الله مصيبة الشيطان يغريك والدنيا والهوى ربما يكون في شيء من الصحة فيغتر والعياذ بالله وإلا فأنت يا ابن آدم مسكين فلم تغتر ولم تأمن من مكر الله وتحرق نفسك بالذنوب والمعاصي وتظن أنك في خير بعض الناس يحرق نفسه بالذنب لأن الذنوب حرارة الذنوب فيها حرارة توجد هذه الحرارة على القلب وعلى الجسد في الدنيا والآخرة وهو يظن أنه في خير وفي نشوة لا يدري أنه يعيش في حياة أشر والله من الحيات والعقارب والثعابين على أنهم يقولون: إن جلود الحية رطبة حتى قال الشاعر:

إن الأفـــاعي وإن لانـــت ملامســـها ... عنـــد التقلـــب في أنيابهـــا العطـــب

فالسرقة والزنا وقلة الحياء والنظر إلى بنات الهوى والشر الشيطان يزينه ويجعل

الشخص والعياذ بالله في غفلة حتى إذا ما صرعه هاذم اللذات هنالك يصحو ويقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون:٩٩] والنبي ﷺ يقول: «**إذا رأيت الله يعطي العبد وهو قائم على معاصيه فاعلم أن ذلك استدراج ثم قرأ** ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]»(١) هذا - بارك الله فيكم - فيما يتعلق بأمر الأمن من مكر الله

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] وهذا الإستثناء للحصر لأن ما قبله فرغ له فلا يأمن المكر إلا القوم فالقوم فاعل لما قبل الإستثناء فيسمى هذا استثناء مفرغًا وخلاصة ما تقدم أن الأمن من مكر الله محرم معصية.



وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].



وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] فالقنوط أشد أنواع اليأس بحيث يستبعد الإنسان حصول الفرج حصول الخير حصول اليسر - نعوذ بالله - بعض الناس عنده نظرة خاطئة والواجب أن يكون حسن الظن بربه ﷻ،

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

كان النبي ﷺ يكره التشاؤم ويحب التفاؤل وهي الكلمة الطيبة فتفاءل يا عبد الله تفاءل بالخير من ربك ﷻ فالقنوط من كبائر الذنوب وهو محرم وفي قوله: ﴿إِلَّا

---

(١) صحيح: أحمد (١٧٣٤٩) والمعجم الأوسط (٩٢٧٢) وشعب الإيمان للبيهقي (٤٥٤٠) كلهم بلفظ: «ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ..﴾ وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٤١٣).



ٱلضَّآلِّينَ﴾ الضال هنا بمعنى فاقد الهداية وقد يراد به الكافر - نسأل الله السلامة والعافية -.



وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: «الشركُ بالله، وَاليَأْسُ مِنْ رَوحِ الله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله»(١).



ثم ذكر عن ابن عباس وهو عبد الله بن عباس صحابي جليل أن النبي ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله**» أما ما يتعلق بأمر الكبائر فهي عكس الصغائر وفي هذا دليل على أن المعاصي على قسمين صغائر وكبائر واختلف العلماء في تحديد الكبيرة من الصغيرة فقالوا: إن الكبيرة أو ضابط الكبيرة ما ترتب عليها حد في الدنيا أو توعد صاحبها بعقاب في الآخرة أو بنار أو بلعنة أو بسخط وما دون ذلك من الصغائر ثم قالوا عبارة جميلة: «**إنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار**»، فمن ارتكب كبيرة وتاب تاب الله عليه قال سبحانه:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥] والصغيرة ربما تعرض صاحبها للهلاك إذا لم يتب منها العبد لأن الصغيرة تعود في الغد من كبائر الذنوب والآثام والنبي ﷺ يقول:

«**إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد**»

(١) المعجم الكبير (٨٧٨٣) ومصنف عبد الرزاق (١٩٧٠١).

هذا مثال ضربه النبي ﷺ «**فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أشعلوا نارًا وأججوا بها خبزتهم وإن مثل محقرات الذنوب كمثل ذلك تجتمع على صاحبها حتى تهلكه**»(١)

وفي رواية عائشة: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبًا**»(٢)،

لا تحقرن من الذنوب صغيرًا ... إن الصغير غدًا يعود كبيرًا

إن الصغير وإن تقادم عهده ... عند الإله مسطر تسطيرًا

وقال آخر:

لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصى

فالذنب إلى الذنب يشكل خطرًا على الشخص «**تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا**»(٣) - نسأل الله السلامة والعافية - فيقول النبي ﷺ وقد سئل عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله**»(٤) والكبائر كثيرة بعضهم يقول: هي سبع وبعضهم يقول: سبعون وبعضهم يقول: سبعمائة كثيرة جدًا فهذا لا يفيد الحصر فبين النبي ﷺ هنا بعض الكبائر وإلا فقد جاء حديث أبي هريرة:

«**إجتنبوا السبع الموبقات**»(٥) وهي أكثر من هذه.

---

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (٥٨٧٢) والأوسط (٧٣٢٣) والصغير (٩٠٤) والبيهقي في الشعب (٧٢٦٧) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧١).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٤٢٤٣) والدارمي (٢٧٢٦) وابن حبان (٥٥٦٨) والمعجم الأوسط (٢٣٧٧) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧٢).

(٣) مسلم (١٤٤).

(٤) البخاري (٥٦٣٢) ومسلم (٨٨).

(٥) البخاري (٢٦١٥) ومسلم (٨٩).



والمراد بالشرك في اللغة: أن تجعل لله ندًا وفي الإصطلاح: أن تجعل لله شريكًا في ربوبيته أو في ألوهيته أو في الأسماء والصفات، قال: «**الشرك بالله**» والشرك أعظم الكبائر وأكبر الكبائر قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢] وأما اليأس فالمراد به القنوط من روح الله أي من رحمة الله والأمن من مكر الله أي الغفلة من إحاطة الله بك يا عبد الله وقد فالمؤمن تقدم شيء من ذلك.



وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، رواه عبد الرزاق[1].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.



وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله**» وهذا موقوف والذي قبله صحيح

---

(١) المعجم الكبير (٨٧٨٤) ومصنف عبد الرزاق (١٩٧٠١).

وهذا صحيح أيضًا فهنا ذكر القنوط وذكر اليأس والفرق بين اليأس والقنوط أن اليأس استبعاد زوال المكروب والقنوط استبعاد حصول المطلوب وكلاهما حرام فالمؤمن مطالب أن ينبذ هذا عن نفسه وأن يكون حسن الظن واثق بالله سبحانه وتعالى

إذا يئست وكاد اليأس يقطعني جاء الرجا مسرعًا من جانب اليأس

وعندنا كتاب في المكتبة لأخينا في الله عبد الكريم الديوان بعنوان «**كيف تواجه اليأس؟**» فلا ينبغي للعبد أن يجعل اليأس القنوط يدب إلى قلبه أو الأمن من مكر الله بل عليه أن يكون دائمًا خائفًا من الله راجيًا فيما عند الله سبحانه وتعالى وأن يكون ذاكرًا لله لأن من ذكر الله سبحانه وتعالى بصره الله سبحانه وتعالى بعيوبه قال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] فذكر الله سبحانه وتعالى عامل رئيسي هذا من الدواء ذكر الله سبحانه وتعالى دواء وشفاء للقلوب والله المستعان،

وبهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

أما قوله: باب فيصلح أن تكون هذه العبارة خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا باب هذا من حيث الإعراب ويصلح أن يكون مجرورًا بجملة محذوفة تقديرها أقرأ في باب ويعرب أيضًا مفعولًا به بتقدير أعقد بابًا أو أؤلف بابًا أو أقرأ باب كذا ومعناه في اللغة: اسم لما يخرج ويدخل منه إلى الشيء.

واصطلاحًا: هو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وقد مر بنا هذا كثير ولكن من باب التعليم والتذكير.

قوله: من الإيمان،

من هاهنا تبعيضية يعني من بعض الإيمان والمراد بالإيمان في اللغة: التصديق.

واصطلاحًا: نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ومن اعتقاد أهل السنة أنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والإيمان أصوله ستة تعرفونها أنتم حديث جبريل وحديث أبي هريرة أحاديث مشهورة «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن تؤمن بالقضاء والقدر**



خيره وشره من الله تعالى»(١).

وقوله: من الإيمان بالله الصبر،

بمعنى من شعب الإيمان، الإيمان له شعب خصال بينها النبي ﷺ بقوله: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(٢) فمن تلك الشعب الصبر على أقدار الله وللإمام البيهقي كتاب بعنوان «**شعب الإيمان**» فمن شعب الإيمان الوضوء، رد السلام، حقوق الجار، احترام الآخرين، غض البصر الشعب كثيرة فمن ذلك الصبر على أقدار الله.

الصبر من حيث اللغة العربية: هو بمعنى الحبس ومنه قولهم: قتل صبراً أي محبوسًا مأسورًا إذا أخذ الرجل فترك في مكان يقاسي ويصارع الموت حتى يموت يقال: هذا قتل صبراً واشتق هذا التعريف اللغوي للتعريف الإصطلاحي الشرعي فيقولون: هو حبس النفس على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله.

الصبر ثلاثة أقسام:

تصبر على الطاعة دليل هذا قول الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف:٢٨] ودليل هذا القسم قول الله: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه:١٣٢] وقوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان:٢٣- ٢٤] هذا صبر على الطاعة تصبر على الأوامر الله كلفك بطاعات اصبر.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مسلم (٣٥).



وصبر عن معصية الله ومن ذلك صبر يوسف عليه السلام حينما قالت له المرأة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣] وفي قراءة: «**هئت لك**» قال ابن العثيمين: إن قلت إنها قد تجردت عن ملابسها هكذا بمعنى أن الآية تقبل هذا المعنى ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣] ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] ثم في نهاية المطاف يتحدث يوسف عن نفسه قائلًا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ يصبر عن المعصية ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠] ومن ذلك حديث السبعة الذين في البخاري ومسلم قصتهم سبعة أصناف ليس أشخاص رجال ونساء يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل وذكر الرجل على جهة التغليب دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين[(١)]، قيل: إن رجلًا قال لامرأة: ما يرانا إلا هذا الكوكب قالت له: **فأين مكوكبها؟**

وقيل إن رجلًا خلا بامرأة فقالت له: أغلق الأبواب فقال: قد أغلقتها كلها قالت: نسيت بابًا لم تغلقه فقام ورجع وقال: لم يبق شيء قالت بل نسيت بابًا إنه باب السماء فاقشعر جسده وقفى شعر رأسه وقام.

وذكر ابن قدامة في كتابه التوابين أن رجلًا حدثته نفسه بالمعصية فلما أن قدر عليها قالت له المرأة: قم فتذكر قول الله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦] فما استطاعت رجلاه أن تحمل جسده فامتنع وخرج هاربًا تائبًا إلى الله،

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل — خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة — ولا أن ما تخفي عليه يغيب

(١) تقدم تخريجه.

ألــم تــر أن اليــوم أســرع ذاهــب وإن غـــدًا للنـــاظرين قريـــب

هذا هو القسم الثاني صبر عن المعصية اصبر،

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ألـذ وأحلى من جنى النحل في الفم

القسم الثالث: الصبر على الأقدار وهذا هو موضع الشاهد من الدرس فالله ﷻ يقول: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [القلم: ٤٨/ والإنسان: ٢٤] أي لقضائه وقدره ويقول سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ومنه قول النبي ﷺ لإحدى بناته حينما أرسلت إليه أن يأتي لأن أحد أبنائها نفسه تقعقع أي تحتضر قال له: «**قل لها فلتصبر ولتحتسب**»(١) وهكذا حينما مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر والحديث في البخاري في كتاب الجنائز الجزء الثالث من فتح الباري فقال لها: «**يا أمة الله اتق الله واصبري**» فقالت له: إليك عني - وهي لم تعرفه - فإنك لم تصب بمصيبتي فقيل لها: هذا رسول الله ﷺ فأتت إليه قالت: لم أعرفك فقال النبي ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(٢) فالعبد يحتاج إلى الصبر.

وهنا كلام عن الصبر وأقسامه وأنه على ثلاثة أقسام صبر على طاعة الله وصبر عن معصيته وصبر على الأقدار والصبر أيها الأخوة يقول الإمام أحمد رحمه الله: ذكر في أكثر من تسعين موضعًا وأحد المعاصرين تتبع آيات الصبر فوجدها (١٠٣) آية من القرآن الكريم إما أمرًا أو حثًا أو إخبارًا عن أحوال الصابرين والنبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «**والصبر ضياء**»(٣) يضيء للإنسان طريقه إلى جنة عرضها

---

(١) البخاري (١٢٢٤) ومسلم (٩٢٣).

(٢) البخاري (١٢٢٣).

(٣) مسلم (٢٢٣).



السماوات والأرض قال ﷻ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢] ويقول النبي ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرًا ولا أوسع من الصبر**»(١) ولذلك كان الأنبياء من أكثر الناس صبرًا يصبرون على الطاعة وعن المعصية وعلى أقدار الله فيقول الله ﷻ في كتابه الكريم في حق أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤] صبر على البلاء ثمانية عشر عامًا أيوب وهكذا في الحديث: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**»(٢) وتعرفون ما حصل لنوح من الإبتلاء فصبر وما حصل لإبراهيم من الإبتلاء فصبر وهكذا ما حصل لسيدنا موسى عليه السلام فصبر وما حصل لسيد الأولين والآخرين من الأذى والشدة والكيد ولكنه صبر بل إنه مرة ﷺ حينما اشتد عليه أذى قريش قال: «**يرحم الله موسى لقد ابتلي بأكثر من هذا فصبر**»(٣) كان ساجدًا فوضعوا على ظهره سلا الجزور وكانوا يرمونه حتى يدموا كعبيه وعرقوبيه ابتلي ﷺ بعرضه حينما قدح المنافقون والمرجفون بعرضه وهذه ثالثة الأثافي شهر بكامله ورسول الله ﷺ واقف على أعصابه أبطأ الوحي لحكمة أرادها الله ﷻ فصبر حتى قال الناظم في حقه ﷺ:

صابر صبرًا حتى ... قال الصبور للصبر صبرًا

أي أنه نفذ الصبر وما نفذ صبر الصابر فصار الصابر يصبر الصبر قائلًا: اصبر

وقوله ﷺ وقد سئل عن إتعاب نفسه في قيام الليل فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(٤)

---

(١) البخاري (١٤٠٠) ومسلم (١٠٥٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٣٢٢٤) ومسلم (١٠٦٢).

(٤) البخاري (١٠٧٨) ومسلم (٢٨١٩).

هذا والله إنه من الصبر وهكذا ما حصل لأصحابه من الإبتلاء فضربوا أروع الأمثلة في ميدان الصمود وكان ذلك أيضًا دليل صبر يروي خباب بن الأرت وكان رجلًا حدادًا هذا من الصحابة الأجلاء وقصته في البخاري يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردًا في ظل الكعبة وهذا كان قبل الهجرة قال: فقلت: **يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟** فقال النبي ﷺ: «**قد كان فيمن قبلكم يؤخذ الرجل ويحفر له حفرة في الأرض ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه لا يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه**»(١) وقائع كثيرة دلت كلها على مدى ما كان عند أصحاب نبينا ﷺ من الصبر فلذلك أعزهم الله ورفعهم الله فتحت في عصرهم كسرى وقيصر وجبت الكنوز والزكوات ودفع اليهود والنصارى الجزية عن يد وهم صاغرون إلى المؤمنين المجاهدين أولئك القوم الذين رباهم نبينا ﷺ على الصبر،

ألا بالصبر تبلغ ما تريد ... وبالتقوى يلين لك الحديد

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ما كان عند هؤلاء من توطين نفوسهم على ما تكره مواقف لأصحاب النبي ﷺ منها ما حصل في مؤتة حينما يقول عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... قد طالما قد كنت مطمئنة

وجعفر الطيار جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

---

(١) البخاري (٣٤١٦).



علي إن لاقيتها ضرابها

فقتل وكذلك أيضًا زيد بن حارثة يقول وقد منته نفسه بالذهاب والنكوص فيثبت نفسه على الصبر فاستشهد هؤلاء الثلاثة والنبي ﷺ على المنبر ينعوهم أي ينقل خبر وفاتهم نبينا ﷺ في المدينة على منبره وأولئك في أرض الروم ينعي هؤلاء القوم الذين قتلوا لأصحابه في المدينة وهو يبكي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهكذا في مقام العبادة وفي مقام الكفاح في أمورهم كلها حازوا قصب السبق في هذا الباب ولله در من قال:

كـــن كالصـــحابة في زهـــد وفي ورع ... القـــوم هـــم مـــالهم في النـــاس أشـــباه

عبـــاد ليـــل إذا جـــن الظـــلام بهـــم ... كـــم عابـــد دمعـــه في الخـــد أجـــراه

وأســـد غـــاب إذا نـــادى الجهـــاد بهـــم ... هبـــوا إلـــى المـــوت يســـتجدون لقيـــاه

حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: «**وجدنا خير عيشنا بالصبر**»[(١)] وهذا الأثر رواه البخاري في كتاب الرقاق معلقًا ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ثم رفع صوته قائلًا: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له**»[(٢)] رواه البخاري ومسلم إلى علي بن أبي طالب وبعضهم يجعله مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ هذا دليل على مكانة الصبر ونحن نحتاجه على مدار اليوم والليلة نحتاج إلى الصبر:

صـبرت ومـن يصـبر يجـد غـب صـبره ... ألـذ وأحلـى مـن جنـى النحـل في الفـم

طلب العلم يحتاج إلى صبر وهكذا يقول يحي بن أبي كثير: لا يستطاع العلم

---

(١) البخاري في باب الصبر عن محارم الله (٥ / ٢٣٧٤) معلقًا.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢١٠٣١) والبيهقي في الشعب (٩٧١٨).

براحة الجسد، ويقول ابن عمر: «**قولوا لطالب العلم: يتخذ نعلين من حديد**» أنت تحتاج إلى صبر تصبر على شظف العيش وعلى البطانية ذات الرائحة الكريهة ما فيها بخور وعطور وتصبر على الثياب المرقعة هذا في بداية الأمر لا بد أن تصبر من أجله وأنت مبتلى وأنت بين أمرين إما أن تصبر لترقى وإما أن تجزع فتنخفض وهكذا الجنة تحتاج إلى صبر «**حفت الجنة بالمكاره**»(١) أي ما يستكرهه الإنسان صلاة الفجر يطير النوم صلاة عصر لعله يزعج الراحة قليلًا ولكن المؤمن لا هذا عنده عين السعادة وعين الطمأنينة حتى إن بعض الصالحين يقول: أبكيت نفسي عند كل متعة حرام وها أنا أدعها في سياق الموت عل الله أن يغفر لها، حتى أن بعضهم كان يقول:

ألا يــا نفــس ويحــك ســاعديني ... بســعي منــك في ظلــم الليــالي
لعلــك في القيامــة أن تفــوزي ... بطيــب العــيش في تلــك العلالــي

يطلب من نفسه أن تنطلق معه فما أحوجنا جميعًا إلى الصبر حتى نفد على ربنا ﷻ فنكون ممن قال فيهم: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢] وممن قال فيهم في كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

ثم يقول المؤلف: من الإيمان الصبر على أقدار الله الأقدار مفردها قدر قدران أقدار والقدر هو سر الله في خلقه هو علم الله السابق والإمام أحمد بن حنبل صاحب المسند إمام أهل السنة يقول: القدر قدرة الله.

ومن كان عنده إيمان بالقدر حاز خيري الدنيا والآخرة والقدر هو بمعنى القضاء

---

(١) مسلم (٢٨٢٢).



والقضاء بمعنى القدر هذا إذا حصل انفراد لإحدى الكلمات لكن في حال الإجتماع والإقتران يفسر القدر بعلم الله السابق في الأزل كما في حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم مرفوعًا: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء**»[(١)] والقضاء يكون بمعنى تنفيذ هذا القدر إذا قلت هذا قضاء وقدر دل القدر على علم الله السابق ودل القضاء على تنفيذ ما أراده الله ﷻ:

ومـــن نزلـــت بســـاحته المنايـــا فـــلا أرض تقيـــه ولا ســـماء

وأرض الله واســـــعة ولكـــــن إذا نـــزل القضـــاء ضـــاق الفضـــاء

إذا نزل القضاء تنفيذ للقدر وهناك طائفة تسمى بالقدرية وهم نفاة القدر وهم على قسمين:

طائفة نفت قدرة الله وهذه انقرضت وبقيت طائفة تقول: إن الله يعلم الأمر أنف وهم أتباع معبد الجهني الذي ظهر في البصرة أخذ القدر عن سوسن النصراني عقيدة باطلة قال ابن عمر لمن جاء يستفتيه: «**أخبرهم أن ابن عمر بريء منهم فإن الجنة عليهم حرام حتى يؤمنوا بالقدر خيره وشره**»[(٢)] فالمراد بالصبر على أقدار الله هنا أي على ما قدره الله ﷻ مثلًا قدر الله وكتب الله في الأزل أن تحترق سيارة فلان من الناس فهذا مقدور أراده الله

إن المقـادير التـي في اللـوح قـد كتبـت إمـا أتتـك يـا فتـى وإلا أنـت آتيهـا

فالصبر واجب والرضا به اختلف أهل العلم هل الرضا واجب أو مستحب على

(١) مسلم (٢٦٥٣).

(٢) مسلم (٨).

ما قدره الله من موت من إحراق من كارثة من مصيبة فالقول الصحيح من أقوال أهل العلم أنه مستحب الصبر على القدر واجب لكن الرضا به مستحب ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦- ١٥٧] هؤلاء صبروا ولكن ما دلت الآية على الوجوب لكن كون الإنسان يرضى بما قدره الله هنا يكون واجبًا عندك قدر ومقدور فالله قدر أرضى ويجب علي أن أرضى لكن على هذا المقدور الحريق الكذا الذي حصل يقول كثير من أهل العلم: إنه يستحب فالمقدور قد يكون طاعات وقد يكون معاصي هذا رجل يعمل الطاعات الكثيرة هذا طائع لله ﷻ وآخر يعمل المعاصي والذنوب **من الذي قدر؟** الله فالله ﷻ قدر عليه هذه السيئات أن يعملها فنحن نرضى بما قدره الله لكن ليس معنى ذلك أننا نوافقه فإننا إن نظرنا إليه نرضى بما قدره الله ولا نرضى بهذا المقدور نرضى بالقدر ولا نرضى بالمقدور لأن القدر هو ما أراده الله ﷻ في الأزل ولا نرضى بهذا الذي يقوم به هذا الشخص على أن الله ﷻ له حكمة نافذة في هذا المخلوق والإكثار في هذا الباب منهي عنه فقد قال نبينا ﷺ: «**إذا تحدثتم عن أصحابي فأمسكوا وإن تحدثتم عن القدر فأمسكوا**»(١) فلو أن الشخص حاول أن يتعمق وأن يستكشف أكثر ربما يدخل في أشياء عميقة وعظيمة ولقصور علمه أو فهمه لا يجد لها أجوبة ولكن إرضَ بما قدره الله ﷻ فإنه سبحانه يعامل خلقه بعدله قال سبحانه:

﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥] فأمر الله سبحانه في عباده عدل يعني أن الله ﷻ عدل في موسى حينما جعله نبيًا وعدل في حق فرعون حينما أغرقه فلا ينبغي للشخص أن يقول **لماذا؟ ليش ما تكون الهداية لفرعون؟** لا يجوز يقول

---

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (١٤٢٧) وانظر حديث رقم: ٥٤٥ في صحيح الجامع.



سبحانه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] أو تقول لماذا لا يكون الشيطان على هداية؟ لا ينبغي هذا، الله ﷻ علم في الأزل أنه لا خيرية في فرعون وإن وجدت فيه خيرية من جهة إلا أنها من جهات غير متحققة وهكذا في أبي جهل وهكذا في أبي لهب وهكذا في الشيطان وهكذا في الملحدين ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] **من أعلم؟ من أحرص؟ من أحلم؟** الله ﷻ **من أرحم بالخلق؟** الله ﷻ فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن ترضى بالقدر حتى إن أحد اليهود كتب قصيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية يحتج فيها بمثل هذا ويلصق ويعترض على أرحم الراحمين **لماذا جعل هذا كذا وهذا كذا؟ لماذا لا يكون كذا وكذا؟** فرد عليه ابن تيمية بقصيدة فيها معتقد أهل السنة والجماعة في باب القضاء والقدر يقول في مطلعها:

مخاصم رب الأرض باري البرية ... سؤالك يا هذا سؤال معاند

قصيدة طويلة وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يقول:

فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ ... مقضي حين يكون بالعصيان

نرضى بالقضاء نرضى بالقدر ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] الله لا يرضى لعباده الكفر على أنه قد أراد الكفر قدرًا وأزلًا لكنه أباه سبحانه شرعًا ودينًا فعليك أن تكون مسلِّمًا «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد** ﷺ **نبيًا**»[(١)].



(١) مسلم (٣٤).



وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].



ثم استدل المؤلف على هذا الباب الذي عقده «**من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله**».

قال: وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١] من هاهنا شرطية جازمة وجملة يؤمن فعل الشرط وجوابه يهدِ مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء وهذا وعد مربوط بشرطه ومن يؤمن بالله هذا الشرط جوابه يهد قلبه فالوعد من الله هداية القلب وإذا استقام القلب استقامت الجوارح كلها كما في حديث النعمان في الصحيحين:

«**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»(١)

ومن يؤمن بالله أي بأقدار الله يهد قلبه أي يرزقه الطمأنينة من يؤمن بأقدار الله مطمئن لماذا؟ لأنه مؤمن.

رزقك بيد من؟ بيد الله، أجلك بيد من؟ بيد الله موتك وحياتك بيد الله إذن ليش تخاف؟ كن على هذه العقيدة الثابتة الراسخة القوية فإنك تسلم وتعيش باطمئنان يوم أن تعلم أن رزقك بيد الله وأجلك بيد الله والخير الواصل إليك من الله والشر الواصل إليك بإذن من الله والمصروف عنك بإذن من الله ماذا تريد يا عبد الله؟ إذن كن مع الله ﷻ

«**إحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت**

---

(١) البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).



فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١) عليك أن تستريح اهدأ فصاحب الإيمان بالقضاء والقدر تجده هادئًا نفسًا وعقلًا وقلبًا منشرح الصدر لما أراده الله ﷻ بخلاف فاقد الإيمان بالقضاء والقدر تجد عنده انزعاج ربما هذا الانزعاج يوصله إلى حد الجنون إلى حد التفاكير يفكر كثير ويدخل في أشياء ومتاهات فما أحوجنا وأحوج المسلمين إلى الإيمان بالله والإيمان بأقدار الله ﷻ ثم قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١] وشيء نكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق كل شيء يعلمه الله ﷻ.



قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم(٢).



قال: قال علقمة:

وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي وهو من تلامذة عبد الله بن مسعود.

قال: «**هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى**» أصابته مصيبة يعلم أن هذه المصيبة ما أصابته إلا بإرادة من الله.

يروى في كتب الآثار أن رجلًا أصيبت يده بآفة فكان يقول: إنها نعمة فقالوا: على

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البيهقي في الشعب (٩٩٧٦) وسنن البيهقي الكبرى (٦٩٢٥).

أي شيء نعمة؟ فقال: شيء قدره الله ثم قال للمعترض: أرأيت إن كانت في وجهي أرأيت لو كانت في لساني أرأيت لو كانت في صدري أرأيت لو كانت في رجلي قال: فما تركته حتى أيقنت أنها فعلًا نعمة.

وقيل أنه ربط مسلم مع نصراني في بيت المقدس في فلسطين وكان النصراني عنده إسهال فكان يقود المسلم خمس مرات بالساعة إلى الحمام إسهال شديد والمسلم يقول: الحمد لله فقال له السجان: **على إيش تحمد الله؟ على أن ربطك مع هذا النصراني يقودك إلى الحمام في اليوم كذا كذا مرة؟** فقال: أحمد الله الذي جعلني مسلمًا ولم يجعلني نصرانيًا.

وتعرفون قصة عبد الله بن الزبير الصابر المحتسب لما قطعت رجله كان فيها آكلة قالوا: نجعل لك بنجًا قال: لا أريد أن أفتر عن ذكر الله قالوا: وكيف؟ قال: إذا رأيتموني دخلت في الصلاة واستجمعت فدونكم رجلي يقول: فما شعرت إلا وهم في العظم فأغشي عليه وبينما هم يجرون له هذه العملية قطع الرجل قتل أحد أولاده اسمه محمد فقال بعضهم: والله ما حصل لعروة إلا بشيء عظيم قد اقترفه فأنشد قائلًا:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا دلني سمعي ولا بصري لها ... ولا قادني رأيي إليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الله إلا قد أصابت فتى قبلي

فبكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتعرفون عروة بن الزبير اجتمع هو ومصعب وأخوه عبد الله وابن عمر كل واحد سأل سؤالًا بجانب الكعبة فلما كان دور سؤاله قال: اللهم انفعني بعلمي.

عروة بن الزبير من المكثرين من العلماء الكبار رضي الله تعالى عنه وأرضاه فلقب بالصابر المحتسب.



في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»(١).



قال: وفي صحيح مسلم،

ومسلم هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج.

عن أبي هريرة الصحابي الجليل المعروف أن رسول الله ﷺ قال:

«**اثنتان في الناس هما بهم كفر - أي فيهم - الطعن في النسب**» وقد تقدم لنا وهو عيبه العيب في النسب أن يقال له: يا ابن القلفاء يا ابن فلان يا كذا يا جزار طعن في النسب «**والنياحة على الميت**» وهو التسخط وإظهار الويل والثبور هذه من عادات الجاهلية ولا يلزم من وجودها أن يكون من تلبس بها كافرًا كما أن الكافر لو أن عنده بعض خصال الدين لا يكون بذلك مؤمنًا لو أن كافر الآن ربى لحيته وأخذ السواك وأخذ مسبحة وجلس يصلي على رسول الله **هل ينفعه هذا؟ لا ينفعه شيئًا ليش؟** لأنه كافر لم يسلم وهكذا لا يلزم من وجود الكفر أن يكون الشخص كافرًا ولا يلزم من وجود البدعة أن يكون صاحبها مبتدعًا ولا يلزم من وجود الفسق أن يكون صاحبه فاسقًا والشاهد النياحة على الميت لأن هذا - بارك الله فيكم - ينافي الصبر.



---

(١) مسلم (٦٧).

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضربَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»[(١)].



ولهما أي للبخاري ومسلم عن ابن مسعود وهو عبد الله قال النبي ﷺ: «**ليس منا**» أي ليس هذا من هدينا ومن طريقتنا «**من ضرب الخدود**» سواء الخدود أو غيرها ولكن غالبًا عند المصيبة يضرب الخد وإلا فأي مكان من الوجه فهو محرم «**وشق الجيوب**» وهو الفتحة من جهة الرأس «**ودعا بدعوى الجاهلية**» يقول واجبلاه واعضداه واسنداه هذا من عادات الجاهلية والنبي ﷺ ذهب إلى إحدى بناته وابنها يجود بنفسه فرفعه ونفس الصبي تقعقع كأنها في شن فبكى النبي ﷺ فقال له سعد بن عبادة: ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمة أودعها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[(٢)] ولما مات ابنه إبراهيم قال: «**إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[(٣)].



وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشر أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٤)].

---

(١) البخاري (١٢٣٢) ومسلم (١٠٣).

(٢) البخاري (١٢٢٤) ومسلم (٩٢٣).

(٣) مسلم (٢٣١٥).

(٤) صحيح: الترمذي (٢٣٩٦) والحاكم (٨٧٩٩) ومسند أبي يعلى (٤٢٥٤) انظر حديث رقم: ٣٠٨ في صحيح الجامع.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا**» الحديث صحيح «**وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**»[١] المراد بالعقوبة مؤاخذة المجرم بذنبه وسميت عقوبة لأنها تعقب الذنب يرتكب الذنب ثم يعاقب فقيل عنها: عقوبة والعقوبة في الدنيا أهون من العقوبة في الآخرة ولما فرق النبي ﷺ بين المتلاعنين قال لهما النبي ﷺ: «**العقوبة في الدنيا أهون من الآخرة**»[٢] بمعنى لو اعترف أحدهما فرجم فمات خير له من أن يبقى ذلك إلى الآخرة نسأل الله السلامة والعافية ويوم القيامة هو اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين وسمي بذلك لثلاثة أمور:

الأمر الأول: لقيام الناس من قبورهم كما قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

الثاني: لقيام الأشهاد ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

والأمر الثالث: لوجود العدل ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وقوله: «**إذا أراد الله بعبده الشر**» الله يريد الشر ولا ينسب إليه احترامًا وتنزيهًا وقد كان النبي ﷺ يقول: «**والشر ليس إليك**»[٣].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٣٩٦) والحاكم (٨٧٩٩) ومسند أبي يعلى (٤٢٥٤) انظر حديث رقم: ٣٠٨ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (١٤٩٣).

(٣) مسلم (٧٧١).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» حسنه الترمذي(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة الله بعبده الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.



وقال ﷺ: «إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا» أي أنه ربح «ومن سخط فله السخط»(٢) حسنه الترمذي

(١) حسن: الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجة (٤٠٣١) والبيهقي في الشعب (٩٧٨٢) انظر حديث رقم: ٢١١٠ في صحيح الجامع.

(٢) حسن: الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجة (٤٠٣١) والبيهقي في الشعب (٩٧٨٢) انظر حديث رقم: =



الحديث صحيح وقد ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١١٤٣) وسواء الشخص رضي أو سخط فلن يستطيع أن يغير من الواقع شيئًا فإن رضي بما قدره الله فالحمد لله حصل اتفاق رضي بما قدره الله وإن لم يرض فإنما ضر نفسه وكم من رجل لم يرض بما قدره الله فما زال به عقله وحزنه وبكاؤه ونحيبه حتى حصل له إما اختلال في العقل أو جنون أو هستيريا وبعضهم ربما يموت من كثرة التفاكير وكان الأولى أن يرضى بما قسمه الله وبما قدره الله ﷻ فإن الإنسان لا يعلم ولا يدري بما قدره الله في هذا الكون فإذا رأيت شيئًا عنوانه وظرفه الخارجي أنه شر عليك أن ترضى ربما كان من وراء ذلك خيرًا كما حصل من اعتراض موسى على الخضر حينما قلع رأس الصبي وحينما خرق السفينة ولا يدري أن ذلك من أمر الله قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢] وهكذا أيضًا

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] وتأمل في أمر الاستخارة لما كان النبي ﷺ يستخير يقول: **«اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وأجله فيسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وآجله ويسمي حاجته فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به»**[(١)] أنت لا تدري يا عبد الله إنما الله هو الذي يدري وقد قيل: إن رجلًا كان يطوف حول البيت ويقول:

رب لا أدري وأنـــــت الـــــداري وكــل شــيء يجــري علــى مقــداري

كل شيء بقضاء وقدر وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ:

=

٢١١٠ في صحيح الجامع.

(١) البخاري (١١٠٩).

«**كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس**»[(١)] عني حتى النشاط والفتور كله بأمر من الله ﷻ إذن يرضى الإنسان ويطيب نفسًا طب نفسًا وارض بما أراده الله ﷻ ولا تستبق الأحداث ولا تستبق الأقدار وعش يومك ولا تنظر إلى غياهيب الأمور يمكن يأتي يوم أنا أفقر أنا أجنن أنا يحصل لي كذا لا ما في داعي ولا تحدث نفسك يعني إرجاف لا ولكن عش يومك هذا وإن حاولت أن تنظر في غياهب الأمور فليكن تفاؤلًا متى تكون عالمًا تقيًا ورعًا مؤلفًا خطيبًا قائدًا تنفع الإسلام والمسلمين أما أن تنظر في مسألة الرزق في مسألة أمور الدنيا فهذه - بارك الله فيك - دعها فإن النبي ﷺ يقول: «**الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء**»[(٢)] وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا للبر والتقوى والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) مسلم (٢٦٥٥).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٣٢٠) والحاكم (٧٨٤٧) والطبراني في الكبير (٥٨٤٠) انظر حديث رقم: ٥٢٩٢ في صحيح الجامع.

باب ما جاء في الرياء

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في الرياء

أي ما ورد من الوعيد الشديد في أمر الرياء الرياء يقابله الإخلاص وكذلك التوحيد الرياء مشتق من كلمة رأى يرائي فهو مرائي يعني عمل عملًا من أجل أن يراه الناس قال ابن حجر في فتح الباري: مشتق من الرؤية والنبي ﷺ يقول: «**من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به**»(١) فالرياء يكون في الفعال والسمعة في الأقوال يخطب فيطنب ويطرب ويبدع لا لله ولكن من أجل أن يقال فهذا من السمعة كما قيل:

وقصيدة تأتي الملوك غريبة ... قد قلتها ليقال من ذا قالها

وأما الرياء فهو من أجل أن يراه الناس والنبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياء ويقاتل حمية **أي ذلك في سبيل الله؟** فأضرب النبي ﷺ عن الألفاظ كلها وقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(٢) وهكذا أيضًا أول من تسعر بهم النار من فسدت نواياهم وشاب الرياء عباداتهم وتعرفون حديث أبي هريرة في صحيح مسلم بهذا اللفظ: «**أول من تسعر بهم النار ثلاثة: مقرئ للقرآن يؤتى به**

(١) مسلم (٢٩٨٦).

(٢) البخاري (٧٠٢٠) ومسلم (١٩٠٤).

فيعرفه الله نعمته ماذا فعلت؟ قال: قرأت فيك القرآن وأقرأته قال: كذبت إنما قرأت ليقال قارئ ومجاهد يؤتى به يوم القيامة فيعرفه الله نعمته فيقول: ما عملت بها؟ فيقول: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت إنما قاتلت ليقال شجاع ثم متصدق يعرفه الله نعمته فيعرفها فيقول: ماذا عملت بها؟ فيقول: ما تركت من سبيل خير إلا أنفقت فيك قال: كذبت إنما أنفقت ليقال جواد فقد قيل فيؤمر بهم الثلاثة فيسحبون على وجوههم إلى النار»[(١)] ما عملتم هذا العمل إلا من أجل أن يقال نسأل الله السلامة والعافية وهكذا أيضًا حديث أسامة في صحيح البخاري قال نبينا ﷺ:

«يؤتى بالعالم فيلقى به من على شفير جهنم فتندلق أقتابه فيدور في النار كما يدور الحمار حول الرحى فيجتمع إليه أهل النار يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى ولكن كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»[(٢)]،

مــواعظ الــواعظ لــن تقــبلا ... حتــى يعيهــا قلبــه أولًا

فمــا أعظمــه يــا قــوم مــن واعــظ ... قــد خــان مــا قــد قالــه في المــلا

فهؤلاء كانوا في أشرف المنازل وأرفعها ولكن حينما فسدت النية صاروا عراة من الأجر كما قيل:

ثــوب الريــاء يشــف عمــا تحتــه ... فــإذا اشــتملت بــه فإنــك عــاري

الرياء خطر عظيم يفتك بصاحبه ولا بد حكمه أنه شرك أصغر لقول النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قيل: وما هو؟ قال: الرياء»[(٣)] وقد يصل إلى

---

(١) مسلم (١٩٠٥).

(٢) مسلم (٢٩٨٩).

(٣) صحيح: أحمد (٢٣٦٨٠) والطبراني في الكبير (٤٣٠١) والبيهقي في الشعب (٦٨٣١) وانظر السلسلة =



حد الشرك الأكبر فهو على حسب صاحبه فلذلك كان المنافقون كفارًا وما جاءهم النفاق إلا عن طريق الكذب والرياء حتى إن ابن القيم يقول: إن النفاق له قوتان تمده الكذب والرياء.

فمن كان عنده شيء من هذا يخشى أن يصير منافقًا أو عنده من الكذب يخشى أن يصير منافقًا ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢] وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن نبينا ﷺ قال: «**إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا**»[1] فالرياء خطر على صاحبه نسأل الله ﷻ أن يعافينا وإياكم وجميع المسلمين من ذلك لكن هنا بعض التنبيهات:

التنبيه الأول: إذا كان الباعث على العمل هو الرياء فالعمل باطل لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] فالعمل باطل هذا إذا كان الباعث على العبادة هو الرياء شخص قام يصلي ليس من أجل الله ولكن فلان موجود في المسجد مديره له منه مصلحة يريد يتزوج ابنته المهم ما قام ليصلي لله وإنما صلى لأن فلانًا موجود هنا العبادة باطلة **وهل يوجد من هؤلاء؟** نعم،

صلى وصام لأمر كان يقصده ... فلما قضي الأمر لا صلى ولا صام

التنبيه الثاني: إذا قام العبد يصلي لله فطرأ عليه الرياء كان يصلي فلحظ أن فلانًا ينظر إليه فأراد أن يزين الصلاة ثم جاهد نفسه فقهرها وغلبها فلم يستقر الرياء في قلبه

=

الصحيحة (٩٥١).

(١) البخاري (٦٢٦) ومسلم (٦٥١).

فهذه العبادة صحيحة وهو مأجور لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩]

والدليل على صحة العبادة أنه ليس بمؤاخذ ما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**»(١) فهذا لم يستقر كما ذكرت لكم في مراتب القصد أنها ثلاث لا يستقر منها شيء،

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا   فخاطر فحديث النفس فاستمعا

هذه الخاطر الهاجس حديث النفس لا تستقر وإنما يؤاخذ بما استقر بلغ همًا أو عزيمة مراتب القصد

خمس هاجس ذكروا   فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت   سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

هذا تنبيه مهم جدًا.

ثالثًا: إذا طرأ الرياء على العبادة وكانت العبادة لها اتصال أولاها بأخراها فيكون ما أخلص فيه صحيحًا وما لم يخلص باطلًا وبعض أهل العلم يقول: هي كلها باطلة إن كان للعبادة ارتباط كالصلاة مثلًا إما إذا لم يكن لهذه العبادة ارتباط فيكون على حسب ما ذكر فيما أخلص صحت عبادته وبطلت العبادة فيما لم يخلص مثال ذلك:

رجل عنده مائة ريال فحمله إخلاصه وتقواه لله أن يعطي مسكينًا خمسين ريالًا لله

«**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها**

---

(١) البخاري (٤٩٦٨) ومسلم (١٢٧).



حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(١) وأما بقية المبلغ الخمسين الأخرى حمله على التصدق الرياء فتكون الأولى صحيحة والثانية باطلة.

التنبيه الرابع: إن جاء الرياء أو شيء من الوسوسة بعد العبادة فهذا لا يؤثر ولا يلتفت إليه.

التنبيه الخامس: أن الفرح بالحسنة لا يعتبر من الرياء لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] ولا يحملك الفرح على الزهو والغرور وإنما تنشرح وتنبسط حينما ترى أن قد حقق الله سبحانه شيئًا من الخير على يديك وإياك أن تغتر جاء حديث عمر عند الترمذي وهو حديث صحيح أن النبي ﷺ قال: «**من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن**»(٢).

التنبيه الأخير: أن الناس إذا مدحوا الشخص على خير فيه وهذا الخير محقق فهم يمدحونه فهذا ليس من الرياء لما جاء عند مسلم من حديث أبي ذر واسمه جندب بن جنادة رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن النبس ﷺ سئل سأله رجل أو سئل عن الرجل يعمل العمل فيثني عليه الناس خيرًا قال ﷺ: «**تلك عاجلة بشرى المؤمن**»(٣) هو ما أراد من الناس أن يتحدثوا بهذا على أنه لو سمع الناس يتحدثون لما أعجبه هذا فقد كان الناس رحمهم الله في القديم يفرون من المدح بل جاء حديث: «**إياكم والتمادح فإنه الذبح**»(٤) وجاء حديث عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: الترمذي (٢١٦٥) وأحمد (١١٤) وابن حبان (٦٧٢٨) والحاكم (٣٢) وانظر حديث رقم: ٢٥٤٦ في صحيح الجامع.

(٣) مسلم (٢٦٤٢).

(٤) صحيح: ابن ماجة (٣٧٤٣) وأحمد (١٦٨٨٣) والطبراني في الكبير (٨١٥) انظر حديث رقم: ٢٦٧٤ =

«**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[(١)] وقد مدح رجل رجلًا فإذا بعمار يأخذ التراب ويحثو في وجهه ويقول: سمعت النبي ﷺ يقول ذلك وقال النبي ﷺ في رجل مدح أخاه: «**قطعت عنقه أو قطعت ظهره**»[(٢)] أو كما قال ﷺ على أنه يجوز المدح بالوجه إذا لم يخش فتنة على الممدوح وعلى الشخص أن يوطن نفسه في أعماله ألا يطلب أجرها إلا من الله ﷻ يروى أن عبد الله بن المبارك كان يجاهد عامًا ويحج عامًا وفي بعض الغزوات كان يجاهد جهادًا مستميتًا وهو ملثم فإذا بالأمير يريد أن يعرف من هو هذا فكلف واحدًا ينظر له الأمر فذهب وراءه حتى كشف اللثام بعد انتهاء المعركة قال: إياك أن تشنع علينا بمعنى إياك أن تخبر وكان رحمه الله إذا أخذ الناس مضجعهم قام يصلي ويقرأ القرآن في السفر فتابعه أحد أصحابه في السفر فنظر ما يعمل من العبادة والبكاء والطاعة فلما كانوا عند الإفطار قال له: هذه الليلة أنا لم أنم فعلم ابن المبارك أن الرجل قد تابع أعماله قال: فغضب فما زلت أعرف ذلك الغضب في وجهه حتى لحق بربه وكان أحد إخوانه مسجونًا فأرسل بمبلغ مع أحد الناس فأخرج من السجن فوجده ابن المبارك قال له: متى خرجت؟ وكيف خرجت؟ وهو الذي دفع المبلغ من أجل إخراجه هؤلاء يا إخوان كانوا يريدون بأموالهم وبأعمالهم وجه الله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩] وهكذا كان ﷺ وهكذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم يكتمون الحسنة كما يكتم أحدنا السيئة والله المستعان.

والعمل لا يكون مقبولًا إلا بإخلاص واتباع ومحبة وخوف ورجاء فإذا كان فيه

=

في صحيح الجامع.

(١) مسلم (٣٠٠٢).

(٢) أحمد (٢٠٥٠٢).



شيء لغير الله كان العمل غير مقبول ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] يقول الله ﷻ يوم القيامة للمرائين: «**إذهبوا إلى من كنتم تراؤونهم في الدنيا هل تجدون عندهم من جزاء**»[(١)] أرأيتم أيها الأخوة كيف كان الأمر في منتهى الخسران نسأل الله السلامة والعافية، الإمام الغزالي في الإحياء يمثل المخلص بمن جاء براحلته في صباح اليوم فجعل عليها المتاع والطعام والشراب فسافر فلما أدركته القائلة وتعب أنزل ما على رحله ووجد أصناف الطعام والشراب والراحة فهذا مثال للمخلص الذي تزود بالطيبات وأما المرائي فيضرب مثلًا به فيمن جعل على راحلته ترابًا وإذا به يمشي فلما أدركته القائلة والتعب والنصب وكان مسافرًا فأنزل ما على الرحل فإذا به يجد ترابًا أتعب نفسه وإلا فالتراب موجود في أي أرض توجهت إليها وكان بعضهم يقول: قولوا للمرائين لا يتعبوا أنفسهم، وقال قائل: ما تعثر مخلص، فمن وجد - بارك الله فيكم - في نفسه شيئًا من الضعف فليحاسب نفسه وليداويها فإن السلف الصالح كانوا يدرسون هذه الأبواب دراسة أعني فقه النفوس وأمراض القلوب ألفوا في ذلك المؤلفات وكانوا يستفيدونها من علمائهم ومن مشايخهم لكن نحن لا حول ولا قوة إلا بالله كأن عندنا صك بأن أعمالنا مقبولة وأننا على خير وإذا قيل لأحدنا: اتق الله أخذته العزة بالإثم مع أنه مريض يحتاج إلى دواء والله المستعان.



وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].



(١) أحمد (٢٣٦٨٠) (٢٣٦٨٦) وشعب الإيمان (٦٨٣١) وانظر حديث رقم: ١٥٥٥ في صحيح الجامع.

ثم قال المؤلف بعد ما بوب هذا الباب قال: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]،

قل فعل أمر للنبي ﷺ أن يقول للأجيال: إنما أنا بشر أي أنه ﷺ فيه الطابع البشري من الأكل والشرب والنوم والنكاح والتعب وما إلى ذلك فهو بشر وهكذا - بارك الله فيكم - جميع الأنبياء هم بشر وفي هذا رد على الذين يغالون في رسول الله ﷺ كالصوفية مثلًا الذين أنزلوا النبي ﷺ فوق منزلته والنبي ﷺ يقول:

«**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»[(١)] فبعضهم يقول: إنه عين الكون وأن الكون إنما وجد به هذا ليس بصحيح رسول الله ﷺ بريء من هذا ولا يريد أن يسمع هذا ﷺ حتى يقول البوصيري في تلك البردة التي تقرأ في الموالد يقولون:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن آخذًا يوم المعاد يدي ... فضلًا وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فرسول الله ﷺ بشر ولكن الفارق بيننا وبينه ما ذكره الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] **من الذي يسمح بهذا الوحي نزولًا إلى نبينا ﷺ؟** هو الله سبحانه وتعالى بمعنى أن الوحي من الله عن طريق جبريل عليه السلام كما قال ربنا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] في هذا تعريض للإخلاص وأن الشخص لا بد أن يكون مخلصًا في عمله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟

---

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم.



لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف:١١٠] والعمل الصالح هو المتمثل بالإخلاص والإتباع والمحبة والخوف والرجاء وهو المتمثل بالكتاب والسنة ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠] لا يشرك في هذه العبادة أحدًا من الناس أحدًا من الجن من الملائكة من الأولياء من الأشجار أحدًا يقول العلماء: نكرة في سياق النفي تفيد العموم ففي هذه الآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث به رسول الله ﷺ وهكذا المرسلين من قبله أنه دين التوحيد ودين العبادة الصحيحة وأن العمل إن صرف لله كان عملًا مقبولًا وإن صرف لغيره كان عملًا مردودًا لأنه مشوب بالشرك مشوب بالبدعة فهذه الأعمال لا يقبلها الله وقد طال الوقت فبقي حديثان سيكون إن شاء الله درسنا في غد أسأل الله أن ينفع بما قلنا وسمعنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشركَاءِ عَنِ الشركِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشركَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشركَهُ» رواه مسلم[1].



وعن أبي هريرة رضي الله عنه،

وأبو هريرة صحابي جليل اختلف في اسمه على ثلاثين قولًا وهو من حفاظ الصحابة كان يحفظ من الحديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا وهو من اليمن لازم النبي ﷺ ثلاث سنوات من عام خيبر إلى أن توفي عليه الصلاة والسلام ولكن

(١) مسلم (٢٩٨٥).

سبحان الله فتح الله عليه في باب العلم لا سيما الحفظ.

قال: عن أبي هريرة مرفوعًا قال: قال الله تعالى،

هذا يسمى حديثًا قدسيًا مشتق من القدس وهو الطهر تقديس وتعظيم وما أضافه النبي ﷺ إلى الله يقال له: حديث قدسي وما كان من قوله ﷺ يقال: حديث نبوي وبعض أهل العلم يقول: إن الفارق بين القدسي والنبوي أن الحديث القدسي معناه ولفظه من الله ﷻ وأن الحديث النبوي معناه من الله ولفظه من رسول الله ﷺ الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله والحديث النبوي لفظه من رسول الله ومعناه من الله هذا قول لكن إن قلنا بهذا صار لا فرق بين القرآن وبين الحديث القدسي إذا كان الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله فكذلك القرآن لفظه ومعناه من الله لكن الصحيح أن الحديث القدسي معناه من الله ولفظه من رسول الله ﷺ والحديث النبوي لفظه ومعناه من رسول الله ﷺ على أنهما يدخلان في إطار الوحي ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤] هذا الفارق بين الحديث القدسي والحديث النبوي أما الفوارق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم فقد تقدمت لنا في درس أصول التفسيرأو في مباحث في علوم القرآن في درس الظهر وهي كثيرة وأهمها:

١- أنه يشترط في القرآن التواتر ولا يشترط في الحديث القدسي أن يكون متواترًا.

٢- أن القرآن أحكام وعقائد وعبادات بخلاف الأحاديث القدسية إنما هي في باب الآداب.

٣- أن القرآن تعبدنا بتلاوته وحصل فيه الإعجاز والتحدي بخلاف الحديث القدسي فلا يقرأ في الصلاة وليس فيه الإعجاز والتحدي.



٤- كذلك أيضا القرآن الكريم لا يجوز أن يروى بالمعنى بخلاف الحديث القدسي فإنه يجوز روايته بالمعنى فوارق كثيرة هذه من أهمها.

يقول ربنا ﷻ: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**» الله ﷻ غني عن عبادة العباد غني عن العباد وعن عبادتهم قال سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن أبي ذر: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»(١) فالله ﷻ غني عن عبادة العباد وعن العباد وعن كل ما خلقه ﷻ في هذا الكون فهو ﷻ غني له الغنى المطلق كما أن من أسمائه ﷻ الغني ثم قال ﷻ: «**من عمل عملًا**» وعملًا هنا نكرة في سياق الشرط تفيد العموم أي عمل من الأعمال سري علني تعبدي عقائدي في باب الصلاة في باب الزكاة في أي باب من أبواب البر «**من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري**» كان للناس حظ من هذا العمل قال سبحانه: «**تركته وشركه**» يتركه يوم القيامة ولا يجازيه على هذا العمل وهكذا أيضًا تبطل أعماله كما قال ربنا في القرآن: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] وهكذا في حديث ثوبان الذي رواه ابن ماجة أن النبي ﷺ قال: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات كأمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورًا قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أما إنهم لمنكم ويأخذون من الليل كما تأخذون**

(١) مسلم (٢٥٧٧) وابن حبان (٦١٩) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٢٧٢) وغيرهم.

لكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»(١) نسأل الله السلامة والعافية يعني كانت أعمالهم على غير إخلاص فها هي تحبط وتبطل لا حول ولا قوة إلا بالله الحديث رواه مسلم وصحيح مسلم هو من أصح الكتب بعد كتاب الله.



وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قالوا: بلى، قال: «الشركُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» رواه أحمد(٢).

فيه مسائل:

الاولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك وهوكمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن المرء يصلي لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.



قال: وعن أبي سعيد وهو سعد بن مالك بن سنان خزرجي أنصاري مرفوعًا أن

(١) صحيح: ابن ماجة (٤٢٤٥) انظر حديث رقم: ٥٠٢٨ في صحيح الجامع.

(٢) حسن: ابن ماجة (٤٢٠٤) وأحمد (١١٢٧٠) وانظر حديث رقم: ٢٦٠٧ في صحيح الجامع.



النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم**» وألا أداة استفتاح وتنبيه يراد أن يقال انتبه حتى يكون السامع متيقظًا «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» المسيح رجل من بني آدم جعله الله ﷻ فتنة للناس في آخر الزمان وما من نبي إلا حذر قومه منه والنبي ﷺ يقول: «**ما من نبي إلا حذر قومه منه وأنا أحذركم إنه أعور العين اليمنى وإن ربكم ليس بأعور**»[1] وسمي المسيح قيل: لأنه ممسوح العين اليمنى أي أعور وقيل: لمسحه الأرض أي لكثرة تحركه وسرعة تنقله من قطر إلى قطر والدجال صيغة مبالغة أي كثير الدجل والكذب والتمويه والإحتراز منه الإخلاص والعمل الصالح وقراءة عشر آيات من سورة الكهف كما جاء في بعض الأحاديث وأن تدعو الله ﷻ أن يثبتك فإن له من الفتن ما يجعل بعض الناس المغفلين يؤمنون به في بعض الأحاديث أن له جنة ونارًا فناره جنة وجنته نار ومن الإبتلاء أنه مزود بملكين فإذا قال للعبد هو ربه يقول للعبد: أنا ربك فيقول الملك: كذبت فلا يسمع المسلم قول الملك كذبت يسمع قول الملك الثاني للملك الأول: صدقت فيظن السامع أنه يقول للدجال: صدقت فتنة وابتلاء واختبارًا وقد كان ﷺ قبل أن ينتهي من صلاته يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**»[2] وفي بعضها: «**ومن شر فتنة المسيح الدجال**» وفي زيادة في صحيح البخاري: «**ومن المأثم والمغرم فقيل: ما أكثر ما تستعيذ من المأثم والمغرم قال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف**»[3] نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) البخاري (٦٧١٢) ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) مسلم (٥٨٨).

(٣) البخاري (٧٩٨) ومسلم (٥٨٩).

قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى قال: الشرك الخفي يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**» رواه أحمد الدوسري يضعف هذا الحديث والشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يصححه أو يحسنه لكن قد جاء ما يغني عنه إن كان ضعيفًا فقد روى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال: خرج علي رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه فذلك شرك السرائر**»(١) والحديث في صحيح الترغيب والترهيب للمنذري بتحقيق الشيخ الألباني رحمة الله على الجميع فهذا الباب إخواني باب خطير في منتهى الخطورة وإن قلنا هو شرك أصغر لكنه يوصل إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك وما لي إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شرك أكبر بحسب حال قصده وحال قائله ومقصده. أ.هـ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة كما قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصه وأصوبه قيل: **يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟** قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم

(١) حسن: ابن خزيمة (٩٣٧) وابن أبي شيبة (٨٤٠٣) والبيهقي في الشعب (٣١٤١) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٣١).



يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا[(١)] فالخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة وفي الحديث من الفوائد:

شفقة النبي ﷺ على أمته ونصحه لهم وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال فإذا كان النبي ﷺ يخاف على سادة الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره إلى هنا.



(١) حلية الأولياء (٨/ ٩٥).

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

أما الباب لغة: فهو ما يدخل ويخرج منه إلى الشيء.

واصطلاحًا: هو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب ولك في إعرابه ثلاثة إعرابات:

يمكن أن تقدر له مبتدأ فيكون خبر لمبتدأ محذوف بتقدير هذا باب.

أما الوجه الثاني: فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره أعقد بابًا.

ويمكن أن يكون بحرف جر محذوف أقرأ في باب أو أنظر في باب كذا.

وقوله: من هذه تسمى تبعيضية، من الشرك: أي من بعض الشرك والمراد بالشرك لغة: مأخوذ من المشاركة وتعريفه شرعًا: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك وينقسم إلى قسمين:

شركا أصغر وأكبر فالأكبر مخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار ويحبط العمل كله ويبيح على صاحبه عرضًا ومالًا ونفسًا قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام**



وحسابهم على الله»(١) أما الشرك الأصغر فهو يحبط نفس العمل ولا يخلد صاحبه في النار وهو أكبر الكبائر ودون الشرك الأكبر وصاحبه على خطر وقوله: إرادة الإنسان بعمله الدنيا **هل هذا من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر؟** على تفصيل:

إن كان إنما يتحرك للدنيا ومن أجل الدنيا فيرضى إن أقبلت ويسخط إن أدبرت يعمل لها ويترك عمل الآخرة بسبب فقدانها هذا من الشرك الأكبر لمن قد استولت الدنيا على قلبه وكانت قد أخذت حيزًا واسعًا من قلبه فيكون هذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢] أما إن كان عنده شيء من محبته وتعظيمه لهذه الدنيا شديد الحرص وينظر إليها بعين الإعظام والإجلال لكنها لم تحمله على أن يترك شيئًا من الواجبات فهنا يكون من الشرك الأصغر الذي صاحبه على خطر وهذه الدنيا عمل فيها الأنبياء وأتباع الأنبياء والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف:٤٦] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] فالدنيا لا تذم لذاتها فهي مزرعة الآخرة وإنما تذم حينما تكون مزاحمة للآخرة ولأوامر الله ﷻ حينما يغتر الإنسان بها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥/ والحديد: ٢٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص:٦٠] فالأنبياء وأتباعهم والصالحون عاشوا في هذه الدنيا لكنهم لم يجعلوها في قلوبهم ولا فوق رؤوسهم وإنما جعلوها في أيديهم جعلوها تحت أقدامهم لم يبالوا بها إن أقبلت قالوا: هذه فتنة نسأل الله أن يعيننا عليها وإن أدبرت لم يحزنوا كما قال الله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا

(١) البخاري (٢٥) ومسلم (٢١).

فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقوله: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا كلمة الدنيا مفعول به لإرادة لأن إرادة مصدر أراد يريد إرادة مصدر مضاف إلى فاعله وإن أردت أن تعرف المصدر إن كان مضافًا إلى فاعله أو إلى مفعوله فحوله إلى فعل مضارع مقرون بأن مثلًا تقول: من الشرك أن يريد الإنسان بعمله الدنيا فالإنسان فاعل فيكون كلمة إرادة مصدر مضاف إلى فاعله من الشرك إرادة الإنسان من الشرك أن يريد الإنسان فهذا من المصدر المضاف إلى فاعله والدنيا مفعول به.



وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ [هود:١٥].



وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود:١٥] أي من كان يريد البقاء فيها والتعمير وزينتها: زينة الحياة الدنيا معروفة مفسرة بقوله سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤] أي حسن المرجع هذه زينتها فإن أخذت بحق ومن وجه شرعي ولم تله عن الآخرة كان متاعًا زائدًا مباحًا استعماله خير وإن أخذت بغير حق كانت شرًا ووبالًا على صاحبها فتأمل إلى الكافر يتنعم والمؤمن يتنعم ولكن شتان بين مشرق ومغرب بل ربما كان الكافر فقيرًا والمسلم غنيًا ثريًا فهذا الأول في النار والثاني في الجنة رب كافر يأكل من القمامة وينام على الرصيف ولا يجد كسر الخبز اليابسة وهو من أهل النار

وآخر أغناه الله في الدنيا أعطاه الله ﷻ عز الدنيا والآخرة إن شاء الله وهو من أهل الجنة هذا لا يتنافى إن كان من حق أخذه بحق وصرفه في حق وتأملوا في نبي الله سليمان بن داوود إلى أبيه داوود حينما أعطاه الله ﷻ الملك فلما رآه قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ [النمل: ٤٠] فتنة ولما أخر فريضة من الفرائض ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص: ٣٢ - ٣٣] يعني نحرها وقطع سنامها حينما ألهته عن طاعة الله ﷻ وهو ملك، ملك الدنيا شرقًا وغربًا وهكذا الملك الإسكندر ذو القرنين ملك الدنيا شرقًا وغربًا فكان مؤمنًا له خير في الدنيا وكذلك في الآخرة بخلاف النمرود وقارون وهامان وفرعون ومن ملكوا الدنيا وهم على كفر لذا جاء في كتب التأريخ أن يهوديًا زياتًا كان يبيع الزيت وثيابه ملطخة بالزيوت هجم على الحافظ ابن حجر وهو في مصر فقال له: يا شيخ الإسلام يا أبا الفضل رويتم عن نبيكم أنه قال: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(١) فأي جنة أنا فيها وأي سجن أنت فيه؟ لأنه فقير والحافظ ابن حجر كان قاضي القضاة كان رجلًا ثريًا بسط الله عليه من أصناف المال فمر وهو راكب على بغلته وحوله الحشم والخدم فيقول له: كيف هذا الكلام؟ أي جنة أنا فيها وأي سجن أنت فيه؟ وتعرف الحديث من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم فقال له الحافظ ابن حجر رحمه الله: أما بالنسبة لما أعده الله لك في الآخرة فأنت الآن في جنة وأما بالنسبة لما أعده الله لي في الآخرة فأنا هنا في سجن فأسلم هذا اليهودي من حسن عبارات شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وذلك أن المؤمن في هذه الدنيا مسجون عن الشهوات وعن المحرمات عنده المال وعنده الملك وعنده الثرى

(١) مسلم (٢٩٥٦).

وعنده السيارة وعنده مغريات الحياة كما يقال: يصنع المستحيل من الحرام ولكنه يخاف على حد قول القائلة:

فوالله لولا الله والخوف والرجا   لحرك من هذا السرير جوانبه

خوف الله ﷻ وأما الكافر فهو في جنة له أن يفعل ما يشاء من المحرمات لا يرده شيء من ذلك خوفًا أو خشية من الله ﷻ فيقول الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ﴾ [هود:١٥] نوف بمعنى يعطاه كاملًا موفى وجملة نوفي هي جواب الشرط لقوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ﴾ فمن اسم شرط جازم يجزم فعلين ففعل الأول كان وفعل الثاني: ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾ [هود:١٥] أي لا ينقصون كما قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠] لكن اسمع ماذا بعدها قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود:١٦] على أن القول الصحيح في هذه الآية أنها في حق الكفار لكن من عمل بعمل الكفار كان كما يقول علماؤنا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: من كان يريد الحياة الدنيا: أي ثوابها وزينتها أي مالها، نوف: أي نوفر لهم ثواب أعمالهم من الصحة والسرور في المال والأهل والولد وهم فيها لا يبخسون أي لا يمسخون أي لا ينقصون تعرفون - بارك الله فيكم - حينما آلى النبي ﷺ من نسائه شهرًا أي حلف

تألى ابن أوس حلفة ليردني   إلى نسوة كأنهن مثائد

فآلى من نسائه شهرًا ثم أشاعوا أنه ﷺ قد طلق نساءه شيع هذا الخبر وكان بعضهم قد أخذه بالقبول والتسليم وهنا فائدة أيضًا أنه لا ينبغي لنا أن نصدق



الشائعات هذه إشاعة أشاعوها وكان عمر بن الخطاب ﵁ يأتي يومًا ليسمع من الرسول ﷺ ويومًا يبقى في دكانته ليعمل وكان شريكًا لأحد الأنصار فجاء يطرق عليه بعد العشاء بابه قال: **ما لك؟ أقدمت غسان؟** وكانوا ينتظرون غزوًا من قبل ملك غسان قال: الأمر أشد من ذلك طلق رسول الله ﷺ نساءه فحصل موقف عظيم لعمر فنام حتى أصبح وصلى الفجر ثم أخذ رداءه وانطلق إلى المسجد فجاء والناس في غاية من التساؤلات والحزن بعضهم يتحدث للآخر وبعض ينكت بالعصى وبعضهم يفكر وهو منكس رأسه فلم يحر خطابًا مع أحدهم قال لغلام أسود: استأذن لي على رسول الله ﷺ فدخل الغلام فذكر عمر لرسول الله ﷺ فما تكلم بشيء فخرج الغلام قال: **أذن لي؟** قال: ذكرتك فلم يرد علي شيئًا ثم جلس قليلًا فقال: استأذن لي فذكره فلم يأذن حاول حتى أذن له فدخل فلما دخل جلس عمر وهذا نستفيد منه: أنك إذا رأيت شخصًا مغضبًا لا تبدأ تهاجمه في الأمر الذي أتيت من أجله نستفيد هذا من عشرة الصحابة وسنة الرسول ﷺ وطريقته كان مغضبًا فما حاوره بشيء وإنما تكلم عن شيء آخر نظر هكذا في حجرة المصطفى ﷺ والحديث طبعًا في البخاري ومسلم ونظر إلى جسد الرسول ﷺ فكان قد أثر فيه الحصير ثم أجال النظر فلم ير إلا شيئًا معلقًا من الشعير فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال: يا رسول الله - وهذا موطن الشاهد - إن فارس والروم معهم من الدنيا كذا وكذا وأنت رسول الله تنام وقد أثر على جسدك الحصير فادعو الله أن يوسع على أمتك فابتسم ﷺ وقال: **أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟** -[١] فهذا هو موطن الشاهد - وتتمة القصة من باب الفائدة أنه أيضًا ما هاجمه بعد هذه الإشارة وإنما

---

(١) البخاري (٤٦٢٩) ومسلم (١٤٧٩).

حاول أن يداعب الرسول ﷺ بشيء من الخير قال: يا رسول الله إنا كنا قومًا نغلب نساءنا يعني في مكة فلما أتينا إلى قوم تغلبهم نساؤهم صارت نساؤنا يراجعننا فابتسم الرسول ﷺ بسمة أشد من التي قبلها فهنا فرصة قال عمر: يا رسول الله **هل طلقت نساءك؟** قال: لا فقال عمر: الله أكبر وخرج إلى المسجد وقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه وعلى إثر ذلك أنزل الله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء:٨٣][(١)] فأخذ عمر الفاروق الكلام بسند عالٍ من رسول الله ﷺ فبقي الحديث سيكون إن شاء الله درسنا في الغد والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم.



وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسْ، وَإِذَا شيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[(٢)].

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

---

(١) مسلم (١٤٧٩).

(٢) البخاري (٢٧٣٠).



الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط.

الخامسة: قوله: «تعس وانتكس».

السادسة: قوله: «وإذا شيك فلا انتقش».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.



يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الصحيح صحيح البخاري والمؤلف ليس له قاعدة مطردة في هذا فربما قال: في الصحيح وكان الحديث في الصحيحين وربما قال في الصحيح ويكون في البخاري وربما قال في الصحيح وهو في مسلم وربما قال في الصحيح فيكون صحيحًا ليس في الصحيحين وصحيح البخاري هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم وقع في هذا الإجماع قال: وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبو هريرة حافظ الصحابة وشيخ الإسلام وحافظ الأمة من أهل اليمن وفد على النبي ﷺ في عام خيبر فعاش مع النبي ﷺ ثلاث سنوات فحصل من العلم ما لم يتحصل عليه غيره **لماذا؟** لتفرغه وحرصه.

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي

يروي هذا الرجل العظيم عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعس عبد الدينار**» تعس تقرأ بفتح العين وكسرها لغتان مشهورتان بمعنى هلك وخاب وخسر وقوله: «**عبد الدينار**» أثبت ها هنا العبودية للدينار والدينار من حطام الدنيا والمراد بذلك أنه ﷺ دعا بالهلاك والخسارة والشقاوة والنكد على عبد الدينار أي من كان يفرح



لمجيئه ويحزن لذهابه فلا يفرح إلا به ولا يعمل إلا له فكان هذا هو الجزاء أن دعا رسول الله ﷺ على عابد الدينار والمراد بالدينار الدينار الإسلامي الذهبي الذي يساوي أربعة جرامات ونصف قال:

«**تعس عبد الدرهم**» والدرهم يكون أحد أجزاء الدينار فكل دينار مائة درهم «**تعس عبد الخميصة**» والخميصة ثوب من خز أو من صوف وهي أيضًا من الدنيا فهو يعظمها ويحترمها ويقدسها أعظم من تقديس أمر الله ورسوله

«**تعس عبد الخميلة**» والخميلة ثياب أيضًا ثوب له خمل ربما يكون فيه من النعومة حتى أنه الآن في بعض المعارض يقول لك: هذا مخمل **لماذا دعا النبي ﷺ على من كان هذا حاله؟** تأمل قال ﷺ: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس - أي انكب على وجهه - وإذا شيك فلا انتقش**» أي إذا دخلت فيه شوكة يدعو عليه ﷺ ألا تخرج منه هذه الشوكة ما دام هذا هو حاله هذا يعني قد ضاق قلبه إلا من الدنيا فهو متسع لها وهي همه ليلًا ونهارًا وقد جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجة وغيره أن النبي ﷺ قال: «**من كانت الدنيا أكبر همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة**»[١].

ها هنا كلام لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم

(١) صحيح: الترمذي (٢٤٦٥) وابن ماجة (٤١٠٥) وانظر السلسلة الصحيحة (٩٤٩).



وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله: تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذا حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن منع سخط كما قال تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨] فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقًا منها برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وإن لم يحصل سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهكذا أيضًا طالب المال فإن ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور نوعان:

فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي ألا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبدًا ومعتمدًا على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله: «**تعس عبد الدينارتعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة**» وهذا هو من عبد هذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضي وإن منعه إياها سخط وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالي أولياء الله ورسوله ويعادي



أعداء الله ورسوله فهذا الذي استكمل الإيمان، انتهى ملخصًا.

الإنسان - بارك الله فيكم - في أصل خلقته مجبول على حب الدنيا كما قال سبحانه:

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨] هو يحب الخير يحب المال ولكن يجب أن يكون حبه لهذا المال ألا يطغيه بأن ينسى ذكر الله وأن يكون عنده الميزان إن جاء المال فهو راض مطمئن وإن لم يأته هذا المال فعنده من الكرب والسخط بل ربما تجرأ على الله سبحانه وتعالى فهذا أنا أقول أنه رق المال استرقه المال أيما رق كما قال ابن القيم رحمه الله:

هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان

وإلا فقد كان من الصحابة من عنده المال من عنده الخيل من عنده التجارة من التابعين أيضًا من أتباع التابعين من أتباع أتباع التابعين وهكذا إلى يومنا هذا هناك من عنده من المال الكثير وهو مقبل على عبادة الله وما استعبده المال وهناك ربما شخص لا يمتلك المال لكنه رقيق لهذا المال مستعد أن يبيع دينه كما في الحديث: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يمسي الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا ويصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[(١)] لا حول ولا قوة إلا بالله بعد هذا العرض الذي ذكره لنا الرسول صلى الله عليه وسلم استثنى جنسًا وقسمًا آخر من الناس هم سادة الأولياء قال عليه الصلاة والسلام: «**طوبى لعبد**» وعبد نكرة قد يكون عربيًا أعجميًا لكنه عبد لله وطوبى اسم للجنة وقيل شجرة في الجنة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري ومسلم: «**إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب المضمر السريع في ظلها مائة**

(١) مسلم (١١٨).



عام لا يقطعها»[١] وهذا الحديث قال ابن كثير حديث متواتر عن رسول الله ﷺ فيقول ﷺ: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه**» هذه الحالة ينفر منها الناس لكن هذا من سادة الأولياء عند الله كما في الحديث: «**رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع في الأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[٢] حديث أبي هريرة في صحيح مسلم يقول نبينا ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٣] **ما الفائدة من هذا؟**

يقول ﷺ: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه**» تأمل تعليله ﷺ قال: «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة**» يعني إن قال له أمير الجيش: أنت حارس احم حمى الجيش ابق طول الليل حارسًا أو في النهار شرقًا أو غربًا ميمنة ميسرة كن حارسًا قال: «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة**» لا يهمه ذلك لأنه خرج في سبيل الله مثل حال خالد بن الوليد رضي الله عنه لما كان أميرًا في زمن أبي بكر فلما تولى عمر أول شيء نازل خالدًا من الإمرة فتنازل خالد بكل هدوء وطيب خاطر قال: «**أنا عبد الله وخارج في سبيل الله ما يعمل من أجل عمر ولا من أجل أبي بكر**» «**وإن كان في الساقة كان في الساقة**» المراد بالساقة مؤخرة الجيش يعني معنى الحديث: هو يتقلب في مصلحة الجيش على حسب ما يريده الأمير ما يقول: أنا أريد أن أكون رئيس جيش أمير قائد سرية قائد كتيبة لا يهمه ذلك قال: «**إن استأذن لم يؤذن له**» ليس عنده وجاهة ولا شرف ربما إذا جاء إلى الأمير فلان يريد يدخل قال: لا أريد

---

(١) البخاري (٣٠٧٩) ومسلم (٢٨٢٧) بدون لفظ: «يقال لها طوبى».

(٢) مسلم (٢٦٢٢).

(٣) مسلم (٢٥٦٤).

أن أقابله - طبيعي جدًا - **لماذا؟** لأنه عبد لله ما فعل هذا لأجل أن يكون له منزلة وشرف «**وإن شفع لم يشفع**» تعرفون الشفاعة بمعنى التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة هذا في الإصطلاح وأما في اللغة فهي: جعل الوتر شفعًا فهذا إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع كما في الحديث الذي في الصحيحين كان رجل عند النبي ﷺ فمر به رجل من فقراء المهاجرين فقال لهذا الذي جالس: «**ما تعدون هذا فيكم؟ قالوا: هذا حري إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن استأذن ألا يؤذن له ثم مر رجل آخر من أهل الكبر قال: ما تعدون هذا فيكم؟ قال: هذا حري أي حق وجدير إن خطب أن ينكح وإن سأل أن يعطى وإن شفع أن يشفع وإن استأذن أذن له فقال النبي ﷺ: لذاك خير من ملئ الأرض مثل هذا**»(١) **لماذا؟**

لأن أواصر الود والقرب من الله ﷻ ليس بالأحساب ولا بالأنساب فنحن قربنا وبعدنا من الله على قدر الطاعة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] ويقول سبحانه:

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] فهذا الرجل يتقلب في مصلحة الجيش في مصلحة الجهاد حسب ما تقتضيه المصلحة الحالية وهكذا في أمور كثيرة وهذا أمر مشاهد هناك لو في أمر خروج دعوة إلى الله هناك من الإخوان من نشاهدهم يركب في المؤخرة في المقدمة تقول له اذهب إلى المسجد الفلاني لا يبالي حيث ما توجهه توجه وهناك من يأمر لا أنا لا أريد أن أمشي هناك أنا أريد أن أمشي كذا وإذا تأخرت السيارة أو حصل له شيء جاء يتنخفر ويتكلم بكلام عجيب جدًا وكأنه خارج في سبيل هذا الذي أرسله ولا يدري هذا أنه خرج في سبيل الله سبحانه وتعالى.

---

(١) البخاري (٤٨٠٣).



قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

قوله: «**إن كان في الساقة كان في الساقة**» أي في مؤخرة الجيش يقلب نفسه في مصالح الجهاد فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلًا أو نهارًا رغبة في ثواب الله وطلبًا لمرضاته ومحبة لطاعته قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو خامل الذكر لا يقصد السمو يعني ما أحد يقول فلان كذا مش مشهور لا يقصد السمو دائمًا في تواضع كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] وكما قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] هذا آخر الباب وخلاصته أن الناس على قسمين:

قسم يعمل للدنيا فقد استعملوا للدنيا قلوبهم وقسم يعمل للآخرة لا هم له إلا إرضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يرينا الحق حقًا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلًا فيرزقنا اجتنابه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابًا

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

أراد بذلك بالعلماء والأمراء لأنهم - بارك الله فيكم - أصل المجتمعات وبصلاح العلماء والأمراء تصلح البلاد وتفسد أيضا بفسادهما قال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ وفي قراءة: «**أمَّرنا مترفيها**» [الإسراء:١٦] أي جعلناهم أمراء والعلماء هم جهة قضاء والأمراء ينفذون ما قضى به العلماء وعلى ذلك فسر العلماء قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] فالعلماء هم الذين يصدرون الفتوى في القصاص في القضاء في كل القضاء والأمراء يتولون تنفيذ ذلك فمن أطاع هؤلاء في أمر فيه معصية لله يكون قد اتخذهم أربابًا من دون الله ويكون فيه مشابهة لأهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

قال: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا والرب هو المتصرف المالك فهذا يعني رفعهم إلى مستوى الربوبية وهم بشر يخطئون ويصيبون ولست متعبدًا برأي فلان أو علان وإنما أنت متعبد بأمر



الله قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى:٢١].



وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟



قال: وقال ابن عباس: «**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أي عقوبة أقول: قال رسول الله وتقولون: قال أبو بكر وعمر**» هذا استنكار من ابن عباس في خير القرون وأشرفها وذلك أنهم كانوا في موسم الحج ابن عباس يقول للناس تمتع رسول الله ﷺ بالعمرة إلى الحج لكن أبا بكر وعمر لا يريان ذلك فكان ابن عباس يحتج بفعل الرسول ﷺ وغيره من الناس لا يرى ذلك فكان بعضهم يتعصب لرأي أبي بكر وعمر وأبو بكر وعمر هما هما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا**»(١) ويقول النبي ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر**»(٢) وأبو بكر كم له من الفضائل يكفيه أن يكون ثاني اثنين إذ هما في الغار ويكفي عمر قول النبي ﷺ: «**إنه كان فيمن قبلكم محدثون - أي ملهمون - فإن يكن في هذه الأمة فعمر**»(٣) مزايا وفضائل لكن ابن عباس ينكر على يحتج برأي أبي بكر وعمر مطرحًا أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) مسلم (٦٨١).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٩٧) وأحمد (٢٣٣٢٤) وابن حبان (٦٩٠٢) وانظر صحيح ابن ماجة (٨٠).

(٣) البخاري (٣٤٨٦).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:

قوله: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر**» قال: يوشك بضم أوله وكسر الشين المعجمة أي يقرب ويسرع وهذا القول من ابن عباس جواب لمن قال له: إن أبا بكر وعمر لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أن إفراد الحج أفضل أو ما هو معنى هذا كان ابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب ويقول: «**إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبى**» لحديث سراقة بن مالك حينما أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة فقال سراقة: **يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟** فقال: بل للأبد والحديث في الصحيحين وتعرفون أيضًا أمنية النبي ﷺ لما قال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة ولما سقت الهدي**»[(١)] أي تمنى النبي ﷺ أن يكون متمتعًا وذلك أنه إذا جاء للعمرة يطوف ويسعى ثم يتحلل يقصر أو يحلق ثم يلبس المخيط فيبقى حلالًا إلى يوم التروية فإذا جاء يوم التروية لبس إحرامه وطلع مع الناس إلى منى فكان بعض الحاضرين يقول: لا وإنما يحج مفردًا أي أنه لا يعتمر وتعرفون العمرة - بارك الله فيكم - واجبة لهذا الحديث: «**دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**»[(٢)] على القول الصحيح من أقوال أهل العلم فابن عباس رضي الله تعالى عنهما ينكر على قوم تعصبوا لرأي أبي بكر ولرأي عمر لم يتعصبوا لرأي أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو سفيان أو رجل من المسلمين لا تعصبوا واستدلوا برأي

---

(١) البخاري (١٥٦٨) ومسلم (١٢١٦).

(٢) مسلم (١٢١٨).



سيدي كهول أهل الجنة من أصحاب النبي ﷺ الأول الذين مات النبي ﷺ وهو راض عنهما ومع ذلك ابن عباس ينكر أن يكون التعصب لهذين بل لا بد أن يكون الأمر على ما كان عليه زمن رسول الله ﷺ **فماذا نقول لحال زماننا وللناس في هذا الزمان؟** يتعصب لقوم بدون دليل ويا ليته يحصر ذلك على نفسه بل مقلد ومتعصب ومجتهد في نفس الوقت وهذه آفة والله آفة تفوق كل آفة يوم أن تكون مقلدًا متعصبًا ومع ذلك تدعو باستماتة إلى هذا الرأي الذي هو لغيرك وليس معك دليل من القرآن من السنة من آثار الصحابة نسأل الله السلامة والعافية.



وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] **أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.**



ثم ذكر المؤلف قول الإمام أحمد بن حنبل الشيباني وهو أمام أهل السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وكان هذا الإمام يضرب به المثل في الإتباع والإقتداء حتى إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يكتب إلى الإمام الشافعي ويقول: لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا تقلد الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا يقول هذا للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا الإمام الجليل يقول: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان،

العجب يقول العلماء بأنه يأتي بمعنيين الأول: بمعنى الإستحسان عجبت من



كذا أي استحسنت كذا كما في حديث عائشة في الصحيحين قالت:

«**كان النبي ﷺ يعجبه التيمن أو التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله**»(١)

ويأتي التعجب أو العجب بمعنى الإنكار كما في قراءة: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات:١٢] والمراد بذلك الإنكار فالإمام أحمد ينكر يقول: عجبت لقوم عرفوا الإسناد،

والإسناد: هو سلسلة الحديث أو الرجال التي توصل بالمتن.

كان الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وكان الثوري يقول: الإسناد سلاح المؤمن، وحدث الزهري بحديث مسند فقال له تلميذه ابن عيينة: هات الحديث بلا سند فقال: **أترقى من غير سلم؟** وفي قول الله تعالى: ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف:٤] قال جمع من أهل العلم: المراد بالأثارة الإسناد فهذه الأمة أمة المصطفى ﷺ امتازت بالإسناد سلسلة الرجال قافلة الصدق معدن الصدق من الراوي من صاحب الكتاب إلى رسول الله ﷺ ليس ذلك في أمة سواها لا في أمة اليهود ولا في أمة النصارى لا يمتلكون أسانيد توصلهم إلى عيسى بل ولا إلى أحبارهم المتبعين لا يصلهم إلى أحد من الحواريين وهكذا أمة اليهود ليس لهم ما يوصلهم إلى موسى بل ولا إلى عزير ولا إلى واحد من أنبيائهم أو من علمائهم المتبعين فلذلك كان اليهود مغضوب عليهم وكان النصارى ضالين أي يتعبدون لله سبحانه وتعالى بالجهل.

فحفظ الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة دينها وهذا مصداق قول الله عز وجل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] فالأمام أحمد ينكر على علماء

---

(١) البخاري (١٦٦) ومسلم (٢٦٨).



بلده وعلى أهل زمانه يقول: عجبت لقوم عرفوا الإسناد يعني عندك الحديث بسنده وتستطيع أن تصحح أو تضعف قال: ويذهبون إلى رأي سفيان، وسفيان قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة ثبت عدل حجة حافظ إمام ستة ألفاظ عالم كبير من علماء المسلمين رحمه الله رحمة الأبرار كان سفيان الثوري مضرب مثل في الحفظ والزهد والعبادة رَحِمَهُ اللَّهُ وهناك رسالة جامعية تناولت ترجمة هذا الإمام الجليل العظيم أعني أبا عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ فالإمام أحمد ينكر على من أخذ برأي سفيان مطرحًا الكتاب والسنة وراء ظهره برأي إمام صوابه أكثر من خطئه ثم قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ والله تعالى يقول:

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك والشرك هو أم المصائب هو أم الفتن وأعلاها وأعظمها وإلا فالفتنة نكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] أي عن أمر النبي ﷺ أن تصيبهم فتنة شرك مرض ابتلاءات شيء من الفتن التي أرادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] فتنة في لدنيا وعذاب أليم في الآخرة نسأل الله السلامة والعافية.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائنًا من كان هذا في زمن عبدالرحمن بن حسن زمن العلماء بل جهابذة العلماء من المسلمين بل من طلبة العلم اليوم من لا يقرأ ولا يطلع ولا يبحث بل يأخذ فكر غيره واجتهاد غيره ويصدر فتاوى ويتعصب لآراء هو عنها أو عن دلائل أصحابها بمعزل فإذا قلت له: الله يقول كذا النبي ﷺ يقول كذا وكذا تستدل عليه بقواعد فقهية أصولية قال: بل قد قال بعضهم قال هكذا قال لنا

المشايخ وقلدهم الله ولذمتهم **طيب أفلا حصرت هذا على نفسك؟ فكيف تكون مقلدًا وتكون أيضًا مجتهدًا في آن واحد؟** إن هذا من التناقض بمكان فيقول الشيخ: يجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائنًا من كان ونصوص الأئمة على هذا وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الإجتهاد التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة فهذا الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الإجتهاد وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد وذلك مجمع عليه كما تقدم في كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام الشافعي كان يقول: إذا وجدتم قولي يعارض قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط وفي رواية قال: إعلموا أني قد جننت أو بهذا المعنى وبعض السلف كان يقول: إذا وجدت قولي يخالف قول رسول الله ﷺ بل عليه أي لا تجعل قولي يتعارض مع قول رسول الله ﷺ وهكذا - بارك الله فيكم - الإمام أبو حنيفة ولله در ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ حينما قال:

على ما جعلتم أيها الناس ديننا ... لأربعة لا شك في فضلهم عندي

همو علماء الناس شرقًا ومغربًا ... ونور عيون الفضل والحق والزهد

ولكنهم كالناس ليس كلامهم ... دليل فيستهدي به كل من يهدي

ولا زعموا حاشاهموا أن قولهم ... دليل فيستهدي به كل من يهدي

بل صرحوا أنا نقابل قولهم ... إذا خالف المنصوص بالقدح والرد

هذا كلام العلماء قاطبة ما كانوا يسمحون لأحد أن يقلدهم بل كانوا يطالبون الناس أن يأخذوا بما جاء عن الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ يربطون الناس بالله تعالى وسنة رسول الله ﷺ **لماذا؟**

لأنهم يربطونهم بالعصمة فالكتاب والسنة دائمان أبد الدهر بخلافك أيها العالم طالب العلم فأنت أنما أنت أيام كلما ذهب يومك ذهب بعضك.



وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونه، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» فقلت: بلى: قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» رواه أحمد والترمذي وحسنه(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.



قال: وعن عدي بن حاتم وهو صحابي جليل رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه

---

(١) حسن: الترمذي (٣٠٩٥) والطبراني في الكبير (٢١٨) وانظر غاية المرام للألباني (٦).

الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ الواو هنا يعود على النصارى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ والأحبار مفرده حبر وهو صاحب العلم الواسع ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ والراهب هو العابد قال:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي مشاركين لله في التشريع تحليلًا وتحريمًا ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة:٣١] هذا فيما يتعلق بأمة النصارى لأن اليهود لم يفعلوا ذلك النصارى هم الذين رفعوا عيسى ابن مريم فوق منزلته كما في الحديث: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»[١] أما اليهود فإنهم اتهموا عيسى بأنه ولد زنا كما قال الله حاكيًا عنهم حينما قالوا:

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم:٢٨] اليهود عليهم لعائن الله يتهمون مريم البتول العذراء بالزنا ويتهمون عيسى بأنه ولد زنا والحق في ذلك أنه عبد الله كما جاء في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[٢] فتأملوا فيما يحكيه نبينا ﷺ عن أمة النصارى قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ فإذا هو يقرأ:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

---

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم.

(٢) البخاري (٣٢٥٢) ومسلم (٢٨) وأحمد (٢٢٧٢٧) وابن حبان (٢٠٧) وسنن النسائي الكبرى (١٠٩٧٠) (١١١٣٢).

لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١] وكلمة سبحانه مفعول مطلق تقديره يسبح سبحانه والتسبيح بمعنى التقديس أي إنما أمروا أن يسبحوا الله وأن ينزهوه من النقائص كما قال ربنا في كتابه الكريم:

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨١]

فقال عدي بن حاتم: فقلت: إنا لسنا نعبدهم قال:

«**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟**» فقلت: بلى قال: «**تلك عبادتهم**» الحديث رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني في غاية المرام وهو حديث صحيح بعض أهل العلم يضعفه لبعض أسانيده ولكن بالجملة الحديث يصل إلى رتبة الحسن لذاته لأنه جاءت له طرق قوية أوصلته إلى هذه الدرجة درجة الحسن.

فنجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ أثبت عبادة للأحبار والرهبان للعلماء للأمراء حينما طاوعهم العامة على تحليل محرم أو تحريم حلال فكانت هذه عبادة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:

وفي هذا الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لقوله تعالى في آخر الآية:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] ونظير ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد وهو من هذا

الشرك ومنهم من يغلو في ذلك ويعتقد أن الأخذ بالدليل والحالة هذه يكره أو يحرم فعظمت الفتنة ويقول: هم أعلم منا بالأدلة ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد وربما تفوهوا بذم من يعمل بالدليل ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام قال: كما قال شيخنا رحمه الله في المسائل ولعل المراد بشيخه المؤلف قال: فتغيرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية فصارت عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال يسمونها ولاية وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد عمت بها البلوى قديمًا وحديثًا في أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا وقد قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠] هنا مسألة يذكرها العلماء: **ما حكم من أخذ بما حكم به العلماء علماء السلطان الذين يوافقون ويصححون ما أراده الحاكم بحق أو بباطل؟ وما حكم إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى؟** وحيث أن هذه المسألة من أعظم المسائل في باب المعتقد والناس لهم فيها كلام كثير جدًا فحتى لا يحصل شطط أو خطأ أحببت أن أقرأ على مسامعكم ما سطره الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله الذين رسخت أقدامهم في باب العلم وهكذا أيضًا كلام للشيخ محمد بن إبراهيم المفتي للملكة العربية السعودية سابقًا قبل الشيخ ابن باز وهو كلام في منتهى القوة ولكون الوقت لا يتسع فإن شاء الله سبحانه وتعالى نرجؤه إلى يوم آخر عسى الله سبحانه وتعالى أن ييسر والله أعلم وأعز وأكرم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تفصيل فيمن حكم بغير ما أنزل الله

وهذه القضية من القضايا الكبار التي لا يجوز أن يخوض فيها إلا الكبار لأنها مسألة لها صلة بالعقيدة وينبني عليها الحكم بإيمان الشخص أو بكفره ولأهمية هذه المسألة فصلها العلماء أيما تفصيل فقد كر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الجزء السابع صفحة سبعين من كتابه المعروف بمجموع الفتاوى قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل قال: فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركًا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إنما الطاعة بالمعروف**»[(١)] وهناك رسالة للشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي العام للملكة العربية السعودية في زمانه قبل زمان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بل هو يعتبر شيخه كان عالمًا كبيرًا وله طلاب ومن

---

(١) البخاري (٦٧٢٦) ومسلم (١٨٤٠).

ضمن الآخذين عنه الموجودون في هذا الزمان كالفوزان والعثيمين ابن باز وكان ضريرًا رَحِمَهُ اللَّهُ له رسالة بعنوان:

«**تحكيم القوانين**» وهي رسالة صغيرة لكنها علم خالص مركز من كلام الله ومن كلام رسوله والفهم والنظر الصحيح قال رَحِمَهُ اللَّهُ كما في صفحة خمسة إلى ثمانية:

فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق هذا أخذه من قول الله سبحانه:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] قال: ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا بل هو كافر مطلقًا إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد وما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة وإما كفر عمل لا ينقله عن الملة ابن عباس الأثر ثابت إليه لا كما يقول أخونا عقيل المقطري أنه منقطع السند الأثر ثابت إلى ابن عباس وتناقله العلماء جيلًا بعد جيل في تفسير قول الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] قال: كفر دون كفر.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم:

أما الأول: وهو كفر الإعتقاد وهو أنواع فيه تفصيل وأنى لطالب علم أن يفصل هذا التفصيل ما جاء من فراغ هذا جاء من عصارة أفهام وخلاصة نصوص قال:

أحدها: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بين أهل العلم أن من



جحد أصلًا من أصول الدين أو فرعًا مجمعًا عليه أو أنكر حرفًا مما جاء به الرسول ﷺ قطعيًا فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة هذا النوع الأول من كفر الإعتقاد.

الثاني: ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا لكن اعتقد أن حكم غير الرسول أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقًا أو بالنسبة لما استجد من الحوادث قال: وهذا لا ريب فيه أنه كفر كما يقول بعضهم: قطع يد السارق تشويه فإن كان قد جحد النص الوارد في ذلك: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [المائدة:٣٨] يكون كافر كفر أكبر مخرج من الملة أيضًا لو قال هذا تشويه وكوننا نجعل عليه عقوبة مالية يسجن وبعدين يدفع قليل من المال يسمى تأديب هذا أحسن من القطع أيضًا يكفر.

الثالث: ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكنه اعتقد أنه مثله قال: فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق.

الرابع: ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مثل حكم الله ورسوله لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا كالذي قبله لاعتقاد جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهو أعظمها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقه لله ورسوله ومضاهاة للمحاكم الشرعية إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلًا وحكمًا وإلزامًا ومراجع ومستندات فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني

وغيرها من القوانين فأي كفر فوق هذا الكفر وأي معصية وأي مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله بعد هذه المناقضة.

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها سلومهم ونحن في اليمن نسميها أسلاف وأعراف من ضمنها الهجر والدية يسمونها المحدشة أحد عشر دية ما أنزل الله بذلك من سلطان يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به عند التنازع إبقاء على أحكام الجاهلية وإعراضًا ورغبة عن حكم الله ورسوله فهذه - بارك الله فيكم - ستة أنواع للكفر الإعتقادي كفر اعتقادي فيمن حكم بغير ما أنزل الله وهذا مرجعه إلى القلب فتأمل إلى العالم البصير كيف حقق المسألة ودقق فيها وأخرجها بهذه الصورة المبسطة الموضحة فلله دره ورحمة الله عليه.

قال: وأما القسم الثاني: من قسمي الحكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة فقد تقدم أن تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لقول الله عَزَّ وَجَلَّ في قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كفر دون كفر وذلك بأن تحمله شهوته يعني إما قرابة أو مجاملة أو أعطي مالًا قال: بأن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعتراف على نفسه بالخطأ ومجانبة الهوى وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة فإن معصية سماها الله كفرًا أعظم من معصية لم يسمها كفرًا، هذا ما قاله الشيخ بهذا الإختصار والتبسيط وإلا فكتابه قد ذكر كلامًا كثيرًا جدًا لكن هذا خلاصته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ رحمة واسعة.

بعد أن ذكرنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكلام الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ نذكر كلامًا للشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما



في كتابه القول المفيد شرح كتاب التوحيد قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويستفاد من الحديث يعني حديث عدي بن حاتم الطائي قال: لسنا نعبدهم يا رسول الله قال: «**أليس إذا حرموا عليكم شيئًا حرمتموه وإذا أحلوا لكم شيئًا استحللتموه؟ قال: بلى قال: فتلك عبادتكم إياهم**» قال: يستفاد من الحديث أن الطاعة بمعنى العبادة عبودية مقيدة.

ثانيًا: أن الطاعة في مخالفة شرع الله من عبادة المطاع أما في عبادة الله فهي عبادة لله.

ثالثًا: أن اتباع العلماء والعباد في مخالفة شرع الله من اتخاذهم أربابًا واعلم أن اتباع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يتابعهم في ذلك راضيًا بقولهم مقدمًا له ساخطًا لحكم الله ورسوله فهذا كفر لأنه كره ما أنزل الله قال: فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر.

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيًا في حكم الله وعالمًا بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد ولكن لهوى في نفسه اختاره كأن يريد مثلًا وظيفة فهذا لا يكفر ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة عاصي حمله على ذلك شهوة وظيفة مال مجاملة.

الثالث: أن يتابعهم جاهلًا فيظن أن ذلك حكم الله فيقسم إلى قسمين:

هذا الأول إذا كان راضيًا كفر راضيًا ساخطًا لحكم الله كفر بالإجماع ما في أي مشكلة.

ثانيًا: يتابعهم في ذلك راضيًا لكنه يعتقد أن الأفضل والأحسن حكم الله مثل

بعض المسلمين اليوم يقول لك: صحيح القرآن والإسلام وحكم الله ورسوله ولكن نحن مجبورين مضطرين مقهورين تقول له: **من الذي حمل البندقية على رأسك إما أن تحكم بكذا وإلا قتلتك؟** حتى يقال عنك مضطر أو يقال عنك مكره لكن هنا يخاف على الوظيفة يخاف على المنصب يريد أن يرضي من فوقه من ولاة الأمر على أنه لا يجوز له أن يحابي ولا أن يداهن في دين الله لكن هذا ليس بكافر هو على خطر لكن من حيث الميزان الشرعي لا يكفر يكون على معصية.

قال: الثالث: أن يتابعهم جاهلًا يظن أن ذلك حكم الله هذا الجاهل ينقسم أمره إلى قسمين:

الأول: أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه فهو مفرط أو مقصر فهو آثم لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ثانيًا: ألا يكون عالمًا ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدًا ويظن أن هذا هو الحق فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أمر به وكان معذورًا بذلك ولذلك ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «**من أفتي بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه**»[(١)] أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ووافقه على ذلك الذهبي قال: لو قلنا بإثمه بخطأ غيره للزم من ذلك الحرج والمشقة ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه قال: فإن قال: **لماذا لا يكفر أهل القسم الثاني؟** أجيب: أننا لو قلنا بكفرهم لزم من ذلك تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاصٍ لله ويعلم أنه حكم الله.

---

(١) حسن: أبو داود (٣٦٥٧) وابن ماجة (٥٣) وأحمد (٨٧٦١) انظر حديث رقم: ٦٠٦٨ في صحيح الجامع.



قال الشيخ العثيمين:

فائدة: وصف الله الحاكمين بغير ما أنزل الله بثلاثة أوصاف قال تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] واختلف أهل العلم في ذلك فقيل إن هذه الأوصاف لموصوف واحد لأن الكافر ظالم لقول الله تعالى:

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] وفاسق لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة:٢٠] أي كفروا.

وقيل: إنها لموصوفين متعددين وأنها على حسب الحكم وهذا هو الراجح بمعنى إن حكم معتقدًا أن هذا الحكم أفضل من حكم الله أو مثل حكم الله وسخط على حكم الله فهذا كافر فإن حكم لشهوة لمال لمنصب هنا فسق وظلم قال فيكون كافرًا في ثلاثة أحوال هذا أيضًا على ما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم فيكون كافرًا في ثلاثة أحوال إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠] فكل ما خالف حكم الله فهو من حكم الجاهلية بدليل إجماع قطعي أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل ال فالمحل له والمبيح للحكم بغير ما أنزل الله مخالف لإجماع المسلمين القطعي وهذا كافر مرتد وذلك كمن اعتقد حل الزنا أو الخمر أو تحريم الخبز أو اللبن.

ثالثًا: إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله بدليل قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] فتضمنت الآية أن حكم الله

أحسن الأحكام بدليل قول الله تعالى مقررًا ذلك: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨] فإذا كان الله أحسن الحاكمين أحكامًا فهو أحكم الحاكمين فمن ادعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر لأنه مكذب للقرآن ويكون ظالمًا إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام وأنه أنفع للعباد والبلاد وأنه الواجب تطبيقه ولكن البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله فهو ظالم.

ويكون فاسقًا إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق لكن حكم بغيره لهوى في نفسه أي محبة لما حكم به لا كراهية لحكم الله ولا يضر أحدًا به مثل أن يحكم لشخص لرشوة رشي إياها أو لكونه قريبًا أو صديقًا أو يطلب من ورائه حاجة وما أشبه ذلك مع اعتقاده بأن حكم الله هو الواجب والأمثل والواجب اتباعه فهذا فاسق وإن كان أيضًا ظالمًا لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما بالنسبة لمن وضع قوانين تشريعية مع علمه بحكم الله ومخالفة هذه القوانين لحكم الله فهذا قد بدل الشريعة بهذه القوانين فهو كافر لأنه لم يرغب بهذه القوانين عن شريعة الله إلا وهو يعتقد أنها خير للعباد والبلاد من شريعة الله وعندما نقول بأنه كافر فنعني بذلك أن هذا الفعل يوصل إلى الكفر ولكنه قد يكون الواضع له معذورًا مثل أن يغرر به كأن يقال: إن هذا لا يخالف الإسلام أو هذا من المصالح المرسلة أو هذا مما رده الإسلام إلى الناس.

بهذا القدر – بارك الله فيكم – نكتفي وأظن المقصود قد حصل إن شاء الله فهذا هو القول الصحيح في هذه المسألة في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله على هذا التفصيل الذي ذكره العلماء وهذه المسألة ابتلي بها أكثر المسلمين وكذلك أيضًا



صغار طلاب العلم المبتدئين ربما يحفظ آية من القرآن الكريم فينزلها على كل حاكم على كل رئيس غير مبال بأثر ابن عباس ولا بفهم العلماء الكبار يريد أن يطبق هذه الآية حسبما علم هذه الآية بعينها كمثل قول الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] على أنه لو رجع للتفصيل الذي ذكر لكان قد سلم وأيضًا سلم غيره لأن الكفر تكفير الناس ليس راجع إلينا إلى ذوات أنفسنا إننا لا نكفر إلا من كفره الله أو رسول الله ﷺ فهذه مزلة خطيرة وهوة سحيقة انزلق فيها كثير من الناس بسبب عدم رجوعهم إلى الفهم الصحيح من فهم العلماء المتقدمين والمتأخرين الذين لم يدعوا شيئًا من مسائل الدين إلا أفتوا فيها وقالوا فيها والله المستعان والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

باب قول الله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]،

معنى قول المؤلف: باب قول الله: يعني ما جاء في تفسير هذه الآيات من كلام أهل العلم فهو بوب بالآية المباركة أو بالآيات الموجودة في هذا الباب هذا - بارك الله فيكم - من الترتيب الحسن وهو أن الباب الذي قبل هذا باب «**من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله**» وهذا الباب فيه الإنكار على من تحاكم إلى غير كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبينهما التصاق واقتراب وثيق فهنا يستدل المؤلف على هذا الباب بهذه الآية المباركة وما يأتي بعدها من الآيات ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذا يسمى استفهام تقريري فيه الإنكار والتعجب من



حال المذكورين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الزعم لفظة زعم تستعمل فيمن ادعى دعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة ومن البرهان العملي الصحيح كما قيل:

والــدعاوي إذا لــم تقيمــوا عليهــا	بينـــــات أبناؤهـــــا أدعيــــــاء
وكـــــلا يــــدعي وصـــــلًا بليلـــى	وليلـــى لا تقـــر لهـــم بـــــذاك
فـــإذا تشـــابكت دمـــوع في خـــدود	علـــم مـــن بكـــى ممـــن تبـــاكى

هذا مجرد زعم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء:٦٠] فريق من الناس أجمع أهل التفسير أن هذه الآية وما شابهها نزلت في حق المنافقين - عياذًا بالله - يقولون:

(أمنا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) عياذًا بالله هكذا يقولون لكن عند الواقع العملي هم بخلاف ذلك تمامًا ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة:١٤] أي إلى أصحابهم وإلى أضرابهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٥ - ١٦] هؤلاء هم المنافقون حتى أنه جاء في كتب السيرة أن عبد الله بن أبي رئيس المنافقين كان يقوم بعد مجلس الرسول ﷺ بعد خطابة الرسول يقوم ويقول: نحمد الله بعث الله إليكم نبيًا وأرسل إليكم رسولًا وأنزل عليكم كتابًا ويمدح في الرسول ﷺ نفاقًا والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أخبر نبيه بما يحمل هؤلاء من الخبث ومن فساد الطوية

مهمــا تكــن عنــد امــرئ مــن خليقــة	وإن خالهــا تخفــى علــى النــاس تعلــم

وهذا سببه الحسد والكبر والكذب إذا حسد الرجل إذا بغى الرجل إذا راءى إذا

كذب وصل به ذلك والعياذ بالله إلى النفاق عياذًا بالله فالله ﷻ يقول:

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ هم يقولون هكذا: آمنا بما أنزل إليك من القرآن والأحكام والشرع المبارك ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ أي على أنبياء بني إسرائيل قال سبحانه:

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ يريدون هؤلاء أن يتحاكموا إلى الطاغوت هذا يتناقض مناقضة جذرية مع ما يقولونه ويزعمونه كيف يقولون آمنا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ثم بعد ذلك يتحاكمون في أمورهم إلى الطاغوت إنه تناقض واضح لا خفاسء فيه والطاغوت صيغة مبالغة مشتقة من الطغيان ففيه اعتداء وبغي أيضًا والمراد أنهم لا يريدون أن يتحاكموا إلى كتاب الله ولا إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم قال بعدها سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء:٦٠] حتى بين الله ﷻ ما المراد بالطاغوت: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة:٢٥٧] فهؤلاء يريدون التحاكم إلى الطاغوت ورأس الطواغيت الشيطان الشيطان هو رأس الطواغيت والطواغيت كثيرة قال العلامة ابن القيم في عبارة جامعة مانعة كما قاله علماء التوحيد والعقيدة: حدالطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، من معبود كالأصنام ما عبد من غير الله أو متبوع كالأمراء أو مطاع كالعلماء أو متبوع كالعلماء ومطاع كالأمراء فيكون هذا من الطاغوت التحاكم إلى الأسلاف والأعراف والقوانين الوضعية من التحاكم إلى الطاغوت **لماذا؟**

لأن هذه القوانين إنما هي من وضع البشر فكان الرد الشديد والإنكار الأكيد من



الله ﷻ على هؤلاء مدعي الإيمان بأن إيمانهم باطل بدليل: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] يبين تعالى في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله وأكده بالمصدر ووصفه بالبعد فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى قال ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: أنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

قال: فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وهنا كلام طيب للشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله تعالى أردت أن أقرأه على مسامعكم لما فيه من عمق النظر وقوة الكلام قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان:

فالتحاكم إلى ما أنزل الله داخل في التوحيد والتحاكم إلى غيره من أنواع الشرك لأن من معنى لا إله إلا الله ومقتضاها ومدلولها التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله فإنه قد أخل بكلمة التوحيد فأخل بمقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله قال: فمدلول الشهادتين أن نتحاكم إلى كتاب الله وإلى

سنة رسوله في جميع أمورنا ليس المراد التحاكم في المنازعات فقط بل التحاكم في المقولات والإجتهادات الفقهية أيضًا فلا بد أن نحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في أقوال المجتهدين ونأخذ منها ما دل عليه الدليل ونترك ما لم يدل عليه دليل ولا نتعصب لرأي فلان أو للإمام فلان فمن تعصب لم يكن متحاكمًا إلى ما أنزل الله وإلى رسوله وإنما نتحاكم إلى هذا الشخص الذي تعصب له وجمد على رأيه مع مخالفته وهو اجتهاد اجتهد فيه لكن إذا خالف الدليل فلا يجوز لنا نتعصب لرأي إمام أو لرأي عالم أو لرأي مفت من المفتين ونحن نعلم أنه مخالف للدليل لكن ذلك العالم معذور لأنه مجتهد ولكنه لم يصادف الدليل فهو معذور وله أجر على ذلك لأن هذا منتهى اجتهاده أما من تبين له أن هذا الإجتهاد غير مطابق للدليل فلا يسعه أن يأخذ بهذه الإجتهاد ولا يجوز له والأئمة ينهون عن ذلك ينهوننا أن نأخذ بآرائهم دون نظر إلى مستندها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإلا كنا كما سبق في الباب الذي قبل هذا: طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.

قال: وكذلك التحاكم في المناهج التي يسمونها الآن مناهج الدعوة ومناهج الجماعات هي من هذا الباب يجب أن نحكم فيها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيما كان منها متمشيًا مع الكتاب والسنة فهو منهج صحيح يجب السير عليه وما كان مخالف لكتاب الله وسنة رسوله يجب أن نرفضه وأن نبتعد عنه ولا نتعصب لجماعة أو حزب أو منهج دعوي ونحن نرى أنه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فالدعاة منهم من هو داعية ضلال فالذي يقصر هذا التحاكم إلى الكتاب والسنة على المحاكم الشرعية فقط غالط لأن المراد التحاكم في جميع الأمور وجميع المنازعات في الخصومات وفي الحقوق المالية وغيرها وفي أقوال المجتهدين وأقوال الفقهاء وفي المناهج الدعوية



والمناهج الجماعية لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الشورى:١٠] وشيء نكرة في سياق الشرط فتعم كل نزاع وكل خلاف في شيء سواء في الخصومات أو في المذاهب أو في المناهج أو في أقوال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والقدرية يجب أن نعرف هذا لأن بعض الناس وبعض المنتسبين إلى الدعوة يقصر هذا على التحاكم في المنازعات والخصومات في المحاكم الشرعية ويقول: يجب تحكيم الشريعة ونبذ القوانين نعم يجب هذا ولكن لا يجوز الاقتصار عليه بل لا بد أن يتعدى إلى الأمور الأخرى إلى تحكيم الشريعة في كل ما فيه نزاع سواء كان هذا النزاع بين دول أو كان هذا النزاع بين جماعات أو كان هذا النزاع بين أفراد أو كان هذا النزاع بين أفراد أو كان هذا النزاع بين مذاهب واتجاهات لا بد من تحكيم الكتاب والسنة نحن نطالب بهذا في كل هذه الأمور أما أن نقصره على ناحية ونسكت على الناحية الأخرى فنقول: النواحي الأخرى دعوا الناس إلى رغباتهم دعوا الناس كل يختار له مذهبًا وكل يختار له منهجًا نقول: هذا قصور عظيم لأنه يجب أن نحكم الشريعة في المحاكم ونحكمها في المذاهب الفقهية ونحكمها في المناهج الدعوية لا بد من هذا فلا يجوز لنا أن نقصر كلام الله ورسوله على ناحية ونترك النواحي الأخرى لأن هذا إما جهل وإما هوى كثير من الناس اليوم ينادون بتحكيم الشريعة في المحاكم وهذا حق ولكن هم متنازعون ومختلفون في مناهجهم ومذاهبهم ولا يريدون أن يحكموا الشريعة في هذه الأمور بل يقولون: اتركوا الناس على ما هم عليه لا تتعرضوا لعقائدهم لا تتعرضوا لمصطلحاتهم لا تتعرضوا لمناهجهم اتركوهم على ما هم عليه وهذا ضلال بل هذا من الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر مثل قوله تعالى:

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي

ﭐﻟۡﺤَﻴَﻮٰﺓِ ﭐﻟﺪُّﻧۡﻴَﺎۖ وَﻳَﻮۡمَ ﭐﻟۡﻘِﻴَٰﻤَﺔِ ﻳُﺮَدُّونَ إِﻟَﻰٰٓ أَﺷَﺪِّ ﭐﻟۡﻌَﺬَابِۗ﴾ [البقرة:٨٥] فهذا أمر يجب التنبه له لأن هذه مسألة عظيمة غفل عنها الآن الكثيرون فالذين ينادون بتحكيم الشريعة إنما يريدون تحكيمها في المخاصمات في الأموال في الأعراض والخلافات بين الناس والأمور الدنيوية دون العقائد والمذاهب ومناسبة عقد هذا الباب في كتاب التوحيد أن التحاكم إلى ما أنزل الله هو من التوحيد والتحاكم إلى غيره شرك بالله ﷻ شرك في الحكم والتشريع ثم قال رحمه الله: لا بأس أن نتصرف ببعض كلامه وأنا أحاول أنقل المهم منه انتقلت بكلامه من صفحة ١٢٠ من كتابه الجزء الثاني إلى صفحة ١٢٢- قوله:

﴿ﻳُﺮِﻳﺪُونَ أَن ﻳَﺘَﺤَﺎﻛَﻤُﻮٓاْ إِﻟَﻰ ﭐﻟﻄَّٰﻐُﻮتِ﴾ [النساء:٦٠] قال: الطاغوت مشتق من الطغيان وهو: مجاوزة الحد قال الشيخ الإمام ابن القيم: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع إلى معصية الله والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة:

إبليس لعنه الله ومن عبد وهو راض ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ومن حكم بغير ما أنزل الله ومن ادعى علم الغيب وهذه الخمسة ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة صغيرة قال: هؤلاء رؤوس الطواغيت ومنهم من حكم بغير ما أنزل الله الذي هو موضوع هذا الباب وهم الذين يحكمون ويتحاكمون بغير شريعة الله من القوانين والأنظمة والعادات والتقاليد وأمور الجاهلية والقبلية لأن هناك قوانين وضعية وضعها البشر وهناك عادات وتقاليد في المجتمعات يمشي بعض الناس عليها وهناك أعراف جاهلية بين القبائل يسمونها السلوم وشيوخ القبائل والعوارف كل قبيلة لها عارفة يحكم بينهم إما كاهن وإما ساحر وإما رجل عادي وهذا كله منبوذ وكله مطروح بعد بعثة الرسول ﷺ ويجب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وكل من حكم بغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مستحلًا لذلك



فإنه طاغوت يجب الكفر به ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠] كذلك في قوله:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] فالإيمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت فالكفر بالطاغوت ركن الإيمان فلا يصح أن يجمع بين الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت لأن هذا جمع بين نقيضين والله قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وهذا معنى لا إله إلا الله لأن لا إله إلا الله إيمان بالله وكفر بالطاغوت فقولنا لا إله هذا نفي ينفي جميع المعبودات والطواغيت وقولنا إلا الله هذا إيمان بالله تعالى وحده هذا ما أردت أن أنقله من كتاب الشيخ صالح الفوزان بخصوص هذه الآية المباركة من سورة النساء وهو كلام جيد قوي في بابه لا نزيد عليه على أنه - بارك الله فيكم - كما قال الشيخ هناك من يدعو ويندد وربما أطلق عليه مجاهد يخاطب الناس أن يحكموا شريعة الله ﷻ لكنهم فيما يتعلق في باب العقائد والمناهج وهكذا في باب السلوكيات تجدهم في غاية من التفلت في غاية من الإبتعاد عن كتاب الله وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن الآية عامة شاملة في كل شيء والواجب على المؤمن الذي هو مؤمن بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر أن يكون محكمًا كتاب الله وسنة الرسول ﷺ في أموره كلها لا يفرق بين حكم وآخر وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وقد ذكر الشيخ محمد جميل زينو في بعض كتبه أن أحد هؤلاء الذين كانوا يدعون إلى تحكيم الكتاب والسنة في المحاكم الشرعية قال:

زرته في بيته فإذا بعمه يعني عم الرجل هذا الذي الرجل متزوج على ابنته قال له:

إن الشيخ غضب وتزاعل مع أهله وأخذ الكأس مملوءة بالشاي ورمى امرأته على وجهها حتى إنه عورها عوارًا بينًا واضحًا فهذا أيضا حقيقة مما لا ينبغي إلا أن يكون من باب الخطأ وهو معترف بخطئه والنبي ﷺ نهى عن الضرب في الوجه فما بالك بما هو أشد من ذلك وهكذا فيما يتعلق بتربية الأولاد ومناهج التعليم وهكذا أمور السلوكيات والنظر إلى التلفاز وأمور كثيرة جدًا جدًا الآية عامة شاملة يقول تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] كما أن الآية الثانية يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]

وهذه كلها دعوات باطلة لا أساس لها من الصحة إذ لو كانوا كذلك لما كانوا ينأون ويعرضون عن تحكيم ما أراده الله به من الخير الكثير الذي بعث به نبيه محمد ﷺ هذا شرح مختصر للآية الأولى وسوف يتبع شرح للآية الثانية وما بعدها يوم غد إن شاء الله وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦١ – ٦٢] هذه الآية هي تبع للآية السابقة التي بوب المؤلف بهما هذا الفصل واستدل لهذا الباب بآيات هذه هي الآية الثانية وذلك فيما يتعلق بأمر

الحكم وتحكيم شرع الله ﷻ في القليل والكثير فإن الله ﷻ أمر بذلك فيقول ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي للمنافقين ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ والذي أنزله الله هو القرآن ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أي إلى ما جاء به النبي ﷺ من ربه وهو القائل ﷺ:

«**أوتيت القرآن ومثله معه**»(١) ورسول الله ﷺ مبلغ من ربه كما قال ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤] فكان الناس في هذا فريقين: أما فريق أهل الإيمان والإسلام والإتباع فهم يستجيبون مذعنين أي منقادين كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١] وهكذا آيات كثيرة تثبت ذلك ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] استجابة لله ولأمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذا أمر شائع ذائع منقول بالتواتر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمتبعين لهم إلى يوم الدين.

أما الطائفة الأخرى فهم هؤلاء الذين عناهم الله بهذه الآية

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ [النساء:٦١] وهذا ليس في ذلك الزمان بل في ذلك الزمان وفيما قد أتى وسيأتي من الأزمان إلى قيام الساعة ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ والمنافقون جمع منافق قالوا: إنه مشتق من نافقاء وهو أحد منافذ اليربوع وتعريفه اصطلاحًا: من أظهر الإسلام وأبطن الكفر أظهر الإسلام من أجل أن يحقن دمه وماله لكنه أبطن الكفر في قلبه فلذلك كان أخطر من الكافرين الذين أظهروا كفرهم صراحة فلذلك أنزل الله سورة بعنوان سورة

---

(١) صحيح: أحمد (١٧٢١٣) وانظر صفة صلاة النبي ﷺ صفحة ١٧١.

المنافقون هذه السورة تحكي ما كان عند هؤلاء من الباطل وفساد الطوية ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١] وهم كذابين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] أعوذ بالله

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١ – ٢] يتستروا بالأيمان والله ما أردنا إلا الحق إلا الخير عياذًا بالله

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب
لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب

هؤلاء أظهروا الإسلام لما رأوا قوة الإسلام وما استطاعوا له معارضة ما استطاعوا لهذا الإسلام معارضة واضحة لقلة الناصر ولضعفهم لجئوا إلى الحيلة فعاشوا بين أظهر المسلمين وهم أعداء كما قال الله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التوبة:٩٨] وقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة:٤٧] أي فسادًا هذا الصنف من الناس صنف خبيث والعياذ بالله لا يخلو منهم زمان حتى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فيما جاء أنه سمع رجلًا يقول: اللهم أهلك المنافقين بجانب الكعبة فقال له حذيفة: غفر الله لك يا ابن أخي لو أهلك الله المنافقين لاستوحشنا من قلة الصادقين أو من قلة المخلصين فهذا الصنف من الناس يضرب في الإسلام وفي صميم الإسلام من داخله يأمر بالفساد يحب الفساد يود الفساد لكنه يظهر أمام الناس بمظهر الصلاح والخير ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] هذه دعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة وهكذا قال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء:٦٢] قال بعض المفسرين: إما مصيبة

دنيوية أو مصيبة شرعية إذا حصلت لهم مصيبة دنيوية من الفقر أو الجدب أو مصيبة شرعية كأن علم بهم بعض الناس أو أخبر الله نبيه ببعض ما يخفونه من الباطل ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ [النساء:٦٢] وهذا استفهام يراد به التعجب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب ما عندهم من الباطل ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢] ما أردنا إلا الخير ما أردنا إلا النصرة هكذا ولكنهم مفضوحون إلى يوم القيامة فمهما تستروا كما قيل:

مهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

عياذًا بالله وعلى المؤمن أن يكون مستجيبًا كل الإستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ وإلا كان فيه خصلة من خصال النفاق قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى لا بد أو قال إنه من المنافقين هذا القرآن هذه سنة النبي ﷺ فيأبى كل الإباء هذا يخشى أن يكون في قلبه والعياذ بالله مرض النفاق وقد عاش المنافقون زمن رسول الله ﷺ والوحي يتنزل صباحًا ومساءً ليلًا ونهارًا ومع ذلك ما اتعظوا ولا اعتبروا **لماذا؟**

لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علم أنه لا خيرية فيهم، المؤمن ظهر بإيمانه،الكافر ظهر بكفره علانية وهذا جبان ما استطاع أن يظهر بمظهر الإيمان الصحيح ولا بمظهر الكفر الواضح ما استطاع فكان والعياذ بالله يتحرق قلبه حينما ينتصر الإسلام أو ينهزم الكفار يتألم قلبه ويفرح إذا أصيب المسلمون أو انتصر الكفار على المسلمين يفرحون عياذًا بالله نسأل الله السلامة والعافية.





وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].



ثم قال المؤلف: وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا﴾ هؤلاء المنافقون أيضًا قد يفسدون والإفساد أيضًا قد يكون حسيًا ومعنويًا فالإفساد الحسي كهدم البيوت وقطع الطرقات والسرقة والمعنوي بالمعاصي والذنوب والإلحاد هذا فساد أيضًا ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١] هذا أيضًا من الفساد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١] قال سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢] يحكم الله تبارك وتعالى بأنهم أهل فساد وإن قالوا أهل صلاح فمن ادعى دعوى باطلة لا أساس لها من الأحقية كذبة واقعة ومن السهل أن يدعي مدع ما ليس له أو ما ليس فيه لكن سرعان ما يفضح

ومن تزيا بغير زيه فضحته شواهد الإمتحان.



وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠].



وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ على حسب ما تقدم في الإفساد ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] وقوله سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠] هذا استفهام أيضًا توبيخي يقول الله سبحانه وتعالى عن



هؤلاء: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ استفهام يبغي هؤلاء حكم الجاهلية يتحاكمون إلى الطواغيت وإلى الأسلاف والأعراف والسلوم ومعارف القبائل وقد أنزل الله ﷻ قرآنًا وسنة وهكذا أيضًا في هذا رد على من يريد التحاكم إلى الطواغيت إلى القوانين التي هي من صنع البشر

إن القــوانين فـوق النــاس تحكمهــم والله أنـــــزل قرآنًـــــا هجرنــــــاه

أيضًا هذه من أحكام الجاهلية والجاهلية هي الحالة التي كان الناس عليها قبل مبعث النبي ﷺ فهي الجهل والسفه والكفر والاختلال العقائدي المنهجي هي الحياة الفوضوية المليئة بكل ظلم وضلال وباطل فالله ينكر يقول يستفهم:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠] كيف يريدون حكم الجاهلية وقد بعثنا نبيًا وأنزلنا كتابًا وأنقذناكم من الضلالة إلى الهداية كما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣] **بماذا الإنقاذ؟**

بالوحي بالقرآن بالسنة قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] لا أحد فالله أحكم الحاكمين ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨] حكم سبحانه فعدل وقال فصدق لا ظلم ولا جور بل هو عين العدل عدل في العقيدة في الأحكام في رجم الزاني في جلده في قطع يد السارق في العقوبات الشرعية كلها هذا عين العدل لأنه ﷻ علم أنه لا حياة سعيدة ولا حياة طيبة إلا بهذه الأحكام ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] وقال ﷻ في كتابه الكريم على سبيل التفصيل:

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩] أحكام كثيرة جدًا كان فيها عين العدل والشفقة والرحمة حينما يرجم الزاني ويجلد الخمار وتقطع يد السارق ويعزر المرتشي ويؤخذ على يد السفيه وتقام المحاكم الشرعية يقرب أهل

الصلاح وينبذ أهل الفساد ينبذ الشرك وتنبذ البدعة وتنبذ المعصية ويقرب أهل الدين والخير والتوحيد هذا كله من الإصلاح في البلاد هذا كله صلاح علم ﷻ أنه لا صلاح للبلاد والعباد إلا بهذه الأحكام التشريعية وهنا كلام للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حول هذه الآية من سورة المائدة وهي رقم ٥٠ من سورة المائدة قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عند هذه الآية: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] قال:

ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الأهواء والآراء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات كما يضعونها بأيديهم وآرائهم وأهوائهم كما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ﴾ [المائدة:٥٠] أي يتبعون ويريدون وعن حكم الله يعدلون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال حدثنا هلال بن فياض قال حدثنا أبو عبيدة



الناجي قال سمعت الحسن يقول: من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية.

قال: وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: كان طاووس إذا سأله رجل: أفضل بين ولدي في النحل؟ قرأ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الخوطي قال حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الناس إلى الله من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه**»[(١)] الحديث في البخاري.

قال: وروى البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة، الحديث - بارك الله فيكم - في صحيح البخاري في البخاري عن ابن عباس عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة وتعليق أيضًا للشيخ علي بن سنان قال:

ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال يقدمونها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها.



(١) البخاري (٦٤٨٨).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح(١).

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ [النساء: ٦٠] الآية.

وقيل: الآية نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ [البقرة: ١١].

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

الرابعة: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الخامسة: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

---

(١) قال الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦٧): إسناده ضعيف.



السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.



قال: وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

الصحيح أن الحديث ضعيف في سنده نعيم بن حماد وهو ضعيف في الحديث ولكن المعنى صحيح «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» حتى يكون هواه أي ما يهواه وتتجه إليه نفسه وتصبو وتميل إليه من حيث المعنى صحيح.

وقال الشعبي، وهو عامر بن شراحيل عالم أهل زمانه وكان حافظًا كبيرًا وهو الذي تنسب إليه القولة المشهورة:

«**ما كتبت سوداء في بيضاء**» وذلك لشدة حفظه كان حافظًا كبيرًا وكان صاحب دعابة رحمه الله قال:

كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء:٦٠] وقيل: نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله: أكذلك؟ قال: نعم فضربه بالسيف فقتله.

هذا السبب لم يثبت كما نبه عليه الواحدي في كتابه أسباب النزول ليس هذا - بارك الله فيكم - بصحيح لكن بالنسبة للآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء:٦٠] فإنها تتناول من تحاكم إلى الطواغيت إلى القوانين إلى اليهود إلى الكهنة إلى القوانين الوضعية إلى الأعراف والأسلاف فهي عامة شاملة في كل من رغب عن التحاكم إلى ما أنزل الله إلى رسوله ﷺ وبهذا القدر نكتفي والله أعلم.

قال هنا المحقق لكتاب التوحيد وهو محمد العلاوي قال:

صح في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره والطبراني في معجمه والواحدي في أسباب النزول من طريق أبي اليمان صفوان بن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس به وكان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله ﷻ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية [النساء:٦٠] قال: وإسناده صحيح وصححه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند من أسباب النزول أما بالنسبة لما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فهو ضعيف بل موضوع قال: علقه البغوي في تفسيره والواحدي والحافظ من طريق الكلبي والكلبي متهم بالكذب وأبو صالح متروك ولم يسمع من ابن عباس هذا - بارك الله فيكم - هو الذي ثبت في سبب هذه الآية وكما تقدم أنها عامة شاملة في كل من صرف التحاكم إلى غير الله أو سنة رسوله ﷺ.





باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠]

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات وقول الله تعالى:

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠]

هذا الباب من أبواب التوحيد وهو القسم الثالث من أقسامها فقد كان المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من بداية الكتاب يعقد فصولًا وأبوابًا في توحيد الربوبية وهو إفراد الله بخلقه وتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة أو بأفعال العباد فالقسم الأول يسمى توحيد الربوبية والثاني يسمى توحيد الألوهية أو توحيد العبادة وهذا القسم والقسم الثالث يسمى بتوحيد الأسماء والصفات ومعناه: أن لا نصف الله ولا نسميه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله ولا نسميه إلا بما سمى به نفسه أو سماه رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وهذا القسم من التوحيد حصل فيه خلاف شديد بين أهل الحق وأهل الباطل أعني بأهل الحق المتبعين لرسول الله ﷺ الذين ارتضعوا من وحيي الكتاب والسنة الصحيحة وهم العلماء الأفذاذ من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى آخر واحد منهم كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا**

يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة»[١] وشذ عن هذا الحق شواذ جانبوا طريقة الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح في باب الأسماء والصفات كالجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزار والأشاعرة ومن جرى مجرى هؤلاء لكن ذكرت هذه الطوائف الثلاث لكثرتها ولكثرة أيضًا ضلالها في هذا الباب في باب الأسماء والصفات.

فالجهمية جحدوا الأسماء والصفات والمعتزلة أثبتوا أسماء مجردة عن أوصافها والأشاعرة أثبتوا سبع صفات ونفوا ما سواها وأما أهل السنة والجماعة فهم أحظى الناس وخير الناس وأشرف الناس في هذا المقام فقد أثبتوا لله ما أثبته لنفسه ونفوا عن الله ما لا يليق بجلاله أو ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسول الله ﷺ **لماذا؟**

لأنهم مشوا على طريقة القرآن الكريم وعلى فهم السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم جميعًا.

فيبين المؤلف بهذه الترجمة هذا القسم من أقسام التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات.

فقوله: من جحد،

الجحد يأتي بمعنى الإنكار جحدني فلان أي أنكرني وهو نوعان:

بمعنى التكذيب وهذا كفر جحود بمعنى التكذيب وهذا كفر مخرج من الملة بالإجماع كما إذا قال: ليس لله يد أو ليس مستويًا على عرشه أو أنكر شيئًا من الأسماء أو الصفات حاله كحال من أنكر القرآن كله أو سورة أو آية أو حرفا

---

(١) البخاري (٣٤٤٢) ومسلم (١٩٢٠).



يكون كافرًا كفرًا أكبر مخرجًا من الملة.

القسم الثاني: الجحود بمعنى التأويل هذا القسم من أقسام الجحود على فقرتين:

الفقرة الأولى: أن يكون لهذا المؤول مسوغ في اللغة العربية هذا المسوغ يتشبث به فهنا لا يكفر لوجود الشبهة أما إذا لم يكن هناك مسوغ وإنما تعمد التأويل وجانب الصواب جانب المعقول والمنقول والعرف واللغة فهذا التأويل يردي بصاحبه إلى الهاوية والعياذ بالله.

فيقول: من جحد شيئًا من الأسماء،

الأسماء مفردها اسم وقد اختلف أهل العلم في اشتقاقه فقال قائل: مشتق من السمو بمعنى العلو والإرتفاع وقال قائل: مشتق من السمة بمعنى العلامة والراجح أنه مشتق منهما مشتق من السمة ومن العلامة.

قال: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات،

يعني يريد أن يقول **ما حكم ذلك في شرع الله؟** فقد تقدم أن من جحد شيئًا من الأسماء ومن الصفات وكان جحوده ناتجًا عن تكذيب فإنه يكون كافرًا وإن كان جحوده ناتجًا عن تأويل له مسوغ في لغة العرب يتشبث به فلا يكفر فإذا لم يكن لهذا التأويل مسوغ لغوي أو غيره مما يتعلق به المؤول فهنا يكون هذا التأويل كفرًا والعياذ بالله.

ثم استدل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا دليل على فقهه استدل لهذه الترجمة كالدليل للترجمة قال: وقول الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠] هذه الآية تدل على أن من كفر بالرحمن بذاته أو باسمه أو بوصفه فيكون كافرًا إن كان كفره ناتجًا عن جحود عن تكذيب عن تأويل ليس له مسوغ فيقول سبحانه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ والضمير يعود

على كفار قريش ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠] وذلك أن المشركين كانوا لا يؤمنون باسم الرحمن على أنه كان اسمًا معروفًا في الجاهلية قال الشاعر العربي:

فإن يشأ الرحمن يعفو ويطلق

الدليل على ذلك أيضًا ما جاء في صحيح البخاري في صلح الحديبية في العام السادس من الهجرة النبوية أراد النبي ﷺ أن يدخل مكة معتمرًا فاعترضته قريش في مكان يسمى الآن بالشميسي وهو قريب من مكة الأعلام تدل عليه إلى يومنا هذا فتفاوضوا معه على أن لا يتم دخوله هذا العام فقرروا وجاء سهيل بن عمرو الدوسي لكتابة الصلح فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو: لا نعرف هذا، وهذا هو الشاهد ولكن اكتب باسمك اللهم والحديث ثابت في صحيح البخاري من حديث سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه فإن هذا الرجل كان على الشرك في صلح الحديبية لكنه بعد ذلك أسلم وحسن إسلامه وهو الذي ثبت الله به أهل مكة من الردة حينما ارتدت العرب إلا من شاء الله ثباته فقام سهيل بن عمرو خطيبًا وكان خطيبًا مفوهًا فقال: يا أهل البلدة يا أهل مكة لا تكونوا آخر من آمن من العرب وأول من كفر فثبت الله سبحانه وتعالى أهل وادي مكة بهذه الكلمات اليسيرة فنفع الله به تلك البلاد فرضي الله تعالى عنه وأرضاه فيقول سبحانه:

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ يعني هذا من أسماء الرب سبحانه وتعالى

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠] التوكل بمعنى التفويض وشرعًا: هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنفعة ودفع المضرة ولا ينافي الأخذ بالأسباب.



قال: ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ أصلها متابي بإثبات الياء لكن حذفت تخفيفًا والمتاب بمعنى التوبة أي إليه توبتي كما قال سبحانه:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ [طه:٨٢] ويقول ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥] وهكذا يقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:١١٠] واسم الرحمن اسم من أسماء الله الحسنى يقول العلماء: إنه عام الفعل خاص الاسم فلا يتسمى به إلا الله ﷻ وأما من حيث الفعل فهو أكثر رحمة من الرحيم إذ أن رحمن صيغة مبالغة على وزن فعلان.



وفي صحيح البخاري: قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟[١].



قال: وفي صحيح البخاري قال علي رضي الله عنه: «**حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟**»،

أراد المؤلف بهذا في هذا الباب ألا يحدث الناس بأمور لا تدركها عقولهم كأن تتحدث مع الناس مثلًا بالنزول التنزل الإلهي فالعامي لا يدرك هذا ربما ظن أنه بالنزول الإلهي كانت السماوات فوق الله والله يقول: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١] ويقول:

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:١] فلا يدرك أن النزول إنما يكون بكيفية يعلمها هو ﷻ بل قد حصل من الناس حينما سئل عن هذا عن التنزل الإلهي آخر الليل فقال:

(١) البخاري (١٢٧).

فكيف حينما يكون النهار في منطقة وبعد ذلك يكون الليل في منطقة أخرى ثم يعود الليل في المنطقة الأولى والنهار في المنطقة الثانية فكيف يكون هذا هذه تحدث للإنسان بلبلة لا يستطيعون أن يفهموها وليس معنى ذلك أننا لا نحدث الناس بما لا يعرفونه يعني لا ينبغي أن تدع الناس جهالًا متمسكين بهذا الأثر «**حدثوا الناس بما يعرفون**» لا تحدثهم إلا بما يعرفون أما ما لا يعرفون فلا، الناس الأصل فيهم الجهل

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل:٧٨] فليس هكذا المراد وإنما المراد أننا نعلم الناس بأشياء نمهد لها ونأخذهم بها رويدًا رويدًا ونترفق بهم حتى تتقبل نفوسهم هذا الحق قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] وهكذا ابن مسعود يقول كما في صحيح مسلم قال ابن مسعود: «**ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**»(١) فالناس بحاجة إلى تعليم بل واجب يقول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(٢) فلا بد أن يتعلم الناس أمر العقيدة وهو أصل الأصول لا بد أن نعلم **لكن كيف؟ ما هو الأسلوب ما هي الطريقة؟ ومن الذي يعلم الناس؟ من الذي يشرح للناس؟**

إنهم أهل العلم الذين يتبصرون وعندهم من القوة ومن الحجة ما يوصل المعلومة إلى قلب العامي مع سلامة فطرته وعقيدته التي فطره الله ﷻ عليها وهذا القسم من أقسام العقيدة أو التوحيد توحيد الأسماء والصفات ذكر العلماء قواعد في هذا الباب لكثرة الخلاف عند المتأخرين جعلوا في ذلك قواعد منها ينطلق طالب

---

(١) مسلم (٥).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٢٢٤) والطبراني في الكبير (١٠٤٣٩) انظر حديث رقم: ٣٩١٣ في صحيح الجامع.



العلم كأمر متفق عليه من هذه القواعد وهو كله مأخوذ من كتاب الله ومن هدي الرسول ﷺ.

القاعدة الأولى: أن أسماء الله ﷻ ليست محصورة بعدد معين هذه قاعدة احفظوها أن أسماء الله ليست محصورة بعدد معين الدليل على ذلك حديث ابن مسعود في مسند أحمد قال النبي ﷺ: «**ما أصاب عبدا هم ولا غم ثم قال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء همي وذهاب حزني قالوا: أفلا نتعلمهن؟ قال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها وأن يعلم من أراد أن يتعلمها**»[(١)] والشاهد: «**أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» وكذلك أيضًا حديث الشفاعة قال رسول الله ﷺ: «**فأخر تحت العرش ساجدًا فيقول الله محمد إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع قال فيفتح الله علي بمحامد لم أكن أعلمها من قبل**»[(٢)] أما حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**»[(٣)] فهي لا تدل على الحصر بدلالة وهي أنه ما أراد الحصر لو أراد الحصر لقال: إن أسماء الله لكن حينما قال: إن لله هو بمثابة قول الشخص: إن لي ألف دينار

---

(١) صحيح: أحمد (٣٧١٢) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢) وانظر السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) البخاري (٦٩٧٥) ومسلم (١٩٣).

(٣) البخاري (٢٥٨٥) ومسلم (٢٦٧٧).

أو ألف درهم أعددتها للحج أو للصدقة أو أن لي عشرة من الإبل أريد أن أسافر بها لا يمنع أن يكون عنده غيرها.

القاعدة الثانية: أن أسماء الله مترادفة متباينة مترادفة لفظًا متباينة معنى مترادفة لفظًا بمعنى إذا قلنا الله هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر أو قلنا السميع البصير القهار الكبير المتعال هذه أسماء مترادفة لذات واحدة وهو الله سبحانه وتعالى أسماؤه مترادفة من حيث اللفظ لكنها متباينة من حيث المعنى فالسميع يدل على غير ما يدل عليه الحكيم واسم الحكيم يدل على خلاف ما يدل عليه الكبير أو العظيم أو الخلاق أو القوي هذا أمر في حق الله وممكن أيضًا في حق المخلوق على أن المؤولة يمنعون مثل هذا على أنك ممكن تقول: زيد كاتب شاعر سائق ألفاظ مترادفة لمسمى واحد مع أنها تتباين في المعنى والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف فليست أعلامًا محضة بخلاف البشر فربما كانت الأسماء محضة وربما كانت على غير ذلك كأن يتسمى رجل بصالح وهو ليس كذلك أو بعلي وهو ليس كذلك أو صادق وهو ليس كذلك فأسماء الله أعلام من جهة دلالتها على الذات وأوصاف من جهة دلالتها على الصفات وأي اسم من الأسماء يدل على الذات وعلى الصفات أيضًا فكل اسم يدل دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة التزام فدلالة المطابقة أن يفسر الإسم بجميع معناه وسيأتي ودلالة التضمن أن يفسر الإسم بجزء من معناه ودلالة الإلتزام أن يفسر الإسم بعامل خارجي فإذا قلنا مثلًا: الخالق إن أردنا أن نفسرها بدلالة المطابقة فالخالق علم على الذات الإلهية ويدل على صفة الخلق ويدل بالإلتزام على أن هذا الخالق قادر لو لم يكن قادرًا لما استطاع أن



يخلق وعلى أنه عظيم وعلى أنه كبير وعلى أنه سميع وبصير أيضًا وإلا فكيف يكون له هذه المنزلة الشريفة فهذا معنى دلالة التضمن والمطابقة والإلتزام.

قال الشيخ العثيمين: وهذه القاعدة من أنفع العلوم لمن فهمها فربما استنبط من النص فوائد كثيرة حينما تقول مثلًا:

العزيز: اسم علم على الله بدلالة المطابقة ويدل على صفة العزة بدلالة التضمن ويدل بدلالة الالتزام وهو عامل خارجي بأنه عظيم وكبير دلالة التزام هذه من أنفع القواعد يفهم أسماء الله ﷻ وصفاته.

من حيث الصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

صفات ذاتية: وهي التي لا تنفك عن الذات الإلهية مثل السميع البصير القدرة القوة.

صفات فعلية: وهي التي لها تعلق بالمشيئة والإرادة مثل الإستواء النزول هذه لها اتصال بمشيئة الله ﷻ متى شاء فعلها.

وصفات خبرية: إذن أقسام الصفات ثلاثة صفة ذاتية وصفة فعلية وصفة خبرية الصفة الخبرية يقول عنها العلماء: هي التي بالنسبة لنا أجزاء وأبعاض مثل الوجه الساق اليد العين ومعنى خبرية أي أنها تثبت عن طريق الخبر وهو الخبر السمعي لا الخبر العقلي من القرآن أو من سنة الرسول ﷺ هذه القواعد يجب على طالب العلم معرفتها.

آخر شيء من القواعد: يقول العلماء: أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء **لماذا؟**

لأن كل اسم يتضمن صفة وليس كل صفة تتضمن اسمًا والصفات كثيرة مثل الاستواء الإرادة الكلام فلا يقال عن الله المريد المتكلم المستوي لا يقال عنه هذا

فهذه صفات قواعد في أسماء الله وصفاته وينبغي في مثل هذا أن ينقل الناس عبارات العلماء الكبار للناس لأن باب التوحيد وباب العقيدة لا ينبغي أن يتكلم عنه إلا من فقهه لأنه يتكلم عن أمر من أعظم الأمور ومن أهمها فإذا سمعت كلامًا مدللًا عليه وفقهته جاز لك أن تبلغه للناس وإلا فالسلامة في السكوت.



وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمة، ويهلكون عند متشابهه. انتهى[1].

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم:

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠].

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك الحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة، أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس رضي الله عنهما لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.



(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠٨٩٥).



قال: وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات ومعنى انتفض أي اهتز جسمه استنكارًا لذلك فقال ابن عباس: «**ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه**» المراد بالمحكم هو ما احتمل معنى واحدًا وأما المتشابه فهو ما احتمل عدة معان ووجب على طالب العلم على المسلم أن يأخذ بالمحكم وما اشتبه عليه شيء أعاد علمه إلى الله ﷻ ولا ينبغي له أن يتكلف كما قال ربنا: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] وهذا الأثر - بارك الله فيكم - أخرجه ابن أبي عاصم وذكره الشيخ الألباني في تخريج السنة حديث صحيح أثر صحيح عن ابن عباس.

قال: ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله ﷻ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠] هذا من قول مجاهد وهو مرسل فحكمه الضعف والضعيف لا نشرحه كما هي طريقتنا في التدريس وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب قول الله تعالى:

﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣]

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول الله تعالى:

﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [النحل:٨٣]

بمعنى باب تفسير قول الله أو ما جاء من كلام العلماء حول هذه الآية ما شاء الله هذا من توفيق الله تعالى لهذا الرجل ولتأليفاته يعني يعضد تبويباته بالقرآن أو بحديث من أحاديث الرسول ﷺ وهذا مصداق قوله تبارك وتعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦].

فيقول: باب قول الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٨٣] أي أنهم يعلمونها ويعرفونها حق المعرفة ونعمة يقول العلماء: هذا من إضافة المفرد الذي يفيد العموم نعمة الله نعمة نكرة لكن حينما أضيفت أفادت العموم إذن النعمة ها هنا عامة شاملة الآية هذه هي من سورة النحل وسورة النحل تسمى بسورة النعم عدد الله فيها نعمة البعثة النبوية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة:٣] ونعمة خلق الإنسان والنعمة التي من الله بها على عباده من الحيوانات الحليب اللحوم الأوبار فهي سورة ضمنها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هذه النعم فكثير من العلماء أخذوا بأن المراد بالنعمة هنا



الإسلام وبعضهم يقول: بعثة النبي ﷺ وبعضهم يقول: النعم التي ذكرت قبلها وكون حصل إضافة إلى كلمة نعمة فهي تدل على العموم فتفسر هذه النعمة بنعمة الإسلام ببعثة محمد ﷺ بجميع النعم التي أسداها الله سبحانه وتعالى علينا ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٤- ٢٩] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦- ٨] نعم كثيرة فالله تبارك وتعالى ينكر على قوم من الناس عرفوا النعمة لكنهم والعياذ بالله ينكرونها ويضيفونها لغير الله تبارك وتعالى الله هو الذي أنعم وهو الذي من وأنت تجعل معه شريكًا في ربوبيته أو في ألوهيته فتضيف النعمة لغير الله هذا من الجحود ومن النكران ومن الكفر أيضًا إذا كان قد أسدى الله تبارك وتعالى عليك نعمة ثم أنت تضيفها إلى غيره هذا تنقص وسوء أدب لو أن أبًا من الآباء أعطى لابنه قلمًا على أن الأب يعطي لابنه أكثر من ذلك لكن الإبن ما شكر أباه على القلم شكر أخاه أو أمه على القلم أو شكر شخصًا آخر **لماذا؟** لأن الوالد أرسل به مع فلان فهو شكر هذا الرسول الذي أوصل القلم وما شكر الذي منحه القلم هذه نعمة جزئية والله سبحانه وتعالى تفضل بها على هذا فهكذا كم يغضب الأب وربما يدعو على ابنه بشر فكيف إذا كان الله تبارك وتعالى هو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي أعطى عباده النعم الكبيرة ثم بعد ذلك جعلوا له شركاء وأندادًا يشركونهم في عبادة الله قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢].



قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.



ثم قال المؤلف: قول مجاهد ما معناه ومجاهد هو شيخ أهل التفسير الإمام الرباني مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي قال الفضل بن فيمون سمعت مجاهدًا يقول: عرضت المصحف على ابن عباس مرات أوقفه على كل آية أو عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف نزلت وكيف معناها؟ وقال سفيان: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وهو مدرسة التفسير في مكة وزيد بن أسلم كان مفسرًا لأهل المدينة ومجاهد بن جبر كان من تلامذة ابن عباس وابن عباس كان في مكة وكذا في الطائف هذا الرجل قال بعض العلماء في ترجمته: نقل عن بعض التابعين قال: كنت إذا نظرت إليه فكأنه حمال أسود وجلف فإذا تكلم فكأن الدر يتناثر من بين يديه أو من بين ثنيتيه ورفعه الله تبارك وتعالى بالعلم

رأيـت العلـم صـاحبه شـريف ... وإن ولدتـه آبـاء كـرام

ولـيس يـزال يرفعـه إلـى أن ... يعظـم قولـه القـوم الكـرام

ويحمـل قولـه في كـل أفـق ... ومـن يـك عالمًـا فهـو الإمـام

فبـالعلم النجـاة مـن المخـازي ... وبالجهـل المذلـة والرغـام

هـو الهـادي الـدليل إلـى المعـالي ... ومصـباح يضـاء بـه الظـلام

رفعه الله بعلمه وتعرفون تلك القصة التي فيها:



ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن الزهري أن الإمام محمد بن مسلم الزهري المعروف الإمام الكبير قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: **من أين قدمت يا زهري؟** قال: قدمت من مكة قال: **من خلفت على أهل مكة؟**

قال: قلت: عطاء بن أبي رباح فكان يسأله: **أهو من العرب أم من الموالي؟** سأله عن بلد كثير في آخر سؤال ذكر واحد أو اثنين من العرب فقال عبد الملك بن مروان لما ذكر له واحد أو اثنين فرجت عني يا زهري والله لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها قال: قلت: يا أمير المؤمنين – وهذا موطن الشاهد – إنما هو دين الله من حفظه ساد ومن ضيعه سقط هذه عبارة تكتب بماء الذهب هذا الإمام الجليل كثير العلم رفيع القدر يفسر هذا قال:

هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي رجل ورث عن أبيه عن عمه عن أحد أسرته الذين يرث منهم فريضة أو تعصيبًا أو بالولاء أو بالرحم يقول: هذا ما ورثته عن آبائي.

مراد مجاهد بن جبر أنه يقول هذا معتقدًا أنه من فلان أو بسبب فلان العلماء لهم كلام في هذا وكلامهم من وجهين يعني بالتفصيل: قالوا إن كان هذا الكلام عن طريق الخبر وكان هذا محققًا فلا بأس أن يقول هذا أورثته من آبائي وكما قال عون بن عبد الله يقولون: لولا فلان لم يكن كذا لولا الكلب لأتانا اللصوص لولا السلاح لتقدم منا العدو إن كان عن طريق الإخبار ويعتقد أن المؤثر هو الله ﷻ لا حرج في ذلك وهذا مثل ما سأل العباس النبي ﷺ قال: يا رسول الله كان عمك أبو طالب يحوطك بنصحه فهل نفعته بشيء قال: «**هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان**

في الدرك الأسفل من النار»[١] الحديث رواه مسلم وهذا مثل قول الدارقطني: لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا أتى وقول تلك المرأة أظنها الخنساء لما قالت:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخي ولكن ... أسلي النفس عنه بالتأسي

وكذلك ما ذكره ابن القيم مدحًا في أصحاب النبي ﷺ لما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

أولئك أتباع النبي وحزبه ... ولولا هموا ما كان في الأرض مسلم

ولولا هموا كادت تميد بأهلها ... ولكن رواسيها وأوتادها هموا

ولولا هموا كانت ظلامًا بأهلها ... ولكن هموا فيها بدور وأنجم

فإذا كان من هذا القبيل يعني لولا الدكتور فلان كانت تأخرت العملية لولا فلان ساعدني في المعاملة يعني كذا لا بأس إن كان عن طريق الإخبار وكان الخبر محققًا صدقًا فلا بأس به على أن المؤثر هو الله أما إذا كان هذا الشيء يضاف إلى السبب وتجعل السبب هو المسيطر والمؤثر فهذا يكون من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة وهو مثل قول المشركين: هذا بشفاعة آلهتنا كان المشركون إذا نزلت الأمطار يقولون أنزلتها العزى أو الشعرى أو مناة فهذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله فلو قال: لولا حذاقة الدكتور وكان يعتقد أن الدكتور هو الكل في الكل هو المؤثر وهو المتسبب وهو المتفضل وهو الذي به تم كل شيء كفر فلو قال: لولا الدكتور حظر وكذا فكان سبب بعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويعتقد أن الله هو المؤثر وهو النافع وهو الضار وهو على كل شيء قدير الكلام سليم مائة في المائة ما في أي غبار عليه.



(١) البخاري (٣٦٧٠) ومسلم (٢٠٩).



وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»(١) الحديث. وقد تقدم: وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.



وقال أبو العباس أبو العباس تعرفونه علم والعلم لا يعرف أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعد حديث زيد بن خالد وهذا الحديث مر بنا كثيرًا في البخاري قطعه البخاري في أكثر من باب حديث زيد بن خالد الجهني «**أن الله** ﷻ **قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» الحديث وقد تقدم.

وهكذا من عادات المحدثين أنهم يقطعون الحديث أي إلى آخره «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته قال الله فذلك مؤمن بي كافر**

---

(١) البخاري (٩٩١) ومسلم (٧١).

بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» إذا كان يعتقد أن الكوكب هو المؤثر على أنه قد تقدم لنا أنه إذا كان النجم عبارة عن علامة وأمارة لا أن النجوم هي التي تؤثر بذاتها فلا بأس من هذا القول أما إذا نسب وأضيف الخير المطر الغيث الرحمة إلى هذا الكوكب فهذا يتناول الحديث بلفظه «**كافر بي ومؤمن بالكوكب**» كفر أكبر مخرج من الملة.

قال: وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به وقال بعض السلف:

والسلف لغة من تقدمك من آبائك موتًا كما في حديث عائشة: «**أنتم لنا سلفًا ونحن لكم خلفًا**» واصطلاحًا: هم أصحاب النبي ﷺ ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة ويصح إطلاق هذا اللفظ على كل من التزم مذهب السلف ولا بأس أن تقول أنا من السلف قال ابن تيمية: ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتز به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا هذا في البحر كانت الريح هادئة والملاح سمي ملاحًا لملازمته المياه المالحة لأن ماء البحر مالح فيسمونهم ملاحة قال: هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة الكثير والواجب في مثل هذا أن يقولوا أن يضيفوا السلامة والنجاة لله أن يقولوا مثلًا: هو الذي سخر لنا هذا هو الذي جعل الريح طيبة وسخر الله لنا بهذا القائد الطيب المحنك الله هو الذي سخر وهو الذي هيأ فهنا لا حرج أما أن تضاف هذه إلى المخلوق ناسيًا أو متناسيًا الخالق تبارك وتعالى فإن الإنسان قد يؤاخذ من خلال كلامه العاري عن التوحيد أو الهاشم لركن التوحيد وهكذا - بارك الله فيكم - يجب على



العباد أن يكونوا دائمًا متلمسين رضا الله وقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه على مثل هذا قال صحابي: ما شاء الله وشئت قال: «**أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده**»[(١)] وقالت جارية: وفينا رسول الله يعلم ما في غد قال: «**لا قولي كما كنت تقولين من قبل**»[(٢)] وهكذا ما شاء الله وشاء محمد قال:

«**قولوا ما شاء الله وحده**»[(٣)] عبارات كثيرة جدًا النبي ﷺ يقوم اعوجاج أصحابه في حياته ويحافظ ويحمي حمى التوحيد لأنه - بارك الله فيكم - من آصل الأصول ومن أعظم الأمور أن يكون الشخص موحدًا لله ﷻ على أن العوام مساكين فلو سمعت واحدًا يقول مثل هذه الألفاظ حاول أن تترفق به وأن تبين له أن هذا لا يجوز لأن العوام مساكين في قلوبهم تعظيم لله ﷻ وكونهم يأتون ببعض الأشياء ببعض الخرف والبدع والخرافات إنما الإثم على من أفتاهم فهم أتباع كل ناعق مساكين فلا بد أن تكونوا رحماء بهم مش تسمع واحد من هؤلاء

يقول: لولا الله وفلان أنا ما معي إلا الله وأنت وتنزل عليه الآيات والأحاديث التي فيها إعلان الحرب على من كفر بالله ﷻ مثل هذا ترفق به وعلمه وكن رحمة أهل السنة هم أرحم الناس بالخلق كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ويذكر الله ﷻ عن سيدنا الخضر عليه السلام قال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥] فلا بد أن يكون الدعاة من طلاب العلم في قلوبهم رحمة ولا تنزع الرحمة إلا من شقي فإذا عرف العامي هذا أنك تخاف عليه من النار والله لاستجاب لك وانقاد لك وعلم أيضًا أنك

---

(١) صحيح: سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٤) وانظر تحذير الساجد صفحة ٩٠.

(٢) البخاري (٣٧٧٩).

(٣) الحاكم (٥٩٤٥) والطيالسي (٤٣٠) وعبد الرزاق (١٩٨١٣).



تدعوه لله لا تريد منه جزاء ولا شكورًا والله إنه يذعن لك وهذا أمر مجرب قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢١] فإذا كنت لا تسأل فيه شيئًا وعلم أنك إنما تدعوه لله تبارك وتعالى اقتنع بدعوتك واستجاب لما تدعوه إليه من الخير وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا جميعًا للبر والتقوى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





باب قول الله تعالى:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول الله تعالى:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **[البقرة:٢٢]**

بمعنى أنه يذكر ما فسر العلماء به هذه الآية المباركة من سورة البقرة وأولها بقول المولى ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢] قال: أي عدلاء وشركاء وهذا هو المراد بقوله أندادًا وأما لا فهي تعتبر لا الناهية التي تجزم الفعل المضارع ومعنى الآية: أن الله ﷻ نهى وحرم على العباد أن يتخذوا أندادًا والأنداد جمع ند وهو الشبيه والنظير فلا تجعلوا له أندادًا في ربوبيته تسونه بالله يخلق كخلق الله ولا في ألوهيته تصرفون له شيئًا من العبادة ولا في أسمائه وصفاته تعطونه من الأسماء والصفات التي لا تليق إلا بالمولى ﷻ هذا هو معنى الآية المباركة وهذه الآية وما شابهها في هذا الباب هي من أهم أنواع التوحيد التي ينبغي للعبد المسلم أن يحرص عليها وهو أن يعرف أن



التوحيد بأقسامه الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات لا يكون هذا إلا حقًا لله ﷻ ربوبية وألوهية وتمجيدًا وتعظيمًا في باب الأسماء والصفات.



قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم(١).



ثم قال المؤلف: قال ابن عباس في الآية: «**الأنداد هو الشرك**»،

وقد تقدم لكم إيش المراد بذلك جمع ند وهو الشبيه والنظير فهذا من الشرك إذا اتخذ العبد هؤلاء الأنداد من دون الله كان مشركًا إذا دعا غير الله أو صرف شيئًا من العبادة لغير الله إذا اعتقد أن فلان يستطيع أن يخلق أو يرزق أو يمنع أو يمنح أو يعطي يكون هذا شركًا والعياذ بالله.

قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل بمعنى أن الشرك قد يكون خفيًا وقد جاء أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما أعلمه**» فالشرك قد يكون خفيًا لا يدركه العبد قد لا يدركه وهذا النبي ﷺ يطلب من ربه المغفرة إن كان قد حصل منه شيء من

(١) ابن أبي حاتم (٢٣٠).



الشرك مع أنه ﷺ هو رسول رب العالمين هو الذي دعا الناس إلى عبادة الله وترك ما يعبدون من دون الله ﷻ حاشاه أن يقع منه شرك.

ثم بين ابن عباس المراد بذلك قال: هو أن تقول: والله وحياتك يافلان هنا قسم بغير الله لأن الواو هذه واو القسم الواو والباء والتاء من حروف القسم وتمتاز الواو أنها أكثر استعمالًا من الباء والتاء.

قال: وقوله: وحياتي ومن الشرك الخفي أيضًا قوله: لولا كليبه هذا لأتانا اللصوص والكليبة تصغير كلبة وقد تقدم لنا قبل درسين المراد بقوله: لولا فإن كان المراد بذلك الإخبار الصحيح الموافق للواقع فلا بأس من استخدامه واستعماله كما قال الدارقطني: لولا البخاري لما جاء مسلم ولا ذهب وهكذا أيضًا لما قال النبي ﷺ في حق عمه أبي طالب: «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[1] وهكذا أيضًا قول تلك المرأة وهي تنعى إخوتها وهي الخنساء حينما قالت:

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وابن القيم ذكر مدحًا في أصحاب النبي ﷺ:

فلولا هموا ما كان في الأرض مسلم

ومن هذا القبيل فإن كان هذا إنما يريد به الخبر وكان الخبر حقًا فلا بأس من استخدامه أما إذا كان يستخدم هذا اللفظ ويعتقد أن فلان هو الذي سبب وهو الذي أوجد بحذاقته ومهارته وشجاعته ولا يسند الأمور إلى الله تعالى فهذا باب من أبواب الشرك الخطيرة فلا بأس أن تقول: لولا الكلب أو الإضاءة الكبيرة التي على الباب

---

(١) البخاري (٣٦٧٠) ومسلم (٢٠٩).

وإلا جاءنا اللص جاءنا السرق من الشر، إن كنت تخبر بأمر واقع لا بأس باستخدامه أما إذا كنت تعني بذلك أنها هي التي منعت وهي التي صرفت ونفيت ذلك عن الله ﷻ فهذا يوقعك في الشرك عياذًا بالله ومثله أيضًا لولا البسط في الدار لأتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت هذا من الشرك لأن الواو هذه تقتضي المشاركة والمساواة لكن النبي ﷺ علمنا أن نقول: ما شاء الله ثم شئت لأن ثم تفيد الترتيب والتراخي بخلاف الواو فإنها تقتضي المساواة والمشاركة.

قال: وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلانًا هذا كله ذي شرك رواه ابن أبي حاتم وهو عبد الرحمن والحديث حسن أفاد ذلك الدوسري في النهج السديد برقم (٢٢٢).

فهذا الذي ذكره المؤلف عن ابن عباس كله يتضمن معنى قوله ﷻ:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] لا تجعلوا له من يكافؤه أو يماثله أو يضارعه أو يشابهه والواجب أن تعيد هذا كله لله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فنواصي العباد كلها بيد الله الوحوش الأسود لا تتصرف هذه إلا بإرادة الله البحر لا يغرق السكين لا تذبح السيف لا يقطع السم لا يضر إلا بإذن من الله الواحد الأحد.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٧] في كتب التاريخ أن بعض الأمراء غضب على رجل من الصالحين فكتب إلى السياف ورقة فيها كلمة واحدة

وهي: يقتل والسياف يعرف كيف يتخاطب مع هذه العبارة إن كتبها الأمير نفذت فأراد أن يكتب يقتل فكتب يطلق فأعادوا الورقة إلى الأمير فأراد أن يكتب يقتل فكتب



يطلق وهكذا ثالثًا ورابعًا فقال الأمير: والله ما أردت إلا قتله ولكنه يطلق رغم أنفي.

وهكذا ما عمله دعاة الخيانة والماسونية الخفية حينما قرروا في سبعة وعشرين رمضان أن يقتلوا عليًا وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان في تلك الليلة خرج معاوية للصلاة في الليل فأراد أن يقتله من أرسل إليه فأخطأ الضربة فجاء في مكان لم يصب بكثير أذى إلا أنه قطع منه عرق الإنجاب فقال: حسبي أن يكون عندي اليزيد وأما علي رضي الله عنه فقتل قتله عبد الرحمن بن ملجم وأما عمرو بن العاص فإنه أصيب في تلك الليلة بإسهال فما خرج فخرج مولاه خارجة للصلاة فقال أولئك: أردنا عمروًا وأراد الله خارجة وكان مثالًا إلى الآن في كتب التأريخ: أردنا عمروًا وأراد الله خارجة **من الذي تصرف بهذا؟** إنه الله تبارك وتعالى وهكذا ما كان من شأن فرعون وما أراد به من الكيد والمكر بموسى وما أراده كفار قريش من الفتك برسول الله ولكنهم لم يستطيعوا لأن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:٦٧] وهكذا ما فعله الكفار من إحراق إبراهيم وما استطاعوا وقصة الغلام الولي الذي أعيا ذلك الملك أن يقتله قال له: إنك لست بقاتلي حتى تعمل ما آمرك به تصلبني في جذع شجرة ثم تأخذ سهمًا من كنانتي ثم تضع السهم في كبد القوس ثم تقول: بسم الله رب الغلام فإنك إن فعلت ذلك قتلتني فإذا بالملك بعد أن أعياه قتله أرسله مع جنود إلى قمة جبل ومع ذلك يكفيه الله شر أولئك القوم بما شاء فيعود ماشيًا إلى الملك قتل وكانت قتلته شهادة وضحى بنفسه من أجل حياة أمة أسلم الناس لأن الملك لم يقل باسمه وإنما باسم رب الغلام وكان الناس يعرفون أن للغلام ربًا عظيمًا قادرًا قاهرًا غير هذا الملك الذي يزعم أنه رب وهو دجال من الدجاجلة ليس برب ولا إله فهذا إن دل إنما يدل على أن الأمور لا بد أن تسند إلى الله تبارك وتعالى أولًا وآخرًا وأن يكون العبد مع قدر الله تبرك وتعالى يضيف

كل شيء إلى الله كما قيل:

وكـــل شــــيء بالقضـــاء والقـــدر وكـــل مقـــدور فمـــا منـــه مفـــر
فكـــن لـــه مســـلمًا كـــي تســـلما واتبـــع ســـبيل الناســـكين العلمـــاء

فما أحوج المسلمين في هذا الزمان وفي غيره أن يسندوا أمورهم كلها لله ﷻ إن كثيرًا من المسلمين صار خوفه من أمريكا وسياسة أمريكا وقوة أمريكا ودهاء أمريكا وإسرائيل وأهل الكفر يعني صار في قلبه الرعب والخوف أعظم من خوفه من الله ﷻ وكان الأولى أن يقول: الله على كل شيء قدير هو الذي زلزل فرعون وثمود وعاد وهامان وقارون والنمرود ومزق سبأ شر ممزق فهو قادر على كل شيء لا يعجزه أحد من خلقه أمريكا مخلوقة من مخلوقات الله يصابون بالأمراض والأوباء ويصابون أيضًا بالإعصارات والزلازل والفيضانات والجمرة الخبيثة والإيدز والزهري والسيلان وعندهم من الطامات الكبرى **فلماذا يكون الخوف من أمريكا أعظم من الخوف من الله ﷻ؟** كان الواجب أن يكون إسناد الأمر لله ﷻ وأن يكون الإرضاء لله ﷻ لا للبشر لا سيما إن كان البشر هم أعداء الله كأمريكا مثلًا هم نصارى يكفرون بنبوة محمد ﷺ وإن دعوا إلى التعايش السلمي أو السلام العالمي وما شابه ذلك من الكلام الباطل الكاذب فهم حاقدون على الإسلام وعلى الدين ويودون أن يكونوا هم الموجودين على الكرة الأرضية يطئون بأقدامهم على المسلمين بل وعلى كل الديانات عياذًا بالله.





وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشركَ» رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا[٢].

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَفُلَانٌ، وَلِكَنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» رواه أبو داود بسند صحيح[٣].

وجاء عن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا لولا الله وفلان[٤].



ثم روى المؤلف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» الحديث عند الترمذي والحاكم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأيضًا هو في سنن أبي داوود وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع.

---

(١) صحيح: الترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٦٠٧٢) والحاكم (٧٨١٤) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٢).

(٢) صحيح: الطبراني في الكبير (٨٩٠٢) وعبد الرزاق في المصنف (١٥٩٢٩) وابن أبي شيبة (١٢٢٨١) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٣)

(٣) صحيح: أبو داود (٤٩٨٠) وأحمد (٢٣٣١٣) وابن أبي شيبة (٢٦٦٩٠) انظر حديث رقم: ٧٤٠٦ في صحيح الجامع.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الصمت صفحة (١٩٣).

وهنا أثر عن ابن مسعود قال: «**لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا**» وهذا الأثر صحيح رواه الطبراني قال الشيخ عبد الرحمن بن سنان: إسناده صحيح.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان**» رواه أبو داوود بسند صحيح هذا الحديث صحيح وقد تقدم لنا شرحه لكن فيه فائدة فيه بيان يسر الشريعة وأن الله تبارك وتعالى إذا حرم شيئًا أباح وأحل ما يكافؤه من الحلال وفيه توجيه للعلماء والدعاة أن إذا منعوا الناس من شيء وكان هناك من الحلال الطيب أن ينبهوا عليه وهو من باب قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة:١٠٤] عبارة بدل تلك العبارة وهكذا هناك لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان.

قال: وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره: أعوذ بالله وبك.

والأولى أن يقول أعوذ بالله دون أن يشرك ويجوز أن يقول بالله ثم بك خروجًا من الخلاف يقول: أعوذ بالله.

قال: ويقول: لولا الله ولا تقولوا لولا الله ثم فلان.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.



الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين (الواو) و(ثم) في اللفظ.



قال: فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد وقد تقدم وهي قوله:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

الثانية: أن الصحابة فسروا الآية نازلة في الشرك الأكبر وأنها تعم الأصغر وعلى هذا تفسير ابن عباس الذي تقدم لنا بالسند الحسن عند ابن أبي حاتم.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك كما في الحديث المتقدم.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس ولو كان صادقًا.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ الواو تقتضي المساواة والمشاركة وإن ثم تفيد الترتيب مع التراخي وهذا ما يحصل إلا عند الجهال بعقيدة الرسول ﷺ وليس للجهال دواء غير العلم الصحيح المنبثق من الكتاب والسنة كما قال العلامة ابن القيم في نونيته:

والجهـل داء قاتـل وشـفاؤه	أمـران في التركيـب متفقـان
نـص مـن القـرآن أو مـن سـنة	وطبيـب ذاك العـالم الربـاني
والعلـم أقسـام ثـلاث مـا لهـا	مـن رابـع والحـق ذو تبيـان
علـم بأوصـاف الإلـه وفعلـه	وكـذلك الأسـماء للـرحمن

والأمــر والنهــي الــذي هــو دينــه	وجـــزاؤه يـــوم المعـــاد الثـــاني
والكــل في القــرآن والســنن التــي	جـــاءت علـــى المبعـــوث بـــالقرآن
والله مـــا قـــال امـــرؤ متحـــذلق	بســـواهما إلا مـــن الهـــذيان

فمن سلك طريق العلم عرف التوحيد من الشرك وعرف السنة من البدعة والطاعة من المعصية والحق من الباطل وتبين له الخير ويجنب الشر لكن الجاهل يمر على هذه الأخطاء فلا يدرك أنها أخطاء والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

فكلمة باب تتكرر معنا كثيرًا وهي في اللغة معناها: هو ما يكون نافذًا من شيء إلى آخر وأما في الإصطلاح والمراد بالإصطلاح: اصطلاح الكتاب والمؤلفين في أي مجال من مجالات العلوم فيريدون بذلك الجملة العلمية المختصة من الكتاب فهو عبارة عن باب من أبواب العلم متكامل.

كما كان علي بن المديني يقول: إن الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه، نقلت هذه العبارة عن أبي الحسن علي بن المديني شيخ الإمام البخاري رحمة الله على الجميع.

وقوله: ما جاء، ما هاهنا موصولية أي الذي ورد من الأدلة من القرآن أو من السنة أو يراد به الحكم، باب ما جاء فيمن، **أي ما حكمه؟ وماذا له أو عليه؟** فهاهنا يكون المعنى: أي من الإثم ومن النقص في كمال توحيده فيكون معنى الباب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله أي من امتنع وأبى أن يقنع فيمن حلف له بالله ﷻ قد أكد ذلك بالقسم المؤكدة يكون عند هذا الآخر إخلال في توحيده فيكون توحيده ناقص لأن هذا ينافي كمال التوحيد لما سوف يذكره المؤلف من الدليل لهذه الترجمة

والحالف بالله لا يخلو من أمرين اثنين:

الأمر الأول: من الناحية الشرعية فإنه يجب الرضا بالحلف بالله بمقتضى الحكم الشرعي من حلف لك بالله رضيت بذلك كما سيأتي في حديث الترجمة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تحلفوا بآبائكم فمن حلف له بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله**» رواه ابن ماجة قال المؤلف: بسند صحيح أو سند حسن وحسنه أيضًا الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري في الجزء الحادي عشر صفحة ٥٣٦وصححه الشيخ الألباني كما في إرواء الغليل وصحيح الجامع فهذا هو الأمر الأول أن من حلف لك بالله رضيت إرض بذلك فإن كان صادقًا فالحمد لله وإن كان غير ذلك فسوف تأخذ حقك رغم أنفه يوم القيامة قال النبي صلى الله عليه وسلم لأخيه فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وإنما هي الحسنات والسيئات نسأل الله السلامة والعافية.

أما من الناحية الحسية وذلك ما يكون ظاهرًا للمحلوف له من الحالف فإن كان الحالف موضع ثقة فوجب عليه أن يرضى فيكون موافقًا للحالة الأولى فإن لم يكن كذلك كأن يكون الحالف ليس موطن وموضع ثقة فهنا المحلوف له بالخيار فإما أن يرضى ويحمله ذلك فيصبر ويحتسب وإما أن يرفض هذه اليمين يقول: أنا لا أرضى بها والإسلام يقره والدليل على ذلك حديث القسامى والمراد بذلك أن يوجد قتيل لا يدرى من قاتله فيدعي وليه على رجل أو جماعة فالحكم الشرعي في هذا أن يحلف أهل الدعوى خمسين يمينًا فيقبل الطرف الآخر فيدفعون الدية وإما أن يرضى الأولياء بخمسين يمينًا من المدعى عليهم فيرضون بذلك هذا ما ذكره الفقهاء في حد القسامى ونحن ليس بصدد هذا الأمر وإنما فيما يتعلق بالرضا وعدمها فبين يدي صحيح



البخاري المعروف بفتح الباري شرح صحيح البخاري في هذا الباب، قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا محمد بن زيد عن يحي بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رافع بن خديج وسهل بن أبي حتمة أنهما حدثاه أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر فتفرقا في النخل فقتل عبد الله بن سهل فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة أبناء مسعود إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهم وكان الذين في خيبر هم يهود فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم فقال النبي ﷺ: كبر كبر يريد بذلك أن يبدأ بالكلام الكبير وهذا ما ترجح لدينا أنه في حال الكلام والإستشارة أن يكون من قبل الكبير في المجلس إن كان المجلس الجماعة مرتبين يكون الكلام من الأسن من الأكبر سنًا أو علمًا وهكذا فيما يتعلق بأمر الإستشارة أما في مسألة توزيع الشراب أو المياه وكذلك أيضًا السواك يبدأ بالكبير كما في حديث: «**كبر كبر**»[1] لكن في مسألة أمور توزيع أمور حسية ماء طعام شراب وغير ذلك فلا بد أن يبدأ بالأيمن فالأيمن كما في حديث: «**الأيمن فالأيمن**»[2] وحديث الأعرابي لما ناول النبي ﷺ الغلام وكان عن يمينه والأشياخ عن يساره فترك الأشياخ باعتبار أنهم عن يساره وبدأ بالأيمن هنا بدأ عبد الرحمن بن سهل أخو المقتول الذي قتل عبد الله بن سهل لا يدرى من قاتله فقال ﷺ: «**كبر كبر**» يعني قال يجي ليلي الكلام الأكبر فتكلموا في أمر صاحبهم فقال النبي ﷺ:

«**أتستحقون صاحبكم أو نبيكم بأيمان خمسين منكم**» يعني تحلفون خمسين

(١) البخاري (٣٠٠٢) ومسلم (١٦٦٩).

(٢) البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢٠٢٩).



يمينا وتأخذون دية صاحبكم قالوا: يا رسول الله أمر لم نره وهذا شأن المؤمن وإن كان الأمر أمامه يعني مهيأ مائة في المائة لصالحه لكن عنده عدل وإنصاف وما شهدنا إلا بما علمنا قالوا: يا رسول الله أمر لم نره فقال: فتبرئكم يهود في أيمان خمسين منهم قالوا: يا رسول الله قوم كفار فوداهم رسول الله ﷺ من قبله(١).

فهنا أقر النبي ﷺ عبد الله أو عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة أبناء مسعود على عدم رضاهم بيمين الحالف وهذا موجود إلى الآن في بعض القبائل يقول لك: خمسين حلاف أو أربعين حلاف وبعدين هذا اليمين إن كان كاذبًا كما في الحديث: «**يدع الديار بلاقع**»(٢) إن كان يمينًا فاجرًا يمين غموس تغمس صاحبها في الإثم وقيل في النار كما في الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: «**واليمين الغموس التي تدع الديار بلاقع**» أي أنها تخرب الديار وتقصر الأعمار فاليمين الفاجرة يعني خطيرة كل الخطر على صاحبها.

حدثنا أن رجلين اشتركا في بقالة وكان الزبائن يكثرون حتى توسعت هذه البقالة وكان لها من الأرصدة الكثيرة ليست في هذه البلدة ولكن في السعودية ثم جحد أحد الشريكين صاحبه وكان الصاحب يمني ليس بيده ورقة ولا شيء وكل شيء باسم الآخر فقال له: ليس لك في البقالة شيء فتوسط عند أصدقاء صاحبه فتشفعوا له وقالوا: مكث معك فترة وكذا فوافق على مضض أن يعطيه مائة ألف ريال سعودي فقال بعد أن أخذ المائة قال: أريد منه اليمين أنه ليس لي شيء معه ولست شريكًا له

---

(١) البخاري (٥٧٩١).

(٢) صحيح: الطبراني في الأوسط (١٠٩٢) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٢٣١) والبيهقي في الشعب (٧٩٧١) انظر حديث رقم: ٥٣٩١ في صحيح الجامع



فقال: احلف فحلف الرجل الآخر حلف له يمينًا مغلظة **فماذا كان؟** أخذ الرجل المائة الألف وانطلق بها وأما الذي حلف على أن البقالة ملكه أصيبت في اليوم الثاني بشرت كهربائي فصارت كالليل الأسود البهيم انتقام الله من الظالمين ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢] انتقام الله ﷻ ممن ظلم عباده فعلى هذا - بارك الله فيكم - التفصيل يكون تصديق اليمين أو إلغاؤها فإن كان الشخص موضع ثقة إن كان الرجل موضع ثقة وجب عليك أن ترضى وإن لم يكن كذلك فأنت بالخيار فإن كان الأمر واضحًا كل الوضوح وجب عليك أن ترفض كأن يأتي رجل ويحلف أن الحقيبة التي أمامه مثلًا من الخشب وهي من الجلد فهنا لا تصدق لا يتنزل هذا الحديث «**ومن حلف له بالله فليرض**» شخص فاجر يكثر من الأيمان في السلعة مثلًا والرسول ﷺ يقول: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الفاجر أو الحلف الكاذب**»[(١)] يحلف أنها بمائة وهي في الخارج بثمانين مثلًا لا تصدقه ولا ترض بهذه اليمين والله ﷻ يقول:

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١٠- ١١] وعلى المرء المسلم أن يحفظ يمينه لأن الله يقول: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩] وحفظ اليمين إما أنك لا تحلف أو لا تكثر أو إن حلفت وجب عليك أن تكون صادقًا وإما إن حلفت وحنثت وجب عليك أن تكفر فإنه من حفظ الأيمان.



(١) مسلم (١٠٦).



عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بالله فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بالله فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّه» رواه ابن ماجة بسند حسن[(١)].



قال المؤلف: وعن ابن عمر،

وهو عبد الله بن عمر الصحابي الجليل.

أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم**»،

ولا هاهنا ناهية ولا الناهية هي التي تجزم الفعل المضارع والفعل المضارع هنا تحلفوا مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل آباؤكم، المراد بالآباء جمع أب ويشمل الأب والجد فما فوق وكان الناس على هذا في الجاهلية فجاء الإسلام فأبطلها قال عمر بن الخطاب: أدركني النبي ﷺ وأنا أحلف وأقول: وأبي فقال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[(٢)].

قال عمر: والله ما حلفت بذلك استجاب لأمر الله سبحانه وتعالى وما أكثر المسلمين اليوم الذين يقولون: ورأس ابني ورأس أبي هذه كلها عادات جاهلية قضى عليها الإسلام قال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم من حلف له بالله فليصدق أو ليكن صادقًا في يمينه**»

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٢١٠١) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٥١٢) انظر حديث رقم: ٧٢٤٧ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٥٧٥٧) ومسلم (١٦٤٦).



والصدق مطابقة الخبر للواقع كما أن الكذب عكسه والله ﷻ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] ويقول سبحانه: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١].

والوقت والعمر قصير جدًا والواجب على المرء المسلم أن يبني حياته على الإخلاص وعلى الصدق وأن يكون صادقًا مع الله ومع سنة رسول الله ومع نفسه حتى لا يكذب على نفسه ومع أولاده ومع أهل بيته ومع إخوانه وفي الحديث: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا**»(١) وعلى المرء أن يتساءل مع نفسه **من هو عند الله؟ أهو من الصادقين أو من الكاذبين؟** تستطيع أنت من قبل نفسك أن تجيب على هذا السؤال جوابًا صحيحًا تعطى عليه الدرجة النهائية لأنك أنت أدرى لك أن تسأل فتجيب بأنك مكتوب عند الله صادقًا أو بأنك مكتوب عند الله كاذب **كيف ذلك؟** أنت أدرى إن كنت صادقًا في التزامك حضرًا وسفرًا خلوة وعلانية تصدق مع الناس في حديثك فاكتب صادقًا وإن كان ليس كذلك فاكتب كاذب أن يحرم الصدق ويدخل في حيل الكذب عياذًا بالله كما وضح ذلك العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله.

قال: ومن حلف له بالله فليرض على حسب التفصيل السابق فإما أن يرضى وإن حصل منه غلبة الظن ليس يقينًا يرضى ويفوض أمره إلى الله مثل ذلك الأعرابي الذي قال له النبي ﷺ: «**خذ هذا فتصدق به**» قال: والله يا رسول الله ما بين لابتيها أفقر رجل مني(٢)، وحديث الرجل والمرأة الذين تلاعنا فقال النبي ﷺ قال: «**الله يعلم أن**

---

(١) البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) مسلم (١١١١).

أحدكما لكاذب **فهل منكم من تائب؟**»[١] قبل النبي ﷺ ووكل سرائرهم إلى الله ﷻ فلك أن ترضى وتأخذ العوض من الله ﷻ ولك أن ترفض كما رفض عبد الرحمن بن سهل أخو المقتول وحويصة ومحيصة أبناء مسعود رفضوا أيمان اليهود قالوا: قوم كفار **كيف نقبل أيمانهم؟** فلك أن لا ترضى قال:

«**ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله**» المقام مقام تهديد ووعيد ليس من الله ﷻ.

وهنا كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال:

أما إذا لم يكن بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه فلا ريب أنه يجب عليه الرضى وأما إذا كان مما يجري بين الناس مما قد يقع في الإعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا متبرءًا من تهمة ومن حقه عليه وأن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه كما في الأثر عن عمر «**ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم خرجت من مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا**» هو لم يشرح هذه العبارة «**فليس من الله في شيء**» ولكن معنى ذلك أن الله ﷻ تبرأ من هذا ويكون هذا من كبائر الذنوب والآثام أن رجلًا قدوة صادقًا ما علمت عنه كذبة فحلف لك على أمر من الأمور والله والذي نفسي بيده أو قال: أقسم بالله على أمر من الأمور فهنا إذا لم ترض والرجل كما سمع موضع ثقة فلست من الله في شيء أي أن الله ﷻ يتبرأ ممن كان هذا حاله يتبرأ الله ﷻ منه ويكون آثم لأنه رفض يمين يغلب عليها الصدق.



(١) البخاري (٤٤٧٠) ومسلم (١٤٩٣).



فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.



قال الشيخ: فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء وهذا النهي للتحريم كما تقدم.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى وهذا على حسب التفصيل.

الثالثة: وعيد من لم يرض وكان الحالف له صادقًا يكون هذا قد أوقع نفسه في باب من أبواب الشر ولا ينبغي للشخص أن يحلف على يمين وهو يرى أنه كاذب ثم بعد ذلك يعني كما يقال: لص محترف يأتي بهذا الحديث ويقول:

يا أخي اتق الله النبي ﷺ يقول: «**من حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله في شيء**» وهو يعلم من قرارة نفسه أنه كذاب أشر هذا يجني على نفسه إي والله أنه يجني على نفسه

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلن يهنها وأوهى قرنه الوعل

فالصدق الصدق والإخلاص الإخلاص والمراقبة لله ﷻ أمور الدنيا هذه سهلة الدنيا هذه أمرها سهل لكن هناك بين يدي الله ﷻ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة:١٨] نسأل الله السلامة والعافية.

باب قول ما شاء الله وشئت

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول ما شاء الله وشئت

بمعنى **ما حكم قول هذه اللفظة؟**

مناسبة هذا الباب أن قول الرجل أو المرأة ما شاء الله وشئت هكذا بالواو التي تقتضي المساواة والمماثلة يعتبر من الشرك الأصغر إذا لم يعتقد المساواة والمشاركة وإذا اعتقد المساواة والمشاركة بهذه الواو فإنه يكون قد أتى بابًا من أبواب الشرك الأكبر فهي على حسب نية صاحبها فإن كان ينوي بذلك المساواة والمشاركة من كل وجه بين الخالق والمخلوق ما شاء الله وفلان زيد عمرو من الناس هذا قد أشرك بالله شركًا أكبر مخرجًا من الملة وإن قال: ما شاء الله وشئت وهو لا يريد بذلك المشاركة والمساواة فلا يصل إلى هذا الحد لكنه على خطر إذ أن الشرك الأصغر وسيلة إلى الشرك الأكبر.



عن قتيلة: أن يهوديًا أتى إلى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا:



«وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ» رواه النسائي وصححه[١].



قال: عن قتيلة،

وهي صحابية صغيرة اسمها قتيلة بنت صيفي الأنصارية وهي من المهاجرات من مكة إلى المدينة.

أن يهوديًا،

واليهود هم المنتسبون إلى شريعة موسى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو مأخوذ من قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦][٢] أي رجعنا أو لأن جدهم الأعلى اسمه هوذا بن يعقوب ثلاثة احتمالات لتسمية اليهود بهذا الإسم.

أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت،

وهذا فيه دليل على أن اليهود يعلمون شيئًا من الحق بل على مستوى الشرك الأصغر يدركونه فهذا اليهودي يقول: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون: والكعبة فأمر النبي ﷺ أصحابه إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت، رواه النسائي وصححه وهو كذلك حديث صحيح ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٦) نستفيد قضايا كثيرة منها:

أن اليهود يفقهون أشياء من الحق ومنها استجابة النبي ﷺ للناصح وإن كان

---

(١) النسائي (٣٧٧٣) والحاكم (٧٨١٥) والطبراني في الكبير (٧) .

(٢) البخاري (٤٤٧٠) ومسلم (١٤٩٣).

على غير الملة الإسلامية ما دام أنه قد قال كلمة حق وهذه القاعدة يذكرها العلماء وهو أن ينظر إلى القول لا إلى القائل فبغض النظر عن القائل أهم شيء القول أهو صحيح إن كان القول صحيحًا فيجب الأخذ به بغض النظر عن القائل أو عن الناصح فقد يكون عالمًا أو جاهلًا مستقيمًا غير مستقيم لكن يقبل قوله على أية حال ودللوا لهذه القاعدة يقول الله ﷻ حينما قالت ملكة سبأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤] صدق هذه المرأة على مقولتها هذه لأنها كلمة حق على أنها كانت كافرة ما كانت قد أسلمت لكنها بعد ذلك أسلمت لله رب العالمين مع سليمان عليه الصلاة والسلام.

ثالثًا: أن النبي ﷺ عدل هذا اللفظ بأخصر ما يكون فلم يقل إذا حلفتم إذا أردتم أن تحلفوا فقولوا كذا وإنما أمرهم أن يحلفوا ورب الكعبة.

وفيه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: أن الله تعالى إذا حرم شيئًا أحل ما يكافؤه من الحلال ومن الخير فبدلًا بالشرك يأتي بالتوحيد وبدلًا ما يزني يأتي بالنكاح الشرعي وبدلًا ما يشرب الحرام أو يأكل حرام أباح الله من الحلال الطيب ما يفوق ذلك الحرام.



وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت فقال: «أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»(١).

ولابن ماجة عن الطفيل أخي عائشة لأمها رضي الله عنهما قال: رأيت كأني أتيت على نفر

---

(١) سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥).



من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته قال: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قلت: نعم قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كِلَمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[(١)].



قال: وله أيضًا أي للنسائي عن ابن عباس ﷺ أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت فقال: «**أجعلتني لله ندًا؟ بل قل ما شاء الله وحده**» الحديث صحيح كما في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني وقد تقدم لنا مخرجًا مشروحًا.

قال: ولابن ماجة وهو محمد بن يزيد القزويني ويكنى بأبي عبد الله عن الطفيل أخي عائشة لأمها وهو الطفيل بن سخبرة الأزدي قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود - رأى رؤيا منامية والرؤيا حق والنبي ﷺ يقول:

«**ذهبت النبوة ولم يبق إلا المبشرات**»[(٢)] «**ورؤيا المؤمن جزءًا من ستة وأربعين**

---

(١) صحيح: أحمد (٢٠٧١٣) والطبراني في الكبير (٨٢١٤) وابن ماجة (٢١١٨) وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٣٨).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٣٨٩٦) وأحمد (٢٧١٨٥) وابن حبان (٦٠٤٧) انظر حديث رقم: ٣٤٣٩ في صحيح الجامع.



جزءًا من النبوة»(١) «**وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا**»(٢) يعني صدق الرؤيا معتمدة على صدق اللسان قال: والرؤيا ثلاث:

فرؤيا صالحة بشرى من الله رؤية خير ورؤيا تحزين من الشيطان كما قال سبحانه:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة:١٠] ورؤيا مما تحدث المرء نفسه وقت اليقظة الإنسان له طموح أمنيات وأعمال وتفكيرات يفكر بها أو يباشرها فربما نام وهو يفكر بها فتأتيه في المنام.

قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود وقد تقدم لنا تعريف اليهود أما أن يكون مأخوذ من قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦] أي رجعنا وأما أن تكون نسبتهم إلى هوذا بن يعقوب عليه السلام، والثالثة: أنهم المنتسبون إلى شريعة موسى عليه السلام قال: قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير بن الله - وعزير هذا قيل: نبي وقيل: رجل صالح وقيل: من علماء بني إسرائيل والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وهو عبد من عباد الله وليس لله ابن فالله تبارك وتعالى يقول:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص] وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ⑧⑧ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨- ٨٩] أي عظيمًا.

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٣٨٩٦) وأحمد (٢٧١٨٥) وابن حبان (٦٠٤٧) انظر حديث رقم: ٣٤٣٩ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٦٥٨٦) ومسلم (٢٢٦٣).



قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى والنصارى هم أتباع عيسى سموا بذلك إما لأنهم منتسبون إلى بلدة في فلسطين تسمى الناصرة وقيل: لأنه مشتق من قولهم:

﴿مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢/ والصف: ١٤] أو ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢/ والصف: ١٤]﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله - والمسيح عيسى بن مريم ليس بابن الله وإنما هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه - قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته قال:

«**هل أخبرت بها أحدًا؟**» قلت: نعم قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإن طفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا وأنهاكم عنها فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**» الحديث رواه ابن ماجة وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني برقم: (١٣٨) وهو تبعًا لما تقدم من أحاديث في هذا الباب.



فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: «أجعلتني لله ندًا»[١] فكيف بمن قال:

ما لي من ألوذ به سواك

والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: يمنعني كذا وكذا.

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.



قال المؤلف: فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر لكنهم يجحدون ذلك.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله: «أجعلتني لله ندًا؟»[٢] فكيف بمن قال:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حدوث الحادث العمم

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لماذا؟

لأنه قال: «يمنعني كذا وكذا» دل على أنه من الشرك الأصغر إذ لو كان من الشرك الأكبر لأخبر النبي ﷺ به مباشرة لأنه يخرج من الملة ولا يصح إسلام المرء إلا بترك الشرك جملة.

(١) سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥).

(٢) سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥).

الخامسة: أن الرؤية الصالحة من أقسام الوحي لحديث: «**الرؤية الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»(١) **وهل يبنى عليها حكمًا شرعيًا؟**

الجواب: بعد موت النبي ﷺ لا لا يبنى على الرؤية الصالحة حكمًا شرعيًا لو قال مثلًا واحد: أنا رأيت في المنام أن الرسول ﷺ قال لي: صل بعد الظهر ست ركعات تقول له:

هذا ليس بصحيح لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣] وما كان النبي ﷺ بعد مماته سيخالف ما قرره في حياته فلا يبنى على الرؤية حكمًا شرعيًا أبدًا.

ولو رأى إنسان مثلًا في المنام أنه تزوج بنت فلان فمن الصباح يبكر يشارع في المحاكم **ما لك؟** قال: رأى في المنام أنه تزوج من فلان وما رضي يرد له أهله هذا هذا مجنون أو أن أموال فلان قد جاءت إليه أشياء كثيرة جدًا فبعد موت النبي ﷺ ليس للرؤيا أي اعتبار من حيث تقرير الأحكام الشرعية زيادة أو نقصانًا أو نسخًا إثباتًا أو تركًا هذا أمر غير جائز ولكن النبي ﷺ يقول: «**ذهبت النبوة ولم يبق إلا المبشرات**»(٢) فهي بشرى وهذا أحد تفسير قول الله جل وعلا:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] فالبشرى قيل: الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له والله المستعان وبهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

باب من سب الدهر فقد آذى الله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب من سب الدهر فقد آذى الله

من ها هنا موصولية وأما أن تكون شرطية اسم شرط جازم ففعلها الأول سب والثاني الفاء واقعة في جواب الشرط والمراد بالسب الشتم واللعن والذم وهذه الأصبع تسمى السبابة لأنهم كانوا في الجاهلية أن سب أحدهم الآخر أشار بها هكذا فلما جاء الإسلام وبعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين انتقلت من ذلك الوضع السيء إلى مقام الخير والذكرى والموعظة

فقـم خاطـب الـدنيا بنبرتـك التـي ... مـلأت قلـوب الأهـل بالأشـواق
فمنـابر الخيـر مـن خطابهـا ... ومنـابر العليـاء للخطـاب

والمراد بالدهر الزمان والوقت ومعنى آذى الله بمعنى أنه تنقص إليه بذلك تنقص الله وتجرأ على ذاته وإلا فهذا السب لا يؤثر على الله فليس كل من سب من شتم من لعن من ذم أنه بذلك يوصل أذاه إلى من أراد تنقصه فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يتضرر بذلك فهو آذى ولكن من غير ضرر يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني**»[(١)] ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ

(١) مسلم (٢٥٧٧).



ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب:٥٧] فهما سب السابون وعير المعيرون وتنقص المتنقصون فلا يستطيعون بذلك إلحاق الضرر به ﷻ لأنه ﷻ القوي القهار الكبير المتعال ذو الجلال والإكرام وإنما يضر العبد بذلك نفسه

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.



وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].



قال: وقول الله يعني أراد في هذه الآية شرحًا للترجمة ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤] هذا إخبار من الله ﷻ عن طائفة ضالة منحلة منحرفة تسمى بالدهرية أو الدُّهرية ويسمون بالشيوعية أولئك القوم الذين يجحدون أن يكون لهذا الكون صانع وموجد وهو الله ﷻ فيقولون: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وهؤلاء حقيقة خالفوا المنقول عن الله وعن رسوله ﷺ فالله ﷻ يقول: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١] ويقول ﷻ في كتابه الكريم:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ١ – ٢] ويقول سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] ويقول ﷻ في كتابه الكريم حاكيًا عن البعث: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧] ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨] فالله ﷻ هو الذي خلق ورزق وهو الذي أحيا وهو الذي



يميت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى:١- ٥] في كثير من الآيات تثبت هذا هؤلاء ينسبون هذا الأمر أعني بذلك الخلق أو الموت إلى الدهر ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] خالفوا بذلك المنقول وخالفوا بذلك المعقول أيضًا فنحن نرى أن من الناس من يموت صغيرًا ومنهم من يموت في وسط عمره ومنهم من ينكس إلى آخر العمر ورب ثري مات في ريعان شبابه ورب مريض عاش حينًا من الدهر

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حينًا من الدهر

وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم في ليلة القدر

فنشاهد أن هذا أمر ليس باستطاعة الزمان وليس باستطاعة الليالي والأيام أن تتصرف فيها إذ لو كان كذلك لاستطاع الرئيس أو الثري أو من له وجاهة أن يدفع عن نفسه شيئًا لكنه أمر الله ﷻ هو الذي يقول للشيء كن فيكون فهؤلاء قوم كفار ينسبون ذلك إلى الدهر ويريدون بذلك الدهر يعني أن المتصرف في هذا الكون هو الدهر قال ﷻ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٤] كاذبون ليسوا على علم قال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤] إن هنا بمعنى ما ما هم إلا يظنون والظن هنا بمعنى الوهم يتوهمون وقد يأتي الظن بمعنى اليقين كما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].



وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١).

---

(١) البخاري (٤٥٤٩) ومسلم (٢٢٤٦).



وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»(١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر».

الرابعة: أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصده بقلبه.



قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الصحيح،

والمراد بالصحيح صحيح البخاري ومسلم.

عن أبي هريرة،

أبو هريرة اختلف في اسمه على ثلاثين قولًا أشهرها عبد الرحمن بن صخر وهو يمني دوسي حافظ أصحاب النبي ﷺ كان يحفظ من الأحاديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا هذا الصحابي الجليل يروي عن النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «**قال الله تعالى**» ومعنى تعالى: أي تعاظم وهذا الحديث يسمى بالحديث القدسي أو الإلهي والرباني لأنه مضاف إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم**» والمراد بابن آدم رجالهم وإناثهم ولكن الحديث خرج مخرج

(١) مسلم (٢٢٤٦).

الغالب وينتسبون إلى آدم بدلالة حديث: «**الناس ولد آدم وآدم من تراب**»[(١)] فينسب الإنسان البشري إلى الأصل وأصلنا هو أبونا آدم عليه السلام.

قال: «**يؤذيني ابن آدم**»،

فيه إثبات الأذية ولكن من غير ضرر أذية من غير ضرر أرأيت من يتلفظ بألفاظ وسخة قذرة مقذعة أنت تنطوي من هذه الألفاظ على أنك لا تتضرر بها هو يطلقها على آخرين وهكذا حال المحدث بجانبك أنت تتأذى من غير أن تتضرر وهكذا الملائكة كما في الحديث: «**فإنهم يتأذون مما يتأذى منه ابن أدم من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا فلا يقربن مساجدنا فإن الملائكة تتأذى**»[(٢)] وهذا أذى من غير ضرر.

قال: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**»،

دل ذلك على أن المقلب غير المقلب فالمقلب بفتح اللام هو الدهر والمقلب بكسر اللام هو الله والقول الصحيح أن الدهر ليس من أسماء الله الحسنى خلافًا للظاهرية ومن شابههم فإن الدهر اسم جامد وأسماء الله كلها مشتقة ولذلك كانت بالغة في الحسن غايته ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] فالقول الصحيح على أن الدهر ليس من أسماء الله سبحانه وتعالى وأن في الحديث بيان لذلك وفي حديث آخر أيضًا «**بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**» وهذه كانت عادة في الجاهلية إذا نزلت بهم نازلة ألصقوها بالدهر وجعلوا الدهر هو المؤاخذ على خلاف معتقداتهم وعلى هذا قال العلماء في من سب الدهر يعني: **ما حكم من سب الدهر؟**

---

(١) حسن: الترمذي (٣٩٥٦) وأحمد (٨٧٢١) والبيهقي في الشعب (٥١٢٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٠٩).

(٢) مسلم (٥٦٤).

والجواب على ذلك، قبل أن نجيب على هذا السؤال إن كان هناك إخبار عن الدهر عن يوم عن ليلة من باب الإخبار أنها ليلة سوء أو يوم سوء أو هذا يوم بارد أو تعبنا من حر هذا اليوم أو حر هذه الليلة من باب الإخبار هذا أمر جائز لا شيء فيه كما أخبر الله عن سيدنا لوط ﷺ حينما قال: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود:٧٧] أي يوم شديد فمن أخبر عن شيء من ذلك عندنا شدة عندنا يعني هذه الليلة أصبنا بسوء فلا بأس بذلك أما من سب الدهر معتقدًا أنه هو المؤثر بنفسه وهو الخالق الرازق المقدر المدبر فهذا شرك أكبر مخرج من الملة إن كان يعتقد أن الدهر هو الذي يأتي بالمصائب والنكبات والأفراح والأحزان أما من سبه قاصدًا بذلك الحوادث لا يقصد بذلك الحوادث ربما يلعن هذه السنة أو هذا الشهر أو يوم الأربعاء أو صفر فهذا آثم يكون آثمًا ولا ينبغي له أن يسب الليالي والأيام لأنها من فعل الله

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

ونهجوا ذا الزمان بغير حق ... ولو نطق الزمان لنا هجانا

وكان بعض الأعراب إذا نزلت به المصيبة يقول بعضهم: يا دهر،

يا دهر ويحك ما أبقيت من ولدي ... وأنت والد سوء تأكل الولد

وقال آخر:

قبحًا لوجهك يا زمان كأنه ... وجه له من كل قبح برقع

يشعرون على الدهر ويضيفون إليه المصائب والنكبات والله تعالى يقول: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١] فبين أن المراد بالدهر الليالي والأيام إذن يكون على حسب هذا التفصيل أو التفاصيل الثلاثة:

من أخبر عن سوء حاصل له في يوم ما أمر جائز، من سب الدهر معتقدًا أنه

المؤثر بذاته وأنه هو المقدم والمؤخر وجعله في مقام الربوبية والألوهية أشرك شركًا أكبر ومن سبه قاصدًا بذلك الحوادث الحاصلة في الدهر فيكون بذلك آثمًا شابهًا أيضًا للأعراب الذين كانوا قبل الإسلام في الجاهلية الجهلاء وفي الوثنية العمياء يرجعون إلى الدهر فيسبونه وهكذا في عصرنا هذا هناك من يسب الدهر واحد يقول: يا ذا الزمان الردي، جعل هذا الزمان رديئًا الله المستعان زمان رديء أعوذ بالله يقول:

يــــا ذا الزمـــــان الــــــردي أكثـــــــــر ودادك مــــــــــر

أضاف ذلك إلى الزمان وأنه هو المتصرف أو أنه سب بذلك الليالي والأيام فالله أعلم ولو تتبعنا لوجدنا كثيرًا من هذا ولكن حسبنا فيما ذكرناه والله أعلى وأعلم وهو أعز وأكرم وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

أما كلمة باب فمعنى ذلك أنه اسم لما يدخل منه ويخرج إلى الشيء واصطلاحًا أي: باصطلاح المؤلفين: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب والتسمي مأخوذة من الإسم والاسم مشتق من أمرين وكلاهما صحيح إما من السمة بمعنى العلامة وإما من السمو بمعنى العلو.

قوله: بقاضي القضاة،

القاضي بمعنى الحاكم قضى بكذا أي حكم بكذا والقضاة جمع قاض فتقول قاض والقاضي اسم منقوص لأن آخره ياء لازمه القاضي تظهر الفتحة لخفتها وأما الكسرة والضمة فتقدر لثقلها جاء القاضي ومررت بالقاضي ورأيت القاضيَ ويجوز أن تقول: ورأيت قاضيًا تخفيفًا.

قوله: ونحوه،

أي نحو هذه التسمية قاضي القضاة ملك الأملاك رئيس الرؤساء أمير الأمراء سلطان السلاطين يريد المؤلف أن يقول: **ما حكم من تسمى بهذه الأسماء؟ يعني: ما حكم من تسمى بهذا؟**



أما من حيث الحكم الشرعي فاختلفت كلمة أهل العلم في ذلك **فمنهم من ذهب** إلى المنع والتحريم مطلقًا عملًا بحديث الباب الذي سوف يأتي وهو حديث أبي هريرة في الصحيحين وقول النبي ﷺ: «**إن أخنع اسم عند الله ﷻ رجل تسمى ملك الأملاك ولا مالك إلا الله**» ومن باب سد الذرائع ومن باب سد الشبهات هذا القول الأول المنع مطلقًا وهو القول الصحيح الذي ارتضيته أنا.

القول الثاني: أنه يجوز التسمي بقاضي القضاة أو بملك الأملاك إن كان ذلك حقيقة ولكن ليس من باب الإطلاق وإنما يقيد كأن يقول قاضي قضاة القطر المصري، اليمني، العراقي، الشامي، النجدي وهكذا تقييدًا هذا القول الثاني.

القول الثالث: إن الأمر راجع إلى القصد والنية فإن نوى الملك العام المطلق فحرام وإن نوى الملك الجزئي فجائز لكن القول الصحيح هو ما سمعتموه وهو القول الأول **لماذا؟**

لأن في هذا تزكية للنفوس ملك الملوك قاضي القضاة رئيس الرؤساء سيد السادات سلطان السلاطين هذا يحمل صاحبه على الكبر والإعجاب والغرور وكل شيء يدعو إلى التعاظم والتفخيم والكبرياء لا يجوز قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[(١)] ويقول النبي ﷺ: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه**»[(٢)] تواضع

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) مسلم (٢٥٨٨).



تواضـع وكـن كـالنجم لاح لنـاظر ... علـى صـفحات المـاء وهـو رفيـع
ولا تـك كالـدخان يعلـو بنفسـه ... إلـى طبقـات الجـو وهـو وضـيع

فمثل هذا يدعو إلى الكبر أن يتسمى سلطان السلاطين ومن هذا القبيل فالله ﷻ هذه الصفة إنما تكون له قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦] والمراد بالقضاء ها هنا القضاء الشرعي إذ أن القضاء الكوني من اختصاص الله ﷻ والقضاء ينقسم إلى قسمين:

قضاء كوني: وهو المراد بقول الله سبحانه: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾ [الإسراء:٤] وهو ما كان في اللوح المحفوظ وإذا اجتمعت كلمة القضاء والقدر دلت كل واحدة لنفسها فالقدر علم الله السابق والقضاء تنفيذ ذلك القدر وإذا افترقتا شملت كل واحدة منهما الأخرى إذا قلت: هذا قضاء فهو قدر وإذا قلت: هذا قدر فهو قضاء وهكذا يجب على العبد أن يسلم في باب القضاء والقدر لأي شيء نزل به كما قيل:

وكـــل شـــيء بالقضـــاء والقـــدر ... وكـــل مقـــدور فمـــا منـــه حـــذر
فكـــن لـــه مســـلمًا كـــي تســـلما ... واتبـــع ســـبيل الناســـكين العلمـــا

وأما دليل القضاء الشرعي قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآيات والأحاديث الأوامر والنواهي أقضية شرعية فالمراد بهذا القضاء الشرعي لا القضاء الكوني والفرق بينهما:

أن القضاء الكوني واجب الوقوع بخلاف القضاء الشرعي فقد يمتثله الناس وقد لا يمتثلونه.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ» قال سفيان: مثل شاهان شاه(١).

وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ وَأَخْبَثُهُ»(٢)، قوله: «أخنع» يعني: أوضع.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.



قال المؤلف: وفي الصحيح،

وهو صحيح البخاري ومسلم وقد تقدم لكم اصطلاح المؤلف بهذه العبارة.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن أخنع**» ومعنى أخنع أي أوضع «**اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله**» قال سفيان: مثل شاه شاه هذه عند العجم بمعنى ملك الأملاك وهي فارسية مثل آية الله الخميني وهكذا ألفاظ مثلها مثل حجة الإسلام آية الله العظمى لكن **هل يجوز التسمي بشيخ الإسلام؟** أن يقال: شيخ الإسلام ابن تيمية شيخ الإسلام ابن القيم شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز إن كان للرجل أثر وفائدة ودعوة وأقوال ومنافحات ومنازلات وآراء شرعية مدلل عليها من

(١) مسلم (٢١٤٣).

(٢) مسلم (٢١٤٣).



الكتاب والسنة وله قدم صدق في الإسلام فلا بأس أن يسمى بشيخ الإسلام لكن ليست المشيخة المطلقة وإنما شيخ الإسلام عنده من علوم الإسلام لا أنه حاز علمًا بالإسلام كله وإلا فأبو بكر الصديق فهو أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ ومع ذلك ما قيل عنه شيخ الإسلام على أنه هو أرفع من هذا اللفظ هو الصديق

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩] منزلة رفيعة لكن لا بأس أن يكون جزئيًا يعني شيخ الإسلام عنده أكثر معاني الإسلام أو علوم الإسلام فلا بأس أن يطلق هذا اللفظ عليه أما كلمة إمام فهي أدنى من لفظة شيخ الإسلام ولكن هذه الكلمة أيضًا لا يجوز إطلاقها على أي شخص لا تطلق إلا على من كان له أقوال ورجال يأخذون بأقواله كالإمام أحمد والإمام الشافعي وسفيان الثوري والأوزاعي وابن عثيمين والألباني وابن باز والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وهؤلاء أئمة البخاري ومسلم لهم أقوال ولهم أتباع يأخذون بهذه الأقوال فحتى يبقى هذا اللفظ معظمًا ومحترمًا لا ينبغي أن يطلق على أي رجل كان وإن كان قليل البضاعة في العلم الآن تحصل بعض الناس ربما رجل يقيم الموالد وكذا وكذا يقولون عنه الإمام وهكذا الشيعة يتوسعون في هذا الباب أيما توسع ولكن الأئمة في القرآن على قسمين قال الله ﷻ:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] هؤلاء أئمة الجنة وعندنا أئمة الضلال ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾ [القصص:٤١] عياذًا بالله. قال: وفي رواية: «**إن أخنع رجل عند الله يوم القيامة وأخبثه من تسمى ملك الأملاك**» قوله: أخنع يعني أوضع بهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الإسم لأجل ذلك

الإحترام بمعنى الإجلال والإعظام والإكرام والتقدير احترم فلان أي أجله وقدره وميزه وأسماء الله جمع اسم اسم اسمان أسماء وأسماء الله تعالى أعلام وأوصاف بخلاف أسمائنا فهي أسماء لذوات مجردة هذا خالد وليس بخالد وهذا صالح وقد لا يكون صالحًا وهذا صادق وقد لا يكون صادقًا وهذا ماجد وقد لا يكون ماجدًا وهذا محمد وقد لا يكون محمودًا وهذا علي وهو ليس بعلي وهكذا بخلاف أسماء الله فإنها تدل على المطابقة والتضمن والإلتزام لها ثلاث دلالات فأسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلام بالنسبة للذات وأوصاف من حيث دلالتها على المعنى فإذا قلت الرحمن فهذا اسم علم على الذات الإلهية وتشتق منه صفة الرحمة ومن التلازم أن يكون سميعًا بصيرًا قريبًا مجيبًا فإنه لا يمكن أن يكون ذا رحمة إلا أن يكون بهذه المواصفات وغيرها.

وليست أسماء الله محصورة بعدد معين كما في حديث ابن مسعود: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من**



خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»(١) والصحيح في أسماء الله أنها مشتقة ليست جامدة وكذلك أسماء الله هي مترادفة متباينة مترادفة من حيث دلالتها على الذات متباينة من حيث دلالتها على الصفات فإذا قلت: الله الرحمن الرحيم السميع البصير الخبير اللطيف الواحد الأحد هذه أسماء لمسمى واحد وهو الله ﷻ فحينما كانت دالة على الذات فهي مترادفة مثل ما تقول: هذا مسجد جامع مصلى، هذا رجل مهندس كهربائي حداد نجار سائق عدة أسماء فهي مترادفة من حيث دلالتها على الذات متباينة من حيث دلالتها على الصفات فالخلاق الصفة التي تشتق منه غير الصفة التي تشتق من السميع أو البصير أو اللطيف أو الرحيم وهلم جرا.

قال: احترام أسماء الله،

والله علم على الذات الإلهية معناه الإله المعبود الذي تألهه القلوب محبة وتعظيمًا الله ﷻ وهو أعرف المعارف يروى أنه رؤي سيبويه في المنام فقيل له: **كيف حالك؟** قال: غفر الله لي وأدخلني الجنة فقيل: **بم؟** قال: لأني في باب المعارف قلت: الله أعرف المعارف.ويقول بعض العلماء: إن دفع طفل لامرأة صماء بكماء فرضعته وربته لبدأ أول ما ينطق به الله وهو من أعظم أسماء الله والقول الصحيح أنه مشتق ليس بجامد كما رجح ذلك سيبويه وغيره من أله يأله ألوهية وتعالى بمعنى تعاظم ومعنى تغيير أي تبديل الاسم أي المضاف إلى المخلوق فالله أولى به منه إن كان لهذا الاسم الذي في المخلوق بعض الصفات التي لا تليق إلا أن تكون لله ﷻ كماسيأتي في حديث الترجمة.



(١) أحمد (٣٧١٢) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٩٩).

عن أبي شريح رضي الله عنه أنه كان يكنى: أبا الحكم فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قلت: شريح، قال: «فَأَنْتَ أَبو شريْحٍ» رواه أبو داود وغيره(١).



ذكر المؤلف عن أبي شريح وهو هانئ بن يزيد الكندي أبو صحابي جليل عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، يكنى والكنية ما صدرت بأب أو أم أبو بكر أبو حفص أبو عبد الله أم الخير أم حبيبة هذه الكنية ما صدرت بأب أو أم أبو فلان وأم فلان، كان يكنى بأبي الحكم هكذا كانت كنيته فقال له النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم**» من أسماء الله الصحيحة الحكم أي أنه يحكم بالعدل ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

«وإليه الحكم» فقال: «**إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الطرفين فقال: ما أحسن هذا**» وهذا توفيق من الله تبارك وتعالى وقد يكون هذا صلحا لكن على العبد أن يدعو الله تبارك وتعالى أن يجعله مفتاحا للخير مغلاقا للشر فقال: «**ما أحسن هذا**» هذا صحابي جليل، في هذا الزمان من بلغ هذه المرتبة كالشيخ ابن باز مثلا كان إذا اختلف الدعاة إلى الله في أي صقع من أصقاع الأرض فكتبوا لابن باز أوجاءت توجيهات ابن باز خلاص أخذ كلامه لأنه ممتاز وتصدير الشيخ

(١) إسناده جيد: أبو داود (٤٩٥٥) والنسائي (٥٣٨٧) وابن حبان (٥٠٤) والحاكم (٦٢) وانظر مشكاة المصابيح (٤٧٦٦).



عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فيرضى كلا الطرفين فقال: «**ما أحسن هذا فمالك من الولد؟ قال: شريح ومسلم وعبد الله قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح قال: فأنت أبو شريح**» الحديث رواه أبو داود وقد ذكره الشيخ الألباني في الإرواء برقم (٢٦١٥) وهو موجود في صحيح الجامع وذكره شيخنا مقبل أيضا في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين وهذا موطن الشاهد قال: «**فأنت أبو شريح**» كان يكنى بأبي الحكم فالنبي ﷺ غير كنيته من أبي الحكم إلى أبي شريح، وفيه - بارك الله فيكم - أن الكنية تكون بأكبر الأولاد ويستفاد منه أن أهل الوعظ والإرشاد من العلماء والدعاة وطلاب العلم إذا أغلقوا على الناس بابا من أبواب الحرام فتحوا لهم بابا من أبواب المباحات من أبواب الحلال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله إذا حرم شيئا أحل من الخير أو من الطيب ما يكافؤه.



فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.



قال الإمام: فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناها والأسماء التي لله أو لرسوله توقيفية فما سمى الله به نفسه أو سماه رسوله سميناه وما وصف الله به نفسه

أو وصفه به رسوله ﷺ وصفناه بذلك يعني وإن كان هذا كني بأبي الحكم وهو لا يريد بذلك أن حكمه كحكم الله أو ينافس بذلك حكم الله ﷻ وهذا من باب سد الذرائع.

الثانية: تغيير الاسم لذلك يعني لهذا الأمر.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية وقد تقدم هذا فلو أنه تكنى قبل ذلك بكنية ثم جاء اسم الولد على خلاف ذلك فلا يضر إن شاء الله ولكن ما دام أنه حكم شرعي فلا بد أن يقال وقد كان من العلماء في القديم من يتكنى بأكثر من ولد أبو فلان وأبو فلان فلا يضر هذا والله المستعان وهذا - بارك الله فيكم - إن دل على شيء إنما يدل على عظم التوحيد فلهذا أدخل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا الباب في كتابه كتاب التوحيد وذلك نظرا لأهميته، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى وأخذ بنواصي الجميع للبر والتقوى واعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ

المراد بالهزل اللعب وهو عكس الجد ومما يشهد لهذا المعنى قول نبينا ﷺ:

«**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة**»(١) فهذه لا هزل فيها من قال: زوجتك خلاص حصل التزويج وإن لعب الرجل فقال لامرأته: طلقتك فهو جد وقع وإن قال لغلامه: أعتقتك أو أنت حر خلاص وقع التحرير وإن قال: كنت ألعب لا عبرة بقوله الذي أراد أن يعتذر فالهزل هو بمعنى السخرية أو الإستهزاء وكله حرام وهو ناقض من نواقض الإسلام المشهورة المعروفة الإستهزاء أو السخرية بأمر الله أو بأمر رسوله أو بذات الله أو بذات رسول الله ﷺ أو بالقرآن أو بالسنة فإن من هزل بشيء هو على خطر عظيم وإن كان لاعبا فإنه يؤخذ بقوله هذا وتتنزل عليه الأحكام الشرعية في هذا الباب فهنا مسألتان هامتان:

(١) حسن: أبو داود (٢١٩٤) والترمذي (١١٨٤) وابن ماجة (٢٠٣٩) والحاكم (٢٨٠٠) انظر حديث رقم: ٣٠٢٧ في صحيح الجامع.

أما المسألة الأولى: فما حكم من هزأ أو سخر أو استهزأ أو سب الله الذات الإلهية ما حكم ذلك؟

اختلف أهل العلم في ذلك فيمن سب الله أو استهزأ به أو بشيء من أمره اختلفوا فيما يتعلق بقبول توبته إن أراد أن يتوب وإلا فهم مجمعون على كفره أجمع أهل العلم أن من استهزأ أو سخر أو سب الله فإنه يكفر بذلك عياذا بالله لكن حصل خلاف فيما يتعلق بقبول توبته

فكثير من أهل العلم يذهبون إلى أن من سب الله أو استهزأ بأمره أو بشيء من آياته أنه كافر ولا تقبل له توبة إن تاب بل يقتل مرتدا وهذا قول مشهور في مذهب الإمام أحمد ﵀ لا بد أن تفهم هذا القول وهو القول الأول في المسألة أن من سب الله أو استهزأ به أو بشيء من شرعه فإنه يكفر بل وقع الإجماع على كفره لكن حصل خلاف في قبول توبته فمذهب الحنابلة أن توبته غير مقبولة وأنه يقتل مرتدا وإذا قتل مرتد فيكون كافر والمرتد في الشريعة الإسلامية لا يرثه أهله لحديث أسامة بن زيد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**»(١) هذا من الخاسرين ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢١] هذا خسر ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] هذا قول مشهور في مذهب أحمد وعليه كثير من العلماء.

القول الثاني: أنه إن أراد أن يتوب توبة نصوحة قبلت توبته إن كانت توبته معتبر اعتبرها العلماء فهي توبة مقبولة لعموم الأدلة كقوله ﷻ حينما ذكر الذين قالوا إن الله

(١) البخاري (٦٣٨٣) ومسلم (١٦١٤).



ثالث ثلاثة قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤] وكقوله سبحانه:

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر:٥٣] وقوله ﷻ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] آيات كثيرة في هذا الباب هذا إذا كان الإستهزاء أو الشتم والسب عياذا بالله للذات الإلهية مع أنه على خطر كبير **كيف تسب الله وهو الذي خلقك؟** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الإنفطار: ٦ - ٧] ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٤ - ٣١] **كيف تسب المتفضل عليك بالنعم الذي أخرجك وأوجدك من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين؟**

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد
فوا عجبا كيف يعصى الإله؟ ... أم كيف يجحده الجاحد؟

إن هذا والعياذ بالله يعني هو الجحود في حد ذاته وهو الجهل في حد ذاته يوم أن تتنكر وتجحد من أمدك بالنعمة ومن أعطاك الخير كله ومن إذا أطعته أدخلك جنات تجري من تحتها الأنهار هذا فيمن هزأ بشيء من أمر الله.

هناك **مسألة ثانية** في هذا الباب وجعلت هاتين المسألتين مقدمتين على الدرس حتى نأخذ الدرس وكان له شيء من التمهيد والتوطئة والفهم **ما حكم من سب رسول الله؟**

الجواب من سب رسول الله فهو كمن سب الله يكفر بإجماع المسلمين وبظواهر نصوص الكتاب والسنة يقول ﷻ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا

تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦] لا نقاش ولا جدال في هذا الباب حصل الكفر لكن إن أراد أن يتوب هذا الساب لرسول الله ﷺ فكثير من أهل العلم يذهبون إلى أنه لا توبة له إن أراد أن يتوب لا توبة له إذ أنه قد جاء بمكفر وأيضا ترتب على سبه حد فلا بد من أن يقام عليه هذا الحد وهو حد القتل أما إن تاب فبينه وبين الله تبارك وتعالى قد يقول قائل:

كيف يكون هذا أعظم ممن سب الله؟

الجواب: أن حقوق الله مبنية على التسامح والعفو وإن الله قد أخبر أنه أسقط حقه بالتوبة

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] أما رسول الله ﷺ فلو كان حيا بين ظهرانينا فسمع هذا الساب فإن أراد أن يعفو عنه عفا لكنه ﷺ ميت كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] فمن سب الرسول كفر فإن أراد أن يتوب فالتوبة بينه وبين الله ويترتب عليه الحد في ذلك فقد كان رجل من المسلمين أعمى له امرأة تتودد إليه وله منها ولدان كاللؤلؤتين فنالت من عرض رسول الله ﷺ فنهاها فلم تنته فأخذ المعول فوضعه في بطنها حتى قتلها فلما أخبر النبي ﷺ قال: «**ألا اشهدوا أن دمها هدر**»[(١)] أهدر النبي ﷺ دم تلك المرأة التي سبت رسول الله ﷺ ونالت منه.

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٣٦١) والنسائي (٤٠٧٠) والحاكم (٨٠٤٤) والدارقطني (١٠٢) وانظر إرواء الغليل (٥/ ٩٢).

لكن التائب هو أحسن حالا ممن لم يتب فلو تاب بينه وبين الله يترتب عليه هذا الحد وهو القتل ثم بعد ذلك يغسل ويكفن ويقبر في مقابر المسلمين كما حقق ذلك شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه مسألة خطيرة هي والله من الأهمية بمكان، كم من المسلمين اليوم إذا قيل له: الرسول قال: دعنا أو ربما ينكت أو يستهزئ بشيء مما جاء به رسول الله ﷺ هذا يا إخوان كله بسبب الجهل المطبق الذي نزل بالمسلمين نسأل الله السلامة والعافية ولكن بعد هذا إن شاء الله يكون كل واحد على معرفة تامة بهذا الأمر فمن سمعه يسب الرسول ﷺ أو يستهزئ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ فعليه أن ينصح ولكن ليختار الوقت المناسب للنصيحة فإن الله تعالى يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى:٩] فإن هاهنا يذكر أهل العلم بأنها بمعنى حيث أي في المواضع التي تكون الذكرى فيها نافعة فخذ هذا الذي سب وانصحه وأقم عليه الحجة الشرعية في هذا الباب وعلى ولاة أمر المسلمين من رؤساء وملوك وحكام وقضاة وعلماء أن يقيموا الحدود على من تجرأ على سب الله أو سب رسول الله ﷺ لأنهم جهة ضبط وجهة تنفيذ وبأيديهم أزمة الحكم وإقامة الحدود فهذا الأمر راجع لهم ليس راجعا لنا نحن إنما نبين ونصدر الفتوى وهم الذين يطبقون هذه الفتاوى وإلا فهم مسؤولون عن حقوق الله وعن حق رسول الله ﷺ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] ويقول النبي ﷺ: **«إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة الذين يعدلون في أهليهم وما ولوا»**(١)

(١) مسلم (١٨٢٧).



ويقول النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)] فهم المسؤولون عن رعاياهم يوم القيامة والله الموفق.



وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:٦٥].



ثم قال المؤلف: وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ هذا الضمير سألتهم سألت أنت يا محمد سألتهم يعني أولئك القوم المذكورين وذلك أن هذه الآية لها سبب نزول سوف يأتي الآن يا محمد إن سألت المنافقين الذين تكلموا عن الله وعن رسول الله ﷺ استنقاصا واستهزاء ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب يعني نقضي أوقاتنا نلعب قال: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ تتمتها ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٦].



وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ

(١) البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩).



وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه(١).

فيه مسائل:

الأولى: وهي العظيمة، أن من هزل بهذا: فإنه كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل.



قال: وعن ابن عمر وهو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم هذان تابعيان وقتادة من التابعين دخل حديث بعضهم في بعض إذ أن المعنى واحد والألفاظ متقاربة أنه قال رجل في غزوة تبوك، والرجل هذا من المنافقين وتبوك غزوة كانت في العام التاسع من الهجرة في شهر رجب وكانت في أطراف الشام وكان الجيش الإسلامي قوامه قرابة ثلاثين ألف مسلما

(١) رواه ابن جرير عند تفسيره هذه الآية.

والنبي ﷺ لم يخبر بغزوة بيانا واضحا سواها لبعد المسافة حتى إنها سمي جيشها بجيش العسرة قال النبي ﷺ: «**من يجهز جيش العسرة وهو رفيقي في الجنة أو وله الجنة**»(١) فجهزه عثمان فأنفق رضي الله تعالى عنه وأرضاه أموالا جزلة من أجل غزوة تبوك فكانت في وقت الحر حينما طابت الثمار كانت ابتلاء واختبارا فالمنافقون اعتذروا كما قال سبحانه:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة:٤٩] وبعضهم يقول: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة:٨١] وبعضهم يقول: يخشى من بنات الأصفر كثير من الإعتذارات التي لا محل لها من الصحة ومن الواقع قال رجل في غزوة تبوك يعني من الذين خرجوا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، انظر عبارة عن كلام سهل في منظارنا لكنه عظيم عند الله، والمراد بقرائهم الرسول ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة - أرغب بطونا أي يأكلون كثير - وأكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء هذه الأوصاف حقيقة لو أردنا أن نطبقها لكانت وصفا لائقا بالمنافقين إذ أنهم كذلك أكذب ألسنة وأجبن عند اللقاء وأرغب بطونا ولكن هكذا كما قيل:

رمتني بدائها وانسلت

فتأمل في هؤلاء القوم ما الذي يتهمون به الرسول وأصحابه بالكذب وبالجبن وبأنهم غير زاهدين أعوذ بالله نسأل الله السلامة والعافية هذا هو النفاق وهذا هو الكذب وهذا هو الفجور في حد ذاته ثم لنكون على يقظة أنك أنت إذا قذفت وقدحت أخاك

(١) البخاري (٢٦٢٦).



المسلم بمثل هذا لا تسلم أيضا من الإثم حينما تتكلم بما ليس في أخيك ولكن اتهاما.

قال فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل - أل هذه تسمى الذكرية - إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب يعني نقطع الطريق فقط قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ والنسعة الحزام الذي يربط به الرجل متاعه فهذا المنافق متعلق بهذا الشيء بالحزام قال: وإن الحجارة تنكب رجليه دليل على أنه رجل قليل حياء أولا يكذب على رسول الله ﷺ ثم يتعلق بنسع الناقة يريد أن يخرج من سخطة رسول الله ﷺ وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له الرسول ﷺ:

«﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]» وقوله: أبالله الاستفهام للإنكار والتعجب من عظيم الجريمة التي جاءوا بها قال: ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

قوله: ما يلتفت إليه في هذا احتقارا له ولشأنه لا يستطيع رسول الله ﷺ أن ينظر إلى من كانت هذه سجيته وهذه أخباره كذب منافق مفتري على عباد الله ويا ليته قال: أنا تبت وأبت ورجعت، لا القرآن قد نزل يخبر عما في قلبه بل إن سورة التوبة تسمى بسورة الفاضحة وهي التي فضحت المنافقين وبينت أمرهم وهتكت أستارهم والله المستعان وهكذا كما قيل:

مهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فهؤلاء كانوا يظنون أن الأمر سهل وكذا ولكنهم فضحوا وعليه أيها الأخوة فينبغي أن نصلح أنفسنا وأحوالنا وأن نخشى على أنفسنا من النفاق قال ابن أبي مليكة رضي الله عنه:



أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه والحديث في البخاري وهكذا عمر الفاروق الذي يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«**دخلت الجنة وإذا بقصر وامرأة تتوضأ بجانبه فقلت: هذا لمن؟ قالوا: لرجل من قريش لعمر بن الخطاب**»(١) وفي حديث آخر يزكي النبي ﷺ عمر بأنه في الجنة ومع ذلك يسأل حذيفة بن اليمان: **هل سماني لك رسول الله ﷺ من المنافقين؟** - الله المستعان - فبكى حذيفة وقال: لا والله ما سماك ولن أزكي أحدا بعدك لن أخبر أحدا بعدك يبكي حذيفة إذا كان عمر يعني من المنافقين **فمن هم الصادقون؟** عمر بن الخطاب معدن الصدق والخير والتقى وهوالشهيد في سبيل الله ولكن هكذا كانوا يزدرون بأنفسهم

أهـين لهـم نفسـي لكـي يكرمونهـا ولـن تكـرم الـنفس التـي لا تهينهـا

والله أعلم وأعز وأكرم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) ابن حبان (٦٨٨٨) و البخاري (٦٦٢١) بدون ذكر الوضوء.



باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠]

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به.

وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨] قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب.

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل.

وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]

أما قوله: باب فكلمة باب تستخدم حسيا للشيء الذي يدخل منه ويخرج باب المسجد والمدرسة والبيت وما إلى ذلك ويستخدم أيضا بابا معنويا للجملة المختصة

من الكتاب يقال: باب الصدق باب التوبة باب قول الله تعالى كذا باب في البيوع في الصلاة في الطهارة وما شابهها وهو أقل شأنا من الكتاب وأرفع شأنا من الفصل ذكر المؤلف هذه الآية الكريمة والمناسبة من ذكره لهذه الآية وإدخالها في كتاب التوحيد قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ﴾ يعني الإنسان ﴿رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ المناسبة أن الإنسان إذا أضاف النعمة إلى عمله وكسبه ففي هذا نوع إشراك في توحيد الربوبية وذلك واضح بجلاء من قوله:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠] هذا أنا أستحقه بل أرفع من هذا وسيأتي تفسير مثالي من قبل كثير من العلماء بل الأئمة قال مجاهد بن جبر وهو أبو الحجاج المكي من تلامذة ابن عباس كان سفيان الثوري وابن عيينة يقول: إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به، قال: هذا بعملي وأنا محقوق به أنا لا أعطى هذا إلا لأني أستحقه وهذا كلام غير صحيح إن أنعم الله عليك بالنعمة فهي ابتلاء واستدراج وإن ابتليت بالفقر أيضا ابتلاء واستدراج قال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف:١٦٨] وقال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥] وقال سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦ – ١٧] فهذا كله ابتلاء وهكذا في قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي ضيق عليه رزقه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥–١٦] قال الله: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧] ليس هذا ميزان عندنا ليس هذا الميزان معمول به عند الله ليس كل من أعطيناه رضينا عنه وقربناه ولا كل من جعلناه فقيرا معنى ذلك أننا أهناه وأقصيناه ﴿كَلَّا﴾ وفي آية أخرى توضح هذه

الآية قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] وقال ابن عباس في قوله:

﴿هَٰذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠] يريد من عندي ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن وقوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨] قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب وهذا قاله قارون على علم واطلاع كما يقول كثير من الناس اليوم: فلان شاطر بشطارته وبقوته وبجدارته لا، كل شيء من الفضل والخير هو بتوفيق من الله ﷻ لعبده فعلى العبد أن يضيف النعمة إلى الله وأن يشكر الله ﷻ على هذه النعمة شكرا صحيحا لا أن يقول فقط: أحمد الله وأشكره وإنما يشكر الله شكر اعتراف أولا بالقلب ثانيا شكر ثناء باللسان ثالثا شكر عمل بالجوارح كما قال العربي:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجب

من حديث أنس في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد إذا أكل الأكلة أن يحمده عليها وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها**»(١) وكان الإمام أحمد إذا نزع دلوا من بئر له في بيته قال: الحمد لله ونزع الدلو الثاني قال: الحمد لله وهكذا فقال ابنه صالح: يا أبت ما أكثر ما تحمد الله قال: أرأيت قول الله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ [الملك:٣٠] من منا اليوم يحمد الله إن لبس عمامة جديدة قال: الحمد لله إن أكل أكلة وإن كانت يسيرة كسر الخبز اليابسة حمد الله بعضهم ربما تقالّ هذا قال: **ويش أكلنا أين الموائد واين الذبح والقدح والسفح هذه ويش هي؟** ابن الوردي أو أبو العتاهية القائل:

رغيف خبز يابس تأكله في زاوية ... وكوز ماء بارد تشربه من صافية

(١) مسلم (٢٧٣٤).

ومصـــحف تدرســـه معتمـــدا لســـارية ... خير من السكنى بظلات القصور العالية
مـــــن بعــــــد ذلـــــك كلـــــه ... تصـــــلى بنـــــار حاميـــــة

إيش الفائدة؟ ولو كان قليلا من طعام قليل من شراب تحمد الله والله ﷻ يطالبنا أن نطلب منه الأطعمة والأشربة وقد كان بعض السلف يقول: ينبغي للعبد أن يطلب البصلة والزيت من الله، من منا اليوم والله ﷻ يقول في الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم**»(١) نحن الآن معتمدون على ما في الشنطة على ما في الجيب على ما في البنك على ما في المحل ما في بصل هذه مائة قيمة بصل ما في طماط هذه مائة قيمة بصل ما في غدا روحوا أتوا بغداء لكن قبل ذلك هل سأل ذلك من الله والنبي ﷺ يقول: «**ليسأل أحدكم ربه شسع نعله**»(٢) يعني الشيء الحقير شراك النعل يسأله من الله ﷻ فما بالك بما هو أرفع منه.

«**يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته**»(٣) إذا كنت تريد ثوبا تريد عمامة تريد نعال أي شيء من الملبوسات لك ولأولادك تطلبها من الله ﷻ اعترافا منك بالنعمة لله وحده لا شريك له فهذه نعمة في حد ذاتها كونك توفق للسؤال من الله وتوفق بشكرها لله هذه نعمة في حد ذاتها قال الناظم:

إذا كـــان شـــكري نعمـــة الله نعمـــة ... علـــي لـــه في مثلهـــا يجـــب الشـــكر
وكيـــف بلـــوغ الأمـــر إلا بفضلـــه ... وإن طالـــت الأعـــوام واتصـــل العمـــر

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) حسن: ابن حبان (٨٦٦) والطبراني في الأوسط (٥٥٩٥) وأبو يعلى (٣٤٠٣) والبيهقي في الشعب (١١١٦) وانظر مشكاة المصابيح (٢٢٥١).

(٣) مسلم (٢٥٧٧).



إن أعطيت صوتا حسنا من الله هذه نعمة أعترف بذلك بأنه من الله فتواضع له إن أعطيت شخصية كأن تكون جميل اللحية صبيح الوجه شخصية أو عندك أسلوب تستطيع أن تسحر بها الناس «**إن من البيان لسحرا**»(١) تسحر به قلوب الناس سحر حلال فمن الله إن أعطيت ولدا صالحا احمد الله امرأة صالحة جميلة احمد الله وإياك أن تقول: أنا بحثت وأنا دورت لا تقل هذا، هذه أسباب **لكن من الذي أعطاك؟** الله ﷻ كن مع وإلى الله

إليـــك وإلا لا تشـــد الركائـــب	**ومنـــك وإلا فالمؤمـــل خائـــب**
وفيـــك وإلا فـــالغرام مضـــيع	**وعنـــك وإلا فالمحـــدث كـــاذب**

هاتان بيتان للألوسي العراقي قيل أنهما أحسن ثناء ومدح في حق الباري جل ذكره وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل وهذا كله تفسير مثالي كما تقدم قال: وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.



وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسرائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَوِ البَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشراءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فقَالَ: أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ

---

(١) البخاري (٤٨٥١).

حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ أَوِ الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا..

فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصري، فَأُبصر بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصره، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأَنْتَجَ هَذَان وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ..

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَد انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ ﷻ المَالَ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصيرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصيرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابْنُ سَبِيلٍ قَد انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصركَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصري، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوالله لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشيءٍ أَخَذْتَهُ لله، فَقَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضي



اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» أخرجاه[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى قوله: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠].

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨].

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.



وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل**» ثلاثة أنفار وليس ثلاثة أجناس وبني إسرائيل هم أولاد يعقوب بن إبراهيم عليهما السلام ومعنى إسرائيل عبد الله قال: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى**» وهذا البياض الذي يكون في الجسد فيشوه منظره وليس له دواء فلذلك كالمعجزة لسيدنا عيسى عليه السلام جعل الله له معجزة لكثرة انتشار الطب في ذلك الزمان فكان إذا مسح على جلد الأبرص يعود جسمه مثلما كان فالطب البشري عاجز أن يعالج هذا البهاق أو البرص الذي يغير منظر الإنسان ذكرا أو أنثى أبرص وأقرع والأقرع هو الذي لا شعر له على رأسه فيكون منظره أيضا تتقزز منه النفوس وتشمئز منه فيشوه المنظر وأعمى والمراد بالأعمى فاقد البصر أي أنه لا يبصر وهذه كلها نعم أنت لست أبرص ولا أقرع ولا أعمى فاحمد الله من الناس من هو أبرص وآخر أقرع وآخر أعمى قال:

---

(١) البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (٢٩٦٤).

«**فأراد الله أن يبتليهم**» وجاء في رواية: «**بدا لله أن يبتليهم**» وهذه عقيدة عند الرافضة تسمى بعقيدة البدا والبدا مستحيل في حق الله فإن الله يعلم ما كان وما سيكون فهذه الرواية نبه عليها الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كأنها رويت بالمعنى فإن البدا يستحال في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: فأراد الله الإرادة هاهنا المراد بذلك المشيئة ولله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إرادة وله مشيئة إرادة كونية وإرادة شرعية ومشيئة كونية ومشيئة شرعية فالمشيئة الكونية واجب الوقوع والتنفيذ وقد يحبه الله وقد لا يحبه هذه المشيئة الكونية وأما المشيئة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع لكن الله يحبها كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧] بمعنى أن الله أراد كفر فرعون كونا وقدرا ولكنه أباه شرعا ودينا وهكذا هامان وهكذا النمرود وهكذا قارون أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأنبياء إلى هؤلاء بالمشيئة الشرعية والإرادة الشرعية لما استقر في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن فرعون لن يستقيم ولن يؤمن وهكذا ما شاكله من أهل الكفر الضلال قال: فأراد الله بمعنى شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يختبر هؤلاء فبعث إليهم ملكا من السماء ابتلاء واختبارا مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢] ابتلاء واختبارا فأتى الأبرص أتى هذا الملك إلى الأبرص والملك بمعنى الرسول فإن الألوكة بمعنى الرسالة وعالم الملائكة هم مخلوقات نورانية خلقها الله من نور قابلة للتشكيل فقال: **أي شيء أحب إليك؟** الملك يقول لهذا الأبرص: **أي شيء أحب إليك؟** قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس به قال: فمسحه فذهب عنه قذره هذه أول نعمة فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا قال: **فأي المال أحب إليك؟** قال: الإبل أو البقر شك إسحاق فأعطي ناقة عشراء قيل: عشراء حامل مطلقا وقيل: بلغت ثمانية أشهر قال: بارك الله لك فيها دعا له بالبركة والبركة



مجمع الخير دعاء من ملك خلاص قصته توقفت هنا ثم سيعاد إليها قال: فأتى الأقرع هذا الذي ليس عنده شعر فقال: **أي شيء أحب إليك؟** ولعل هناك شيء لم يذكر كأن يقول له: طبت أو السلام عليكم قد يكون هذا قال: شعر حسن أيضا طلب شعرا جميلا ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا فقال: **أي المال أحب إليك؟** قال: البقر أو الإبل فأعطي بقرة حاملا قال: بارك الله لك فيها فأتى الأعمى فقال: **أي شيء أحب إليك؟** قال: أن يرد الله إلي بصري ما قال بصرا حسنا لم يشترط في هذا دليل على أنه كان زاهدا تقيا ورعا وعليه أيضا سكينة فإنه طلب الغنم فإن الغنم تكسب صاحبها من طباعها وهكذا الإبل لذا يقول النبي ﷺ: «**الكبر والخيلاء في أهل الإبل الفدادين والسكينة والوقار في أهل الغنم**»[1] وتأمل أنت إلى بعير مقبلا أو مدبرا تراه ينظر هكذا وأما الغنمة تنظر إليها وهي تنظر إلى أمامها يعني قد تواضعت لله ﷻ في مشيتها فالجمل يكسب صاحبه من طبعه وهكذا الغنم تكسب صاحبها من طباعها قال: يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال: **فأي المال أحب إليك؟** قال: الغنم فأعطي شاة والدا قيل: قريبة الولادة فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ما شاء الله نعمة قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته يعني جاء الأبرص بصورة أبرص **شوف كيف الإبتلاء والإختبار؟** ابتلاء واختبارا ابن العثيمين استفاد من هذا قال: فيه جواز التمثيل إن كان لمصلحة أن يلبس الرجل ثياب بأنه لا يعرف لمصلحة المهم أنه لمصلحة قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته

---

(١) صحيح: أحمد (١١٣٩٨) والطبراني في الأوسط (١٧٣٨) انظر حديث رقم: ٤٢٨١ في صحيح الجامع.

فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال المراد بالحبال الطريق في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك تأمل إلى التوحيد ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا بمعنى أعطني بعيرا أتبلغ به في سفري فقال: الحقوق كثيرة هذا الروفلي الأبرص هذا قال: الحقوق كثيرة هذا موطن الشاهد بمعنى أنه لم يضف ذلك لله ﷻ وإنما قال: الحقوق كثيرة وهذا المال يعني ذلك أنه ورثه فقال: كأني أعرفك **ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله ﷻ المال؟** فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت الله المستعان شوفوا يا إخوان الفاشل أعوذ بالله.

وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثلما رد عليه هذا فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت حصل عندهم فشل ديني وهو أعظم من الفشل الكلوي هذا من أعظم الفشل أن تكون فاشلا في الدين لا حول ولا قوة إلا بالله قال: وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل يعني الملك مثل أنه مسكين وجاء بصورة أعمى قال: وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت دليل أن عنده زهد في الدنيا فوالله لا أجهدك اليوم بمعنى لا أتعبك اليوم بشيء أخذته لله فقال: أمسك مالك انتبه قع رجال على حقك خذ المال هذا وانتبه له يعني خذ المال وهو لك قال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك إثبات صفة الرضا لله ﷻ رضا يليق بجلاله وسخط إثبات صفة السخط لله ﷻ صفة مقابلة سخط على صاحبيك» أخرجاه.

يعني في الصحيحين هذه قصة قصها لنا رسول الله ﷺ لنأخذ منها العبرة والعظة



فما الذي صار للأبرص والأقرع اللذين جحدا النعمة ولم يضيفاها إلى المنعم بها ﷻ وكيف كان الرضا والخير كله والسؤدد والشرف للأعمى يوم أن اعترف بالنعمة فقال: خذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم على شيء أخذته لله ﷻ يعني خلاص أمسك عليك مالك وأنتم ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط عن صاحبيك وفي هذا درس للدعاة إلى الله والعلماء وطلاب العلم صغارا وكبارا ذكورا وإناثا أن يفتحوا باب القصة باب الموعظة باب الخوف والرجاء ضرب المثال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] إن كان في القصة ضرب مثل إن كان في هذا المثل عبرة وعظة فاذكره للناس فربما صلحت قلوبهم فقد كان ذكر القصص القرآني قصص الأنبياء تثبيتا لقلب النبي ﷺ وهو من هو هو رسول الله ﷺ الوحي يتنزل عليه صباحا ومساء قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] تثبيت قلب النبي ﷺ بذكر القصص وأساليبها مثل قصة الهدهد ملكة سبأ قصة سليمان مع النملة سليمان مع الجن قصة داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث قصة موسى وفرعون قصة النمرود وإبراهيم قصة الطيور التي قطعها إبراهيم قصة قتيل بني إسرائيل الذي ضربوه ببعض البقرة ثم قام فقال: قتلني فلان بن فلان كل هذا من أجل تثبيت قلب الرسول ﷺ ونحن والله بحاجة ماسة إلى أن تثبت قلوبنا بذكر الأمثلة والقصص التي تدخل على قلوبنا السرور والتثبيت أيضا وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف:١٩٠]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **[الأعراف:١٩٠]**

هذه الآية رقم (١٩٠) من سورة الأعراف وقبلها يقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٨٩- ١٩٠] والمقصود من هذا الباب أن تعبيد الأسماء لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرك ينافي كمال التوحيد كما سوف يأتي بيانه فيمن تسمى بعبد الحسين أو عبد النبي أو عبد الكعبة وما شابه ذلك.





قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف:١٩٠] رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:١٨٩] قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا.

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.



قال ابن حزم وهو عالم الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري صاحب كتاب المحلى وله الملل والنحل وله مراتب الإجماع وأجمعها وأعظمها نفعا المحلى بالآثار وهذا الإمام كثير العلم رفيع القدر وقد آتاه الله ﷻ علما كثيرا إلا أنه أخذت عليه بعض الأخطاء الشنيعة كمخالفته لجمهور العلماء في باب الإجماع والقياس وأخذه بظاهر النصوص وعدم فقهها وتنزيلها حسب ما فهمه السلف عن النبي ﷺ كذلك كان سليط اللسان على المخالف وبالجملة هو عالم خدم الإسلام والمسلمين وكتبه تشهد له بذلك وله أتباع في مذهبه فرحمه الله رحمة واسعة وما من أحد إلا وله زلة فلو رد كل إمام بزلته فما بقي لنا أحد من العلماء

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

هذا الإمام العظيم يقول: اتفقوا أي أجمعوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما شابه ذلك قال: حاشا عبد المطلب يعني هذا استثناء يريد بذلك أنه لا بأس أن يتسمى به الشخص على أنه يدخل في جملة التعبيد لغير الله ثم ذكر أثرا عن ابن عباس في الآية قال: فلما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعنني أو لأجعل له قرني إبل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما سمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠] رواه ابن أبي حاتم.

هذا الأثر غير صحيح في سنده شريك بن عبد الله القاضي وهو ضعيف وفي



سنده خصيف وقد ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٣٤٢) وكذلك ضعفه الدوسري في النهج السديد فهو أثر لا يصح عن رسول الله ﷺ وإنما هو من الإسرائيليات والإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الآية من سورة الأعراف لما ذكر هذه الآية وهي قول ربنا سبحانه: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٨٩- ١٩٠] قال:

ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأنه خلق منه زوجه حواء ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣] وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء:١] الآية وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ﴾ [الأعراف:١٨٩] أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ [الروم:٢١] فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه فلما تغشاها أي وطئها حملت حملا خفيفا وذلك أول الحمل فلا تجد المرأة له ألما إنما هي نطفة ثم العلقة ثم المضغة قوله: فمرت به قال مجاهد: استمرت بحمله وروى عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي ونحوه قال ميمون بن مهران عن أبيه استخفته وقال أيوب: سألت الحسن عن قوله: فمرت به قال: لو كنت رجلا عربيا لعرفت ما هي إنما هي

فاستمرت فاستمرت به قال قتادة: فمرت به استبان حملها قال ابن جرير: معناه استمرت بالماء قامت به وقعدت وقال العوفي: عن ابن عباس: استمرت به فشكت أحملت أم لا فلما أثقلت أي صارت ذات ثقل بحملها قال السدي: كبر الولد في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا أي بشرا سويا كما قال الضحاك عن ابن عباس أشفقا أن يكون بهيمة وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك أشفقا أن لا يكون إنسانا قال الحسن البصري: لئن آتيتنا غلاما لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ذكر المفسرون هاهنا آثارا وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عمر بن إبراهيم قال حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ: «**لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**»(١) وهذا من الإسرائيليات وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد عن عبد الوارث به ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن مثنى عن عبد الصمد به وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد لم يرفعه ورواه الحاكم في المستدرك من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه الإمام محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعا قلت: وهذا شاذ

---

(١) ضعيف: الترمذي (٣٠٧٧) وأحمد (٢٠١٢٩) انظر حديث رقم: ٤٧٦٩ في ضعيف الجامع.



وشاذ هذا هو هلال وشاذ لقبه والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن بن سمرة مرفوعا والله أعلم.

الثاني: أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير حدثنا عبد بن عبد الأعلى قال حدثنا المعتمر عن أبيه قال حدثنا بكر بن عبد الله بن سليمان التميمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال: سمى آدم ابنه عبد الحارث.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه قال ابن جل حدثنا ابن وكيع قال حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن: جعلا له شركاء فيما آتاهما قال: كان هذا في بعض الملل ولم يكن في آدم قال: وحدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال الحسن عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني جعلا له شركاء فيما آتاهما قال: وحدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية وهذا رأي ابن كثير وهو الرأي الصحيح أن قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠] فقد كان العلماء لهم قولان في تفسير الآية فمنهم من جعل ذلك في آدم وذريته وأن الله ﷻ قد تاب على آدم وحوى بسبب ذلك

وكثير من العلماء وهو القول الصحيح يحملون الآية على أهل الملل من بعد آدم عليه السلام وهم من ذرية آدم فإن عنى بالخطاب الإثنين فإنما أراد به الجماعة وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربية كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق:٢٤] والمراد بذلك ألقوا وكان الحجاج بن يوسف إذا أراد أن يضرب عنق شخص يقول: يا حرسي اضربا عنقه كما ذكر ذلك ابن كثير عند تفسير هذه الآية من سورة ق وهي أولى المفصل.

قال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله لما عدل عنه هو ولا غيره لا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب ووهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم قال: فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حوى تلد لآدم أولادا فيعبدهم لله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميان به لعاش قال: فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ففيه أنزل الله يقول: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠] إلى آخر الآية وقال العوفي عن ابن عباس قوله: في آدم هو الذي خلقكم من نفس واحدة إلى قوله: فمرت به شكت أحملت أم لا فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فأتاهما الشيطان فقال: **هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان أيكون بهيمة**



أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأول فسميا ولدهما عبد الحارث فذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ...﴾ الآية [الأعراف:١٩٠].

قال عبد الله بن المبارك عن شريك وشريك ضعيف عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف:١٩٠] قال: قال تعالى: ﴿۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٩] فلما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس لعنه الله فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة وفي النفس من هذا شيء كيف يعترف إبليس وهو كاذب يقول: الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعنني أو لأجعلن قرني له إبل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما فسمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثانية فأتاهما أيضا فقال: أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لأفعلن يخوفهما فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف:١٩٠] رواه ابن أبي حاتم قال: قد تلقى هذا كلام ابن كثير هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم قال: حدثنا أبي قال حدثنا أبو الجماهر قال حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس

عن أبي بن كعب قال: حملت حواء فأتاهما الشيطان فقال: أطيعني ويسلم لك ولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاء إليها فقال: إن تطيعني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة قال: فهاباه فأطاعاه وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»(١) ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام:

١- فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- ومنها ما علمنا كذبه مما دل على خلافه الكتاب والسنة أيضا.

٣- ومنها ما هو مسكوت عنه ففيه المأذون في روايته بقوله: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»(٢) وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: «**لا تصدقوهم ولا تكذبوهم**» وهذا الأثر هل هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا والله أعلم.

وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته وهذا مذهب الحسن البصري وجماعة من السلف وأما المتأخرون فكلهم أخذوا بهذا الرأي الثاني وذلك أنهم يبرئون آدم عليه السلام وذريته أيضا وكذلك أيضا حواء من أن يكونا مشركين بالله سبحانه وتعالى وأما هذه الآثار فهي صحيحة عن من نسبت إليهم

(١) صحيح: أبو داود (٣٦٤٤) وأحمد (١٧٢٦٤) وابن حبان (٦٢٥٧) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٨٠٠).

(٢) البخاري (٣٢٧٤)



كقتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته وهذا تفسير عمومي للآية المباركة قال: وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ [الأعراف:١٨٩] قال: أشفقا أن لا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

على أية حال: القول الصحيح في الآية أن هذا حصل في بعض أهل الملل من ذرية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وليس ذلك من آدم مباشرة هذا الذي نعتقده وندين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به وهناك قصص كثيرة جدا في هذا الباب في حق كثير من الأنبياء إما في باب التوحيد أو في غيره طعنا في جنابهم وكان الأولى تبرئة الأنبياء من هذا الطعن فإنه حاشا أن يكون عندهم من الإشراك أو من سوء المعتقد أو من بعض السلوك السيئة التي نسبتها بعض الروايات الإسرائيلية نسأل الله أن يوفق وصلى الله على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب قول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ﴾ [الأعراف:١٨٠]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **[الأعراف:١٨٠]**

هذا الباب عقده المؤلف من أجل إثبات توحيد الأسماء والصفات لأن التوحيد على ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بما يختص به من الأفعال بأنه هو الخالق الرازق الموجد المعين لا شريك له في الخلق.

ثانيا: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بما يختص به من العبادة فلا يدعى غيره ولا يستغاث بغيره ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وتوحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله تعالى بما ثبت له من الأسماء الحسنى والصفات العليا وألا نصفه ولا نسميه إلا بما وصف به نفسه ووصفه أو



سماه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم هذا توحيد الأسماء والصفات وهو باب من أبواب العقيدة والتوحيد والفقه والسلوك أيضا فيمن فهمه وتأمله فإن الأسماء الحسنى تدل دلالة مطابقة وهو تفسير الإسم بجميع معناه ودلالة تضمن وهو تفسير الإسم ببعض معناه ودلالة التزام وهو أن يفسر الإسم بعامل خارجي وهنا قواعد قد أكثرنا من ذكرها في دروس تقدمت:

القاعدة الأولى: أسماء الله أعلام وأوصاف فهي تدل على الذات لكونها علم الله السميع البصير الغفور الرحيم وأوصاف أيضا لأنه ما من إسم إلا وله صفة فكل اسم تنشق منه صفة لله ﷻ بخلاف أسمائنا فإنها أسماء مجردة عن الأوصاف فربما سمي الرجل عبد العزيز وهو ليس كذلك وعبد الغفور وهو ليس عبدا للغفور وربما سمي محمود وهو مذموم وربما سمي جميل وهو قبيح وربما سمي صالح وهو ليس كذلك.

ثانيا: أسماء الله مترادفة متباينة فمن حيث دلالتها على الذات فهي مترادفة الله العزيز الرحيم الغفور مترادفة ثم متباينة من حيث المعنى فدلالة اسم الغفور غير دلالة اسم الرحيم ودلالة اسم الرحيم غير دلالة اسم السميع وهكذا.

ثالثا: أسماء الله توقيفية لا يجوز أن يزاد عليها ولا أن ينقص منها كما سيأتي توضيحه في قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف:١٨٠].

رابعا: أسماء الله غير محصورة بعدد معين أما قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا**»(١) لا يدل على حصرها فهو بمثابة قول الشخص: إن لي مائة ريال أعددتها للصدقة فلا يمنع أن يكون عنده غيرها وأما ما ورد من ذكرها في حديث

---

(١) البخاري (٢٥٨٥) ومسلم (٢٦٧٧).

رواه الترمذي فهذا الحديث ضعفه أهل المعرفة بصناعة الحديث ورجاله يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى الجزء الثاني والعشرين صفحة خمسمائة وثمانية وثلاثين: إن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة وحفاظ الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث الحديث هذا ضعيف لا تصح نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك قد جاء حديث يوضح هذا حديث ابن مسعود في مسند أحمد فيما يتعلق بدعاء الهم والحزن قال النبي ﷺ: «**ما من مسلم يصاب بهم أو حزن فيقول: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي**»[(١)] الشاهد «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» وما جاء في البخاري أيضا أن الناس يذهبون باحثين عن من يشفع لهم يوم القيامة فيأتون آدم فيعتذر ثم إبراهيم فيعتذر نوح فيعتذر إبراهيم فيعتذر وموسى فعيسى فإذا ما جاءوا إلى البشير النذير محمد ﷺ يقول: «**أنا لها فيخر تحت العرش ساجدا قال: فأحمد ربي بمحامد لم أكن أعلمها من قبل**»[(٢)] بمعنى أن هناك ثناء وأسماء ما علمها قبل أن يتحدث بهذا الحديث محمد ﷺ فدل ذلك على أن

---

(١) صحيح: أحمد (٣٧١٢) (٤٣١٨) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والبزار (١٩٩٤) وابن أبي شيبة (٢٩٣١٨) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٩٩).

(٢) البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم.

أسماء الله غير محصورة بعدد معين أما حديث أبي هريرة «**إن لله تسعة وتسعين اسما**» بمعنى من أسماء الله تسعة وتسعين فإذا أنت حفظتها كان لك ذلك الجزاء الذي علق النبي ﷺ عليه دخول الجنة «**من أحصاها دخل الجنة**» ومعنى إحصائها: حفظ لفظها وعرف معناها وعمل بمقتضاها من أسمائه التواب إذن لا بد تتوب ومن أسمائه الغفور إذن لا بد تبحث عن مغفرة الله ومن أسمائه السميع إذن إياك أن تقول شيئا حتى لا يؤاخذك به السميع ومن أسمائه العليم فإياك أن تعمل شيئا في السر يعلمه العليم فيحاسبك به وهكذا دروس مسلكية تترتب آثارها من خلال دراستك لأسماء الله تعالى وصفاته وقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠] يقول العلماء: إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر فهنا قدم الجار والمجرور ليكون خبرا مقدما والأسماء مبتدأ مؤخر تقدير الكلام: الأسماء الحسنى لله أي كائنة لله فدل ذلك على اختصاص الله ﷻ بالأسماء الحسنى ومعنى الحسنى هي التي بلغت الحسن غايته من الجمال والكمال.

قوله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] المراد بذلك السؤال بها الدعاء بمعنى السؤال **فتسأل من؟** ربك ﷻ

الله يغضـــــب إن تركـــت ســـؤاله وبنـــي آدم حـــين يســـأل يغضـــب

وكان بعض السلف يقول: ليسأل أحدكم ربه البصلة والزيت، وفي حديث يقول النبي ﷺ: «**ليسأل أحدكم ربه شسع نعله**»[1] فنحن بحاجة إلى اللجوء إلى الله ﷻ في كل أمورنا إ ذا ما شعرت بالجوع قلت: اللهم أطعمني على أن الطعام موجود في

(١) حسن: ابن حبان (٨٦٦) والطبراني في الأوسط (٥٥٩٥) وأبو يعلى (٣٤٠٣) والبيهقي في الشعب (١١١٦) وانظر مشكاة المصابيح (٢٢٥١).

البيت تواضع لربك «**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم**»(١) قبل ما تشتري الكيس الطحين إسأله من ربك وهكذا البطاط والبصل والكزبرة وما إلى ذلك من الخضروات وما شابهها سلها من ربك وإذا أردت ثوبا فسله من ربك أيضا «**يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم**»(٢) ورب أولادك على هذا إن أراد الكساء قل له: اطلبها من الله ﷻ قل: يا رب أسألك أن تكسوني هو الذي يكسيك قال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦] وهكذا ما امتن الله ﷻ به من أصواف الحيوانات ليكون في ذلك متاعا لعباده يتمتعون به حتى حين فالدعاء على قسمين:

دعاء عبادة: وهو أن تتعبد لله بمقتضى الأسماء والصفات.

دعاء المسألة: وهو أن تقدم اسما بين يدي دعائك فإن أردت المغفرة قلت: يا غفور وإن أردت العزة قلت: يا عزيز وإن أردت الرحمة قلت: يا رحيم وهكذا تعطي لكل اسم ما يناسبه فلا ينبغي مثلا إذا أردت من الله ﷻ المغفرة أن تقول: يا عزيز أو يا شديد الإنتقام أو يا حكيم وإنما ائت باسم يناسب ذلك المقام فهذا ما يتعلق بأقسام الدعاء ومعناه.

وأما قوله ﷻ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف:١٨٠] فالإلحاد بمعنى الميل ومن ذلك سمي اللحد لحدا وهو الشق الذي يكون في القبر قال النبي ﷺ: «**اللحد لنا والشق لغيرنا**»(٣) فاللحد يكون إلى جهة القبلة هكذا وأما الشق يكون إلى الأسفل

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) مسلم (٢٥٧٧).

(٣) صحيح: أبو داود (٣٢٠٨) والترمذي (١٠٤٥) والنسائي (٢٠٠٩) وابن ماجة (١٥٥٤) وأحمد =



مباشرة فالإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب فيها وهو أقسام:

١- إما أن ينكرها كإنكار الجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي الذين جحدوا الأسماء والصفات وحكم العلماء على هؤلاء بالكفر طبعا بعد إقامة الحجة عليهم تتمة الشروط وانتفاء الموانع.

٢- وهناك من أثبت الأسماء مجردة عن الأوصاف كالمعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزال أثبتوا الأسماء مجردة عن الأوصاف قالوا: عليم بلا علم وقدير بلا قدرة وهذا هو قلة أدب مع أسماء الله ﷻ وصفاته.

٣- ومن الإلحاد التشبيه أتباع هشام بن الحكم والطريقة الكلابية الذين شبهوا الله ﷻ بخلقه له يد كيدنا وقدم كقدمنا وسمع كسمعنا وهذا لا يجوز فالله ﷻ خالق وما دونه مخلوق فإذا كانت الفوارق توجد بين المخلوقات مثلا رجل البعير ليست كرجل النملة والنحلة والطير فما بالك بالفرق بين الخالق والمخلوق فالله ﷻ الكبير المتعال وهو القاهر فوق عباده لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وسع كرسيه السماوات والأرض وإلا فالمخلوق هو مخلوق ضعيف يحتاج إلى ربه ﷻ في كل طرفة وحين.

٤- من الإلحاد أن يسمى الله بأسماء لم ترد لا في القرآن ولا في السنة بعض الفلاسفة يسمون أرحم الراحمين بالعلة الفاعلة أو مهندس الكون ومبرمج الكون بعضهم هكذا يسميه مهندس الكون ومبرمج الكون وهذا لا يجوز وإنما نسمي الله تعالى بما سمى به نفسه فتأمل إلى اللفظ ما أحسن كلمة الله الرحمن الرحيم السميع

=

(١٩١٨١) انظر حديث رقم: ٥٤٨٩ في صحيح الجامع.

العليم فنثبت ما أثبت الله تعالى لنفسه وكفى.

٥- كذلك حصل عند المشركين أن اشتقوا لآلهتهم أسماء من أسماء الله كاللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان هذا أيضا من الإلحاد في أسماء الله وصفاته والواجب تحكيم كتاب الله وسنة النبي ﷺ في هذا الباب كما أن التحكيم يحصل في باب العبادة فهكذا في باب العقيدة والتوحيد فما كان في زمن رسول الله ﷺ يتعامل به في باب الدين والعقيدة فهكذا ولا ينبغي أن نخوض في أمور ما خاضها أصحاب النبي ﷺ.



ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠] يشركون.

وعنه رضي الله عنه: سموا اللات من الإله والعزى من العزيز.

وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.



ثم قال الشيخ: ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠] قال: يشركون وعنه: سموا اللات من الإله والعزى من العزيز.

وعن الأعمش قال: يدخلون فيها ما ليس منها هذا تفسير صحيح لكن هذه الآثار لا تثبت فكلها ضعيفة إذ أنها مسلسلة بالعوفيين عن ابن عباس كما أفاد ذلك غير واحد من العلماء.





فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء. الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها. السادسة: وعيد من ألحد.



قال: فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء وهذا من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثانية: كونها حسنى أي بلغت في الحسن غايته من الكمال والجمال.

الثالثة: الأمر بدعائه بها ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] إذا أردت من ربك شيئا فقل: يا ألله يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام وتذكر أسماء تليق بالمقام الذي أنت فيه لتسأل ربك ﷻ وهذا من الدعاء الذي لا يرد.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين الذين اشتقوا لآلهتهم أسماء من أسماء الله.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها وهذا من قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠] والمراد بالإلحاد الميل وكل من مال بأسماء الله وصفاته بشيء من الزيادة أو النقص إلى قيام الساعة يستدل عليه بهذه الآية أنك أنت ألحدت في أسماء الله والله ﷻ قد تهدد الذين يلحدون في أسمائه.

السادسة: وعيد من ألحد ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]

المقام مقام تهديد بمعنى أننا سنحاسبهم إن رجعوا إلينا نجازيهم على هذا الصنيع الذي فعلوه في حقنا وذلك التنقص للذات الإلهية أنت لو اسمك مثلا: علي أو إبراهيم فجاء واحد يقول لك: يا قاسم أو يا نجيب أو اسمك محمد فيقول: يا سعد أو يا سعيد تزعل أنت من هذا والله إنك تزعل أو أنت تكنى مثلا بأبي صالح فيأتي يقول لك مثلا: يا أبا أحمد أو يا أبا محمد وأنت إنما أنت مشهور بهذه الكنية يعرفها القاصي والداني أنت تغضب فما بالك بالله سبحانه وتعالى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى الله سبحانه وتعالى الذي أمرنا بتوحيده وتمجيده وتوقيره قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ - ١٤] أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم تعظيمه في السر والعلانية.

يقول المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة**» متفق عليه[١].

ومعنى إحصائها حفظ لفظها ومعرفة معناها والعمل بمقتضاها وهذه الأسماء وردت في حديث رواه الترمذي لكنه ضعيف عند أهل المعرفة لوجود الوليد بن مسلم وهو مدلس تدليس التسوية قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لم يرد ذلك في حديث صحيح عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لكن العلماء تتبعوها من القرآن ومن السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام فأوصلوها إلى تسعة وتسعين اسما من أجل هذه الفضيلة معرفة الأسماء الحسنى وقد نظمتها إحدى الداعيات بل العالمات

(١) البخاري (٢٥٨٥) ومسلم (٢٦٧٧).



وهي كاملة الكواري جزاها الله خيرا وحفظها الله في أبيات بلغت تسعة عشر بيتا ففي مطلع هذا النظم ابتدأت بالاسم الأعظم وبالاسم العظيم لله ﷻ وهو الله

يا ألله يا رحمن يا رحيم	أنت الحليم العالم العليم
أنت الحفيظ الحافظ الأعلى العلي	أنت المليك المالك المولى الولي
الأكرم الكريم والرزاق	والبارئ الخالق والخلاق
القادر المقتدر القدير	المؤمن السميع والبصير
يا حي يا قيوم يا وهاب	يا بر يا لطيف يا تواب
أنت العفو الشاكر الشكور	الطيب الغفار والغفور
أنت المتين القاهر القهار	أنت الكبير الواسع الجبار
المتكبر السلام والحميد	والمتعالي والمحيط والشهيد
والحكم الحكيم والحسيب	والحق والمقيت والرقيب
والأحد القدوس والخبير	والواحد السبوح والنصير
والأول العظيم والقوي	والآخر المبين والغني
والظاهر الإله والحفي	والباطن الودود والحيي
والباسط المنان والمصور	والقابض المقدم المؤخر
والوارث الفتاح والمهيمن	أنت العزيز والمجيد المحسن
والشافي والرفيق والوكيل	والمعطي والجواد والجميل
أنت القريب والمجيب الصمد	والوتر والرب الرؤوف السيد
ندعوك ربي بالأسامي الحسنى	وما حوته من جمال المعنى
لتعطينا أكمل المرامي	ولتمحو عنا جملة الآثام
ورقنا في درجات الخير	وجنبنا دركات الضير.

باب لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام. الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله. الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

وأما في هذا المجلس فيقول الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي المشرفي النجدي رحمه الله:

باب لا يقال: السلام على الله

مناسبة هذا الباب وهذه الترجمة لكتاب التوحيد أن هذا القول باطل لا يقال: السلام على الله لأن ذلك معناه طلب السلامة للمدعو وهو الله سبحانه وتعالى والله تعالى لا

(١) البخاري (٨٠٠).



يطلب السلامة له وإنما يطلب السلامة منه لكماله ﷻ.

فكان هذا القول منهيا عنه حرام أن يقول القائل: السلام على الله لأنه كيف يدعى للسلام بالسلام لأن الله هو السلام ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر:٢٣] والسلام معناه السالم من النقائص والآفات وإن شئت أن تقول: هو السالم في نفسه المسلم لغيره فلذلك كان دعوى الأنبياء يوم القيامة لهول المطلع: اللهم سلم سلم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يقال السلام على الله وفي الصحيح والمراد به البخاري ومسلم عن ابن مسعود وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود صحابي جليل وعلامة كبير أخذ اثنتين وسبعين سورة من في رسول الله ﷺ يروي لنا هذا الصحابي قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا السلام على الله من قبل عباده السلام على فلان وفلان فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام**» **فكيف تطلب للسلام سلاما؟** وهو أصلا المسلم هو السالم والمسلم لغيره السالم من النقائص والآفات والعيوب لكماله وجماله وكبريائه وغناه عن خلقه وهكذا في التحية الإسلامية السلام عليكم معنى ذلك أنك تذكر اسما من أسماء الله ويعتبر في نفس الوقت تحية السلام عليكم تحية تحييه بهذه التحية الشرعية وأيضا تدعو له بالسلامة كأنك تقول: أسأل الله أن يسلمك من الفواحش والفتن من السوء من الحر من الجوع من البرد من الشهوات من النار دعاء عام شامل لو فقه المسلمون هذا لعلموا أن هذه شعيرة لا ينبغي أن يتساهلوا بها فبعض الناس الآن ربما يستهزئ بالسلام وربما يستبدل بغيره مثل صباح الخير ومساء النور وربما من قبل اليهود والنصارى ألفاظ من ألفاظهم وربما أيضا يشير بالكف مكتفيا بذلك والنبي ﷺ يقول: «**ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا**

باليهود ولا بالنصاري فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»[(١)] أو كما قال ﷺ والمسلم يقول: السلام عليكم انظر ما أحسنها فلك عشر حسنات فلو قلت: السلام عليكم ورحمة الله لك عشرون حسنة نقد فإذا قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثلاثون حسنة تستلمها نقدا وقد كان عبد الله بن عمر يخرج إلى السوق فقال له أحد التابعين: يا أبا عبد الرحمن أنت تخرج الأسواق ولا تساوم في السلع فقال له: يا أبا بطن إنما أخرج لأسلم على الناس من أجل أن يصيب الأجر كونك تقول لمسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تدعو له بالسلامة والرحمة والبركة من الله ﷻ وتستلم لهذا اللفظ ثلاثين حسنة سبحان الله انظروا يا إخوان ما أوسع أبواب الخير وما أكثرها وما أعظمها وما أقل الاهتمام بها وعزوف الناس عنها الآن لو أن المسألة - بارك الله فيكم - فلوس وحطام دنيا لرأيت الناس يتنافسون ولو كان على تمر رديء مسوس تراهم زرافات يتسابقون لكن على هذه الأجور إلا ما رحم الله المستعان وبعضهم صار في آخر الزمان لا يسلم إلا للمعرفة بل قد حصل من الإخوة الذين هم طلاب علم يعني في بعض الأحيان أمشي أنا وبعض الإخوان نجد بعض الناس نسلم السلام عليكم فيقول:

من أين تعرفه؟ قلت: صدق النبي ﷺ حينما قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكون السلام للمعرفة**»[(٢)] من عرفته سلمت عليه ومن لم تعرفه فلا والنبي ﷺ يقول: «**وأن تلقي السلام على من عرفت ومن لا تعرف**»[(٣)] ويقول النبي ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى**

---

(١) حسن: الترمذي (٢٦٩٥) انظر حديث رقم: ٥٤٣٤ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أحمد (٣٨٤٨) وانظر السلسلة الصحيحة (٦٤٨).

(٣) البخاري (١٢) ومسلم (٣٩).



تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[(١)] بلغوا السلام هذا فيما بينكم فسلم على الناس وسلم على أهلك وأولادك وادع لهم بالسلامة فإنك مأجور ومستفيد من إلقائك لهذا وكان هذا في بداية أمر الصلاة فقد كان أحدهم يقول: السلام على الله فالنبي ﷺ نهاهم عن ذلك ولم ينهاهم عن أن يقولوا: السلام على جبريل وعلى ميكائيل فقد جاء في الحديث «**السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان وفلان**»[(٢)] وذلك أنه يجوز فقد قال النبي ﷺ لعائشة: «**هذا جبريل يقرئ عليك السلام فقالت: وعليه السلام**»[(٣)] لا بأس بذلك وهكذا في الصلاة «**التحيات لله والصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**» من كان من عباد الله صالحا أصابته هذه الدعوة التي يهتف بها المسلمون صباحا ومساء وبين ذلك في مشارق الأرض ومغاربها يدعو بعضهم لبعض «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**» قال النبي ﷺ: «**فإنكم إن فعلتم ذلك أصبتم كل عبد صالح في السماء والأرض**»[(٤)] والمقصود من دخول هذا الباب أو إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد ما تقدم أن هذا القول لا يجوز إطلاقه على الله ﷻ لأنه هو السلام السالم في نفسه المسلم لغيره فلا يجوز القول سلم السلام لأنه هو أصلا سالم في نفسه مسلم لغيره سلم من النقائص والعيوب والآفات لكماله وجماله وسؤدده وعلو شأنه تبارك الله وتعالى وتقدست أسماؤه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) مسلم (٥٤).

(٢) البخاري (٥٨٧٦).

(٣) البخاري (٣٥٥٧).

(٤) البخاري (٧٩٧) ومسلم (٤٠٢).

باب قول اللهم اغفر لي إن شئت

يقول الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

هذا الباب عقده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ليبين أن من دعا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجب أن يعزم في دعائه وأن لا يعلقه بالمشيئة لأنه إذا علقه بالمشيئة دل ذلك على فتوره وعدم اهتمامه وكأنه غني عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلاف العبد الملحاح الذي يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاجاته كلها ويعلم أنه لا قضاء لهذه الحاجات إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقد جاء عند الترمذي من حديث ابن مسعود أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالله أوشك الله له برزق عاجل أو آجل ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته**»[(١)].

قوله: اللهم معنى ذلك يا ألله ولكن لكثرة الاستعمال حذفت يا النداء وعوض عنها الميم فقيل: هذه الميم ميم التعظيم أو تفيد التعظيم.

وأما قوله: اغفر لي المغفرة المراد بها ستر الذنب ومحوه والتجاوز عنه والمغفرة مشتقة من المغفر والمغفر هو ما يستر به الرأس للوقاية من السهام وغيرها وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل مكة وعلى رأسه المغفر فكأن العبد يلتجئ

---

(١) صحيح: أبو داود (١٦٤٥) والترمذي (٢٣٢٦) وأحمد (٣٨٦٩) والطبراني في الكبير (٩٧٨٥) انظر حديث رقم: ٦٥٦٦ في صحيح الجامع.



إلى الله ﷻ أن يستره سترا شاملا مما جنته يداه اللهم اغفر لي والله ﷻ في الحديث القدسي يقول: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**»(١) ويقول سبحانه في القرآن: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢].



في الصحيح عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»(٢).

ولمسلم: «وَلِيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شيءٌ أَعْطَاهُ»(٣).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة»(٤).

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.



---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٥٩٨٠) ومسلم (٢٦٧٩).

(٣) مسلم (٢٦٧٩).

(٤) البخاري (٥٩٨٠) ومسلم (٢٦٧٩).

قال: وفي الصحيح المراد بذلك صحيح البخاري ومسلم والمؤلف ليست له قاعدة في هذا فرب حديث قال: في الصحيح وهو ليس في الصحيحين وقد يقول: في الصحيح وهو في البخاري ويقول: في الصحيح وهو في مسلم ويقول: في الصحيح وهو في الصحيحين كهذا الحديث.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم**» ولا هاهنا ناهية نهي ينهى النبي ﷺ أن يقول أحدنا ما سيذكره ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت**» بمعنى إن شئت أن تغفر لي إن هاهنا شرطية بمعنى إن شئت أن تغفر لي فاغفر وإن شئت فلا في هذا - بارك الله فيكم - تنقص للذات الإلهية وذلك كأنه والله أعلم يظن أن في ذلك كلفة أو أن الله يعمل الشيء وهو كالكاره الله ﷻ ليس كالمخلوق المخلوق قد يعطيك وهو كاره محرج وقد يعطيك لقوتك خوفا منك أو يرجو شيئا عندك وقد يعطيك لله ﷻ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٩] لكن الله ﷻ خزائنه ملآى «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر**»(١) وجاء في حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**يمين الله ملآى لا يغيظها نفقة**» بمعنى لا ينقصها نفقة «**سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغظ ما في يمينه وفي يده الأخرى القسط يخفضه ويرفعه**»(٢) ويقول سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١] ويقول ﷻ:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٤٤٠٧) ومسلم (٩٩٣).

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٢٧] ويقول ﷻ في كتابه الكريم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف:٣٢] فهو ﷻ الغني القوي المعطي الرافع الخافض ما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل إن أعطى فبقوته وقهره وغناه وإن منع فكذلك لحكمته وحلمه ورحمته بالعبد جاء في حديث أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحمي عبده من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام**»(١) فكأن الله ﷻ يحمي المؤمن من الدنيا حتى لا يلهو بها عن آخرته فهو ﷻ عظيم **من الذي أعطى لقارون الملك وإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة؟ ومن الذي سخر لسليمان الجن والإنس؟** ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٧ - ١٩] سمع كلام النملة نملة يسمع سليمان حديثها وحينما قام إلى النوق وإلى الخيول التي لهته عن صلاة العصر فجز سنامها ثم عقرها لله ﷻ عوضه الله ﷻ البساط الريح تنقله من مكان إلى آخر من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه هذا الحديث في مسند أحمد أحد الأعراب قال: أتيت إلى النبي ﷺ فظل يعلمني مما علمه الله ثم قال: «**إنك لن تترك شيئا اتقاء لله جل وعز إلا عوضك الله خيرا منه**»(٢) فإذا سأل أحد منا ربه فليسأل بعزيمة وبهمة ونشاط وليعلم أن الله يعطي يقول عمر رضي الله عنه: «**و الله إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء**» كم من

(١) صحيح: أحمد (٢٣٦٧١) والحاكم (٧٤٦٥) والبيهقي في الشعب (١٠٤٥٠) انظر حديث رقم: ١٨١٤ في صحيح الجامع.

(٢) مسند الحارث (١١٠١).

فترات تمر علينا ونحن لا ندعو الله ﷻ وإذا دعا الواحد يدعو وهو مشغول الله يعلم فين وإذا دعا ربما يدعو يعني إن صلح وإلا مش مبالي وإذا دعا اختار الأمور الكبيرة ونسي الصغيرة لا، اسأل من ربك حتى الصغيرة قال النبي ﷺ:

«**ليسأل أحدكم ربه شسع نعله**»(١) كان بعض السلف يسأل من ربه الزيت والبصل سله من الله ﷻ «**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم**»(٢) اطلب ذلك من الله ﷻ ووطن نفسك أن الله ﷻ يستجيب دعاءك ويمنحك على هذا الدعاء خيرا إما أن يعجل وإما أن يؤخر وإما أن يصرف عنك من السوء مثلها وهذا مصداق حديث النبي ﷺ فالواجب على المسلم أن يكون شديد الالتجاء إلى الله ﷻ يلتجئ إلى الله ﷻ في الأمور كلها في عسرها ويسرها كان النبي ﷺ يدعو: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض**»(٣) يعني يتملق الله ﷻ ويقول: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الإخلاص في الغضب والرضى والقصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا ينقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مسلم (٧٧٠).

(٤) صحيح: النسائي (١٣٠٦) وابن حبان (١٩٧١) والبزار (١٣٩٢) وانظر شرح العقيدة الطحاوية =



وبعض السلف يموت حماره فيسأل من ربه أن يحييه حتى امتدح شاعر تلك القبيلة يفتخر على قبيلة أخرى قال:

ومنا الذي أحيا الإله حماره وقد مات منه كل عضو ومفصل

وهذه شاهده في القرآن ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

الحمار ميت وتعود إليه النفس وعلى طول تدب النفس في هذا الحمار ويقوم الحمار ينهق ويجري ويذهب ويأتي فرحا مسرورا وقد مات الحمار مائة سنة وأصحاب الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا.

وهكذا فيما يتعلق بقصة عيسى بن مريم وما يتعلق بالطير ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠] آيات عظام تدل على عظمة قدرة الله ﷻ وهذا ربما كان من المستحيل ولكن ما كان ذلك عندهم فيه استحالة إذ أنهم يدعون الله ﷻ.

وهكذا فيما يتعلق في قصة العلاء بن الحضرمي حينما صلى ركعتين ومشى على ظهر الماء وهكذا يقال: أن رجلا احتقر الإمام البخاري فدعا عليه فمات.

=

للألباني صفحة (١٠١).

وهكذا في قصة الحسن حينما احتقره رجل وآذاه فدعا الله عليه فاستجاب دعاءه فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السلف رضي الله تعالى عنهم كانوا يعرفون أهمية الدعاء وقدره ولكن نحن لا حول ولا قوة إلا بالله ربما يجعل الطلب من الله آخر ما يكون يبدأ يفعل الأشياء الحسية وهنا وهناك وبعدين في النهاية يعود إلى ربه ﷻ وكان الأولى أن يبدأ به في كل شيء تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة في كل موطن ادعوه ﷻ فإنه يستجيب لدعائك ولكن ربما كانت هناك موانع أكل الحرام لبس الحرام شرب الحرام نكاح الحرام التغذي بالحرام المعاصي قطع الأرحام يقول النبي ﷺ: «**ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم**»(١) ليس فيها إثم بمعنى لا يكون العبد متلبس بإثم ولا فيها قطع رحم فإن الله ﷻ يستجيب والإمام النووي وغيره من العلماء يذكرون أن العبد إذا صادف ساعة إجابة وتملق الله بأسمائه الحسنى وابتهل وتضرع وافتقر ومجد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ثم صلى على النبي ﷺ ثم دخل على الله ﷻ ملحا قال: لا يكاد هذا الدعاء يرد بمعنى يقبله الله ﷻ والموفق من وفقه الله والمخذول من خذله الله لما في قلبه من الدغل نسأل الله السلامة.

قال: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له» وهكذا قال: ولمسلم: «**وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**» وذلك أن الشخص إذا طلب من الله ﷻ شيئا لا يقول: أنا لا أريد أن أكثر على الله الله ﷻ أكثر العبد يقول: لا تكثر على فلان يرجع يرفض لنا الكل يعني إذا أردت أن تستلف منه ألف تستلف مش تريد منه ألف بس وتعيدها في وقتها يقول لك شخص: أنا أرى أنك

(١) صحيح: الطبراني في الأوسط (٤٣٦٨) وابن أبي شيبة (٢٩١٧٠) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٣).



لو طلبت ألف ربما ما يرضى ولكن خلها خمسمائة الله ﷻ يطالبك يا مسلم أن تستكثر إذا سأل أحدكم ربه فليكثر وهكذا في قصة آخر رجل يدخل الجنة حينما كان وجهه متلفت إلى النار فيسأل الله ﷻ ويدعوه ويستجير به أن يحول وجهه من النار ثم ينظر إلى الجنة فإذا نظر إلى الجنة يظل يتوسل وكذا وكذا حتى يقدمه الله إلى قرب شجرة فإذا ما قرب إليها يتوسل إلى الله ﷻ ويتملقه حتى يأتيه إلى باب الجنة فإذا جاء إلى باب الجنة يتملق الله ويسأله حتى يدخله الجنة هذا آخر رجل جاء في رواية البخاري أن الله ﷻ يقول له:

«**اذهب فادخل الجنة فيذهب إلى الجنة فيخيل إليه أنها ملآى فيقول لربه: أتهزأ بي فقد وجدتها ملآى؟ فيضحك الله ﷻ منه ثم بعد ذلك يقول له: اذهب فادخل الجنة أتريد أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ يقول: رضيت ربي يقول: أتريد أن يكون لك مثل الدنيا؟ يقول: رضيت ربي يقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله وفي رواية: وعشر أمثاله وفي رواية: وإن الله ليذكره**»(١) بمعنى أنه يتمنى أريد كذا وكذا وكذا والله ﷻ يذكره يقول: بقي معنا كذا باقي كذا تريد عد باقي كذا تريد نعطيك من هذا فالله ﷻ غني ونحن فقراء كريم يعطي لأن خزائن السماوات والأرض هو المتصرف فيها ﷻ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦] هذا سالم بن عبد الله كان يطوف حول الكعبة فجاءه أحد الخلفاء قال له: يا سالم سلني حاجتك قال: أكره أن أطلبها منك وأنا بجوار بيته قال: فإن خرجت قال: إن شاء الله فلما خرج تبع الخليفة سالما سالم هذا أحد العلماء السبعة أحد الفقهاء السبعة الذين كانوا إذا

(١) البخاري (٦٢٠٢) ومسلم (١٨٦).



أجمعوا على شيء لا ترد فتواهم فلما أدركه خارج الكعبة قال له: الآن يا سالم سلني حاجتك قال: من حوائج الدنيا أم الآخرة؟ قال: من حوائج الدنيا قال: ما سألتها ممن يمتلكها فكيف أسألها ممن لا يمتلكها وهكذا يخرج بعزة نفس وما سأل الخليفة شيئا فنسأل الله ﷻ يا إخوان أن يرزقنا الرغبة فيما عنده ﷻ وأن يكون همنا الأول والأخير هو ﷻ ليس غيره وهكذا آخرته لحديث: «**من أصبح والآخرة همه جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن أصبح والدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له**»(١).

و الله أعلى وأعلم وأعز وأكرم وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.



(١) صحيح: الترمذي (٢٤٦٥) وابن ماجة (٤١٠٥) وانظر السلسلة الصحيحة (٩٤٩).



باب لا يقول عبدي وأمتي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسسليما كثيرا أما بعد:

فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي المشرفي النجدي رحمه الله:

باب لا يقول: عبدي وأمتي

قوله باب الباب يطلق لأمرين أو لقسمين أو لاثنين لأمر حسي وهو ما يدخل ويخرج منه ومعنوي وهو الباب من العلم في كتاب من الكتب المؤلفة فهو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب.

قوله: لا يقول لا هاهنا نافية أراد بها النفي المحض الذي لا يجوز ذكره وستأتي بالحديث على أنها ناهية قوله: لا يقول أي لا يقول الإنسان ابن آدم وبنت آدم كذلك لأن المرأة أيضا قد يكون لها عبد وقد يكون لها أمة لذلك كانت وارثة بالعصوبة كما قالوا:

وليس في النساء طرا عصبة إلا التي منت بعتق الرقبة.

قوله: عبدي المراد به العبد المعروف الذي قام به عجز حكمي بسبب الكفر والقتال الحاصل بين المسلمين والكفار فاستؤسر والمراد بالأمة العبدة وهي أيضا الجارية وحكمها حكمه وهو أنواع:



١ – **القن** ويسمى العبد الخالص.

٢ – **المدبر** وهو الذي علقت حريته بموت سيده.

٣– **المبعض** وهو الذي نصفه حر ونصفه عبد وهذا الباب له أحكام باب الرقيق له أحكام تخصه.



في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضاءْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سيدِي وَمَوْلَايْ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»[(١)].



قال: وفي الصحيح المراد بالصحيح صحيح البخاري ومسلم وقبل هذا – بارك الله فيكم – عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا الباب كالباب الذي قبله فيما يتعلق باحترام أسماء الله وصفاته ومن أجل سد الطرق التي تفضي إلى الشرك وحماية جناب التوحيد وذلك يتجنب الألفاظ الموهمة ولقد كان النبي ﷺ حامي حمى التوحيد فسيأتي – بارك الله فيكم – ما يوضح هذا الكلام الذي ترجم المؤلف هذه الترجمة لأجله وهذا من دقة فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

قوله: في الصحيح المراد بذلك البخاري ومسلم وليس له قاعدة في هذا فربما قال: في الصحيح وهو يعني البخاري وربما قال: في الصحيح ويعني مسلم وربما قال: في الصحيح وهو يعنيهما وربما قال: في الصحيح وهو خارج الصحيحين.

---

(١) البخاري (٢٤١٤) ومسلم (٢٢٤٩).



قال: في الصحيح عن أبي هريرة وهو الصحابي الجليل المعروف أن رسول الله ﷺ قال: ورسول الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رسول الله بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين فصلوات ربنا وسلامه عليه تترى.

قال: «**لا يقل**» لا هاهنا ناهية والفرق بين اللائين أعني الناهية والنافية أن لا الناهية تجزم الفعل المضارع ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [مريم:٤٤]﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ [المدثر:٦] ولا النافية لا تؤثر شيئا في الأفعال ولا في الأسماء تقول: لا زيد جاء ولا عمرو وتقول: لا يأكل محمد ولا علي ولا جاء زيد ولا عمرو فهي إنما يحكى بها الكلام فلا تؤثر فيه شيئا إلا إن نوى بذلك أنها نافية للجنس تعمل عمل إن أو نافية للوحدة تعمل عمل ليس أما لا الناهية فكلمة واحدة تجزم الفعل المضارع.

قوله: لا يقل المراد بذلك النهي والنهي تفيد التحريم بمعنى لا يجوز هذا الفعل الذي سوف يذكره نبينا ﷺ.

«**لا يقل أحدكم أطعم ربك**» ومعنى أطعم أي ناوله الطعام «**وضئ ربك**» بمعنى ناوله الوضوء لا يجوز استخدام هذا لأنه لفظ موهم وذلك أن العباد معبدون لله ﷻ عبودية عامة وعبودية خاصة أما دليل العبودية العامة قول ربنا سبحانه:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم:٩٣- ٩٥] وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] وقال ﷻ في الحديث القدسي: «**خلقت عبادي كلهم حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم**»[1] ويقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

المراد بذلك كل إنسان ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٦ – ٨] هذه عبودية عامة وهناك عبودية خاصة حظي بها أهل الإيمان والإسلام قال ربنا الرحمن حاكيا عن هؤلاء:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣] المراد بذلك أهل الإيمان وقال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨] وقال سبحانه ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]

فهذه عبودية خاصة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلها

وممـــا زادني شـــرفا وفخـــرا	وكـــدت بأخمصـــي أطـــأ الثريـــا
دخــولي تحــت قولــك يــا عبــادي	وأن صـــيرت أحمـــد لـــي نبيـــا

فهذا اللفظ فيه إيهام «**لا يقل أحدكم أطعم ربك**» أي لهذا المولى ولا وضئ ربك أي ناوله الطعام ناوله الوضوء وليقل سيدي أعطيت سيدي وأعطيت مولاي هذا لا بأس به

لفظ واضح قال: «**ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي**» أولا خطاب للأرقاء بعد ذلك خطاب للسادة قال: «**لا يقل عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي**» هذه الألفاظ موهمة فنهى عنها الشارع الحكيم حتى لا يحصل في ذلك خدش ونيل من التوحيد الذي أراده الله سبحانه وتعالى منا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] أي توحيدهم بشرك ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].





فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربي ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.



قال الشيخ: فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول عبدي وأمتي وقد سمعتم ما فيها من الإيهام.

الثانية: لا يقول العبد: ربي ولا يقول له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي تعليم الثاني قول سيدي ومولاي الأول للسادة والثاني للأرقاء.

الرابعة: التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ هناك بعض العبارات تطلق مثلا هناك شجرة تسمى بعباد الشمس اسمها المتعارف عليه عباد الشمس كره كثير من العلماء هذه التسمية قالوا: لا بد أن تسمى دوار الشمس لأنها تدور على جهة الشمس في حال الشروق وكذلك في وقت الغروب هنا مسألة ذكرها الشيخ الفوزان رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

القاعدة المعروفة هي سد الذرائع التي تفضي إلى المحظور كل ذريعة ووسيلة



تفضي إلى محظور فإنها ممنوعة وهي قاعدة عظيمة تسمى عند الأصوليين قاعدة سد الذرائع قد تكلم عليها بإسهاب الإمام ابن القيم في كتابيه إعلام الموقعين وإغاثة اللهفان وذكر لها تسعة وتسعين مثالا.

المسألة الرابعة: في الحديث دليل على أن من نهى عن شيء وله بديل صالح فإنه يأتي بالبديل لأن النبي ﷺ لما نهى عن قول عبدي وأمتي قال:

«**وليقل فتاي وفتاتي وغلامي**» هذا البديل الصالح الذي لا محذور فيه فإذا كان هناك بديل يقوم مقام هذا المنهي عنه فإنه يأتي بالبديل الذي لا محذور فيه مهما أمكن ذلك.

باب لا يرد من سأل بالله

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب لا يرد من سأل بالله

عقد المؤلف هذا الباب من أجل تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وذلك يدل على كمال التوحيد عند المسؤول فيما إذا سئل بالله أو باسم من أسمائه الأحرى أن يعظم هذا الاسم لأن أسماء الله عظيمة ولا بد أن تستعظمها القلوب فهي من الشعائر التي عناها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله:

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

وقوله: لا المراد بها لا النافية وتقدم لنا بالأمس أن لا النافية لا تؤثر في الأفعال ولا في الأسماء فهذه لا النافية بدلالة رفع الفعل المضارع بعدها.

والسؤال بالله مباح أن تسأل بالله أو باسم من أسمائه وقد جاء في حديث الثلاثة الأقرع والأعمى والأبرص حينما جاء الملك بصورة أحدهم حينما كان أبرص وأقرع وأعمى فقال للأبرص: أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن بعيرا أتبلغ به وهكذا قال للأقرع: أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن بقرة أتبلغ بها وقال للأعمى: أسألك بالذي رد عليك بصرك غنمة أتبلغ بها أو شاة أتبلغ بها وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دلالة أيضا: ﴿وَٱتَّقُواْ



ﵟٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚﵞ [النساء:١] ومن أراد أن يسأل الأولى أن يسأل ربه ﷻ مباشرة إذا سألت فاسأل الله ولا ينبغي للشخص أن يسأل لأن السؤال فيه مذلة للسائل ولكن عند الاضطرار أو إن كنت محقوقا في أمر فربما وجب عليك السؤال إذا كان المسؤول ملكا أو تسأل من بيت مال المسلمين فمن حقك أن ترزأ أمثال هؤلاء وهكذا فيما يتعلق بسؤال العلم ربما يكون أمرا واجبا كما قال سبحانه:

ﵟفَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَﵞ [النحل: ٤٣/ والأنبياء: ٧].



عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح(١).

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله. الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة. الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «حتى تروا أنكم قد كافأتموه».



(١) البخاري (٤٩٥٥).



ساق المؤلف حديث ابن عمر ﵄ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«**من سأل بالله فأعطوه**» ومن سأل أي قال: أسألك بالله أو أسألك بالعظيم أو أسألك بالرحيم أن تعطيني كذا الأمر يدل على الوجوب لكن فيما لا يترتب عليه ضررا على المسؤول وكذلك إثما فلو سألك سائل مثلا قال: أسألك بالله أن تعطيني مائة ريال لأشتري بها دخان أو من أجل أن أشتري بها بطة أو باصرة أو من هذه الأشياء الملهيات هنا لا ينفذ له سؤاله أو قال لك قائل: أسألك بالله أن تحدثني بما يدور في خاطرك هنا يترتب ضرر أو بما تفعله في بيتك مع أهلك هذه أمور لا يجب على المسؤول أن ينفذها لكن لو سألك عن شيء أنت تستحقه أنت قائم على بيت المال فقال: أسألك بالله أن تعطيني ألف أو ألفين أو أنك تستطيع أسألك بالله أن تعطيني عشرة ريالات وبمقدورك أن تعطيه لا سيما إذا كان فقيرا فربما تعين الوجوب ولو رأيت أنه لا يستحق أيضا لا يتعين وإنما هو فقط من باب الاستحباب فلا ينبغي لأحد أن يستغل هذا الحديث وأمثاله لإحراج المسلمين رأى عليك عمامة جديدة فقال: أسألك بالله أن تعطيني هذه العمامة رأى عليك نعال جميلة أو ثوبا حسنا أو قلما قال: أسألك بالله أن تعطيني هذا أو كتابا لا يجوز وإنما فيما لابد منه فيما لا يترتب على ذلك ضررا ولا إثما ولا يترتب إحراجا بحيث أنك تلجئه إلى البخل أو إلى كراهيتك لأن بعض الناس إذا لمحت عليه ربما يكرهك ويمقتك

يقولـون لـي فيـك انقبـاض وإنمـا رأوا رجـلا عـن مـوطن الـذل أحجمـا

أرى النـاس مـن داناهم هـان عنـدهم ومـن أكرمتـه عـزة الـنفس أكرمـا

فيقول ﵊: «**من سأل بالله فأعطوه**» بمعنى فيما كان بمقدوركم أو سأل شيئا هو يستحقه هو يستحق ذلك الشيء «**ومن استعاذ بالله فأعيذوه**» من قال: أعذني من فلان



أعذني من كذا بمقدورك هذا فوجب عليك أن تعيذه وقد جاء في البخاري من حديث عائشة أن بنت الجون لما دخلت على النبي ﷺ قالت: أعوذ بالله منك قال: «**لقد عذت بعظيم أو بمعاذ فالحقي بأهلك**»(١) وتزوجت في عهد عمر بن الخطاب فاستدعاها عمر وأراد أن يعزرها قالت له: يا أمير المؤمنين إن النبي ﷺ لم يكشف عني شيئا فسمح لها أن تتزوج وهكذا في مسألة العوذ أيضا مثل السؤال بالله فيكون على حسب الحال.

قوله: «**ومن دعاكم فأجيبوه**» دعاك إلى طعام وليمة إلى طعام وليمة عرس أو وليمة عادية هذه من حقوق المسلمين بعضهم لبعض التي توجب المحبة فإن النبي ﷺ يقول:

«**حق المسلم على المسلم ست ومنها إجابة الدعوة**»(٢) ويقول ﷺ: «**من لم يجب الدعوة فقد عصى أبا القاسم**»(٣) لكن لو ترتب في هذه الإجابة ضرر كأن يكون في هناك تصاوير وخلاعة ورقص وأغاني ومزامير وإهدار للأوقات والأموال ويفرض عليك ولست أنت الذي تفرض فهنا لا يجب بل لا يجوز لك أن تحضر لأنه منكر لكن لو كان هذا المنكر موجودا وأنت قادر على تغييره ربما تعين عليك الحضور كأن يكون مثلا ابنك وأنت قادر في بيت ابنك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أو بيت ابن عمك أو ابن عمك يحترمك أو واحد من هؤلاء يقول: هذا فلان يلقي كلمة وهناك آخرون لا يقدرون هذا الذي أمرهم بالإنصات لكلامك فهنا يتعين الوجوب

---

(١) البخاري (٥٢٥٤).

(٢) مسلم (٢١٦٢).

(٣) أبو يعلى (٥٨٩١).



وجوب حضور هذه الوليمة لأنك سوف تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أما إذا كنت ترى أنك لن تستطيع أن تغير فبقاؤك في بيتك والله خير من إجابتك لهذه الدعوة التي يترتب عليها ضررا على دينك وعلمك وربما كان في حضورك دليل للآخرين هذا فلان قد حضر فالأولى أن تتقي الله ﷻ في نفسك وفي دعوتك وقوله ﷺ:

«**ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه**» أي معروف من الخير لأن المعروف عكسه المنكر فصنع لك معروفا إما أعطاك مالا أو كساء أو طعاما أو شفاعة أو تزكية أو أخذت منه علما أو أعطاك نصيحة فكافئه كافئه أولى لك أن تكافئه وقد كان النبي ﷺ يكافئ كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ولما رجع النبي ﷺ من الطائف منعته قريش من الدخول فوافق المطعم بن عدي أن يدخل النبي ﷺ بجواره فدخل النبي ﷺ في حلف المطعم بن عدي فطاف والمطعم بن عدي وأولاده يحرسونه بأسلحتهم فلما كان يوم بدر وقد أعز الله الإسلام والنبي والمسلمين قال:

«**لو كان المطعم بن عدي حيا فسألني هؤلاء الأسرى لوهبتهم له**»[(١)] أو كما قال النبي ﷺ وهكذا زوج زينب بنت النبي ﷺ العاص أو أبو العاص كان من ضمن الأسرى فأرسلت زينب بقلادة كانت تلبسها خديجة أمها فلما رآها النبي ﷺ رق لتلك القلادة رقة شديدة ثم قال: «**أطلقوا لها أسيرها**»[(٢)] وهكذا كانت هالة بنت خويلد إذا دخلت على النبي ﷺ يسمع صوتها يقول:

«**اللهم هالة**»[(٣)] وكانت عائشة تغار شديدا من قوله من تعظيم النبي ﷺ لحق

---

(١) البخاري (٢٩٧٠)

(٢) حسن: أبو داود (٢٦٩٢) وأحمد (٢٦٤٠٥) والحاكم (٥٠٣٨) والطبراني في الكبير (١٠٥٠) وانظر صحيح أبي داود (٢٣٤١).

(٣) البخاري (٣٦١٠) ومسلم (٢٤٣٧).

خديجة وهذا فيه معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧] فهذه أيادي يكافؤها النبي ﷺ وهكذا فيما يتعلق بأبي بكر قال: «**ما نفعني مال أحد غير مال أبي بكر**»(١) وكان يثني ويطنب في مدح أبي بكر رضي الله تعالى عنه ولما تخاصم أبو بكر مع عمر يعني قال: «**هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ إن أبا بكر واساني حينما حرمتموني وصدقني إذ كذبتموني**»(٢) فكان النبي ﷺ يقدم مكافآت كثيرة لأبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه فالنبي ﷺ يقول:

«**من صنع إليكم معروفا فكافئوه**» كافئه إن كنت تستطيع بالمثل أو بأكثر من ذلك هذا ليس من باب الربا أن تكافئه بأكثر مما أعطاك لكن لو كان ملكا أو رئيسا أو رجلا أرفع منك منزلة بالأمور الدنيوية

فتكافؤه بالدعاء والاحترام والتقدير والدعاء بظهر الغيب أولى من أن يكون له يد عليك كافئه بها مباشرة فإذا لم تجد ما تكافؤه به فادع له كما قال النبي ﷺ: «**فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**» يعني حتى تعلموا أو يغلب على ظنك أنك قد كافأت هذا كافئه بالدعاء.

كيف إذا أنت أحسنت إلى لئيم أنت لا ترجو منه مكافأة لأنك إذا أكرمت الكريم ملكته وإذا أكرمت اللئيم تمردا فالناس على قسمين:

هناك كريم يعرف الفضل لأهله وهناك لئيم بمجرد قضاء حاجته ووطره منك قلب لك ظهر المجن قدم جماعة من رعل وذكوان فاستوحموا المدينة بمعنى أصيبوا

(١) صحيح: الترمذي (٣٦٦١) وأحمد (٧٤٣٩) وابن حبان (٦٨٥٨) وأبو يعلى (٤٤١٨) انظر حديث رقم: ٥٨٠٨ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٣٤٦١).



بالحمى والأوجاع فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح من إبل الصدقة يشربون من أبوالها وألبانها من أجل أن يصحوا فشربوا حتى صحوا فقتلوا الراعي واستاقوا الذود والحديث في البخاري فأرسل النبي ﷺ في طلبهم فجيء بهم فسملت أعينهم في حرة الشمس وطبق فيهم حد الحرابة ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

فتأملوا كيف كان مقابل هؤلاء الإحسان كيف قابلوا وكيف واجهوا الإحسان يعني اتق شر من أحسنت إليه أحسن إليهم النبي ﷺ ولكن والعياذ بالله

ومن صنع المعروف في غير أهله ... كعاصر الزيت في ذنب الكلب

أعوذ بالله فبدلا من أن لا عاد يكافئوه وإنما فقط لا يفسدوا وهكذا بعضهم أنت لا تنتظر منه مكافأة ولا ترد منه دعاء أيضا لأنه ليس أهلا لذلك لأنه لئيم عياذا بالله لكن يقلب لك ظهر المجن ويتنكر لك وربما يرميك بأبشع الألقاب والألفاظ **لماذا؟** لأنه لئيم

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

فليوطن الشخص نفسه أن يكون عمله لله ﷻ إن عملت فلله وإن شفعت فلله وإن أعطيت فلله وإن منعت لله الناس لا يرضيهم هذا لكن

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

فلو أن الشخص أرضى الله ﷻ على أنه لا يسلم من النقد وهذه سنة الله ﷻ في خلقه فقديما قالوا:

ما سلم الله من بريته ... ولا نبي الهدى فكيف أنا



وجاء في إثر إسرائيلي من باب: «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[(١)] أن ربنا سبحانه طلب من موسى أن يعطيه شيئا فقال: رب امنع كلام الناس عني فقال له: يا موسى ما اتخذت ذلك لنفسي.

فالأنبياء تكلم فيهم وفي أعراضهم وفريت أعراضهم فريا وهكذا الصحابة والصالحون والعلماء والمرشدون وأهل الخير والإحسان وأنت من أنت إذا تكلم فيك وفي عرضك فأنت ما تكلم فيك إلا لأنك مهم لو كنت غير مهم ما تكلموا فيك ما يتكلم الناس على من يخرج المزابل التي بعد الأبقار والأغنام يخرجها من الإصطبلات بالأكياس إلى المزارع أو الذي ينقل ماء أو أو إلى آخره.

أو الذي يشتغل في البيارات والمجاري لا يتكلم على هؤلاء لأنهم ليسوا بمهمين فإذا ما تكلم الناس عن رجل وكان خيرا فتلك سنة الله ﷻ في خلقه فإنهم يتكلمون على الكرام والنبي ﷺ يقول: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل وإنما يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء**»[(٢)] الحديث صححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة ورواه أبو داود والنسائي وإسناده كما تقدم لكم أنه صحيح ونسأل الله ﷻ أن يعيننا وإياكم على العمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) البخاري (٣٢٧٤).

(٢) صحيح: الحاكم (١٢٠) والطيالسي (٢١٥) والبيهقي في الشعب (٩٧٧٥) وانظر حديث رقم: ٩٩٢ في صحيح الجامع.



باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ» رواه أبو داود[1].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

قال: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**» رواه أبو داود.

هذا الحديث ضعيف لضعف معاذ بن سليمان بن قرب التميمي وهذا الرجل قد تكلم عليه غير واحد وضعف الحديث يحي بن سعيد القطان والألباني والأرناؤوط

(١) ضعيف: أبو داود (١٦٧١) انظر حديث رقم: ٦٣٥١ في ضعيف الجامع.



فالحديث ضعيف ولكن يغني عن هذا الحديث حديث أبي موسى عند الطبراني وغيره وحسنه العراقي كما في فيض القدير للمناوي أن رسول الله ﷺ قال:

«**ملعون ثلاثا من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا**» يعني ما لم يسأل فحشا.

وجاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال:

«**من سألكم بالله أو بوجه الله فأعطوه**»(١) رواه أحمد وحسنه الدوسري رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تحقيقه على كتاب التوحيد وهذان الحديثان يغنيان عن هذا الحديث الضعيف الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وهاهنا كلام للشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أحببت أن أقرأه كاملا حتى لا يفوتني منه شيئا لأن هناك ارتباط بأول الكلام وآخره فهذا هو الجزء الثالث من القول المفيد شرح كتاب التوحيد ص١٤٤ قال أبو عبد الله محمد بن صالح العثيمين:

اختلف في المراد بذلك على قولين يعني بقوله: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»:

القول الأول: أن المراد لا تسألوا من المخلوقين بوجه الله لا تسألوا أحدا من المخلوقين بوجه الله فإذا أردت أن تسأل أحدا من المخلوقين فلا تسأل بوجه الله لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة وذلك لعظم وجه الله ولعظم هذه المسألة والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة فإذن لا يسألون بوجه الله مطلقا ويظهر أن المؤلف يرى

(١) صحيح: أبو داود (٥١٠٨) والنسائي (٢٥٦٧) وأحمد (٥٣٦٥) وابن حبان (٣٤٠٨) انظر حديث رقم: ٦٠٢١ في صحيح الجامع.



هذا الرأي في شرح الحديث ولذلك أعقبه بقوله: باب لا يرد من سأل بالله هذا الباب الذي قد تقدم لنا.

القول الثاني: أنك إذا سألت الله فإن سألت الجنة وما يستلزم دخولها فلا حرج أن تسأله بوجه الله وإن سألت شيئا من أمور الدنيا فلا تسأله بوجه الله لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به الشيء من أمور الدنيا فأمور الآخرة تسأل بوجه الله كقولك مثلا: أسألك بوجهك أن تنجيني من النار والنبي ﷺ استعاذ بوجه الله لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥] فقال: «**أعوذ بوجهك قال**: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ **قال: أعوذ بوجهك قال**: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ **قال: هذا أهون أو هذا أيسر**»[١] عن جابر في البخاري ولو قيل: إنه يشمل المعنيين جميعا قال: لكان له وجه أن لا تسأل أحدا من المخلوقين وأنك إذا سألت بوجه الله من الله لا تسأله إلا الجنة فلا يصرف إلى غير الجنة.

وقوله: بوجه الله قال: فيه إثبات الوجه لله ﷻ وهو ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف ففي القرآن قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد:٢٢] والآيات كثيرة.

والسنة كما جاء في الحديث السابق: «**أعوذ بوجهك**» وكذلك أيضا حديث أبي موسى في صحيح مسلم قال: قام النبي ﷺ فينا بخمس كلمات فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده القسط يخفضه ويرفعه حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر أحد من خلقه**»[٢].

---

(١) البخاري (٤٣٥٢).

(٢) مسلم (١٧٩) وابن ماجة (١٩٥) (١٩٦) وابن حبان (٢٦٦) ومسند أبي يعلى (٧٢٦٢).

قال: واختلفوا في هذا الوجه الذي أضافه الله إلى نفسه هل هو وجه حقيقي أم وجه يعبر عن الذات وليس لله وجه بل له ذات أو أنه يعبر به عن الشيء الذي يراد به وجهه وليس هو الوجه الحقيقي أو أنه يعبر به عن الجهة أو أنه يعبر به عن الثواب فيه خلاف لكن هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فقالوا: إنه وجه حقيقي وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة من زمن الرسول والصحابة إلى يومنا هذا أن الله تعالى قال:

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ولما أراد غير ذاته قال:

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] فذي صفة لرب وليست صفة لاسم وذو صفة لوجه وليست صفة لرب فإذا كان الوجه موصوفا بالجلال والإكرام فلا يمكن أن يراد به الثواب أو الجهة أو الذات وحدها لأن الوجه غير الذات.

قال أهل التعطيل الجهمية وما شابهها: إن الوجه عبارة عن الذات أو الجهة أو الثواب قالوا: لو أثبتنا لله وجها حقيقيا للزم أن يكون جسما والأجسام متماثلة ويلزم من ذلك إثبات المثل لله عَزَّ وَجَلَّ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وإثبات المثل تكذيب للقرآن وأنتم يا أهل السنة تقولون: أن من اعتقد أن لله مثيلا فيما يختص به فهو كافر فنقول لهم:

أولا: ما تعنون بالجسم الذي فررتم منه أتعنون به المركب من عظام وأعصاب ولحم ودم بحيث يفتقر كل جزء منه إلى الآخر إن أردتم ذلك فنحن نوافقكم أن الله ليس على هذا الوجه ولا يمكن أن يكون كذلك وإن أردتم بالجسم الذات الحقيقية المتصفة بصفات الكمال فلا محذور في ذلك والله تعالى وصف نفسه بأنه أحد صمد قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:



«الصمد الذي لا جوف له».

ثانيا: قولكم: إن الأجسام متماثلة قضية من أكذب القضايا فهل جسم الدب مثل جسم النملة فبينهما تباين عظيم في الحجم والرقة واللين وغير ذلك.

فإذا بطلت هذه الحجة بطلت النتيجة وهي استلزام مماثلة الله لخلقه ونحن نشاهد البشر لا يتفقون في الوجوه فلا تجد اثنين متماثلين من كل وجه ولو كانا توأمين بل قالوا: إن عروق الرجل واليد غير متماثلة من شخص لآخر ويلاحظ أن التعبير بنفي المماثلة أولى من التعبير بنفي المشابهة لأن اللفظ الذي جاء به القرآن ولأنه ما من شيئان موجودان إلا ويشتبهان من وجه ويفترقان من وجه آخر فنفي مطلق المشابهة لا يصح وقد تقدم.

أما حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: **«إن الله خلق آدم على صورته»**(١) ووجه الله لا يماثل أوجه المخلوقين فيجاب عنه:

أولا: أنه لا يراد به صورة تماثل صورة الرب ﷻ بإجماع المسلمين والعقلاء لأن الله ﷻ وسع كرسيه السماوات والأرض والسماوات والأرض كلها للكرسي موضع القدمين كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة فما ظنك برب العالمين فلا أحد يحيط به وصفا ولا تخييلا ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعا وإنما يراد به أحد معنيين:

الأول: أن الله تعالى خلق آدم على صورة اختارها وجعلها أحسن صورة في الوجه وعلى هذا فلا ينبغي أن يقبح أو يضرب لأنه لما أضافه لنفسه اقتضى من الإكرام ما لا ينبغي معه أن يقبح أو يضرب.

---

(١) مسلم (٢٦١٢).

الثاني: أن الله خلق آدم على صورة الله ﷻ لا يلزم من ذلك المماثلة بدليل قوله ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أضوء كوكب في السماء**»(١) لا يلزم أن يكون على صورة نفس القمر لأن القمر أكبر من أهل الجنة وأهل الجنة يدخلونها طول أحدهم ستون ذراعا وعرضه سبعة أذرع كما في بعض الأحاديث.

قال بعض أهل العلم: على صورته أي على صورة آدم أي أن خلق آدم أول أمره على هذه الصورة وليس كبنيه يتدرج في الإنشاء نطفة ثم علقة ثم مضغة لكن الإمام أحمد رحمه الله أنكر هذا التأويل وقال: هذا تأويل الجهمية، ولأنه يفقد الحديث معناه وأيضا يعارضه اللفظ الآخر المفسر للضمير وهو بلفظ «**على صورة الرحمن**»(٢).

كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا يعني أخذه من غير تأويل ومن غير نظر فيما قاله غيره من أهل العلم لكن أيضا - بارك الله فيكم - لا نهمل بقية النصوص التي نطق بها ربنا ونطق بها نبينا ﷺ مثل:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] والفوارق - بارك الله فيكم - بين الخالق والمخلوق فهي حاصلة بين المخلوقات فما بالك بين الخالق وبين عباده الذين خلقهم فيكون - بارك الله فيكم - وإن قلنا بذلك فلا ينبغي لنا أن نقطع أو أن نعتقد المماثلة والمشابهة ولكن نقول: آمنا بما قاله نبينا ﷺ ولا يعدو ذلك بتأويل بتمثيل أو اختلاط أو تشبيه فنعوذ بالله مما قاله الممثلون.

---

(١) البخاري (٣٠٧٤) ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) ضعيف: الطبراني في الكبير (١٣٥٨٠) والحارث (٨٧٢) وانظر السلسلة الضعيفة (١١٧٦).



باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٦٨].

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

يقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في اللو

قوله: ما هاهنا موصولية وجاء فعل ماض بمعنى ما ورد ما ثبت من الآيات والأحاديث أو ما حكم الشرع في استخدام كلمة لو والألف واللام في قوله اللو زائدة وليست تعريفا لأن لو يسميه علماء النحو حرف امتناع لامتناع تقول: لو جاءني زيد أكرمته فالمجيء علة للإكرام وإذا امتنع المجيء امتنع الإكرام والعرب قد تزيد حرفا لا للتعريف وإنما تزيده تزيينا إضافة لغير علة كقول الناظم:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا ... شديدا بأعباء الخلافة كاهله

والألف واللام إنما هي تعرف الاسم كما قال ابن مالك في ألفيته:

بالجر والتنوين والندا وأل ... ومسند للاسم تمييز حصل



وقوله: ما جاء في اللو ترك الترجمة مفتوحة لم يقطع بشيء **هل استعمال كلمة لو حلال حرام منهي عنه ماذا؟**

ترد لو على ستة أوجه:

الوجه الأول: تستعمل للاعتراض على شرع الله وعلى قدر الله كقول ربنا ﷻ:

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] أو ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨] هذا فيه اعتراض على الشرع.

الذين قالوا المراد بالضمير هاهنا يعود الضمير هاهنا على المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨] وذلك أن المسلمين لما أقبلت جحافل الشرك والكبرياء والغطرسة من مكة يريدون الانتقام لما حصل لكبرائهم يوم بدر خيموا خارج المدينة في منطقة قريبة من جبل أحد فكان النبي ﷺ يهوى أن يبقى في المدينة فإذا ما أقبل هؤلاء تصدى الرجال للدفاع عن دينهم ووطنهم وساعدتهم النساء من على قمم البيوت وهكذا اختار بعض أصحاب النبي ﷺ هذا الاختيار وكذلك أيضا من المنافقين لا سيما زعيمهم عبد الله بن أبي المنافق الكبير كان يشتهي هذا الرأي فإذا ببعض الصحابة الذين لم يحضروا موقعة بدر كانوا يشتهون أن يناجزوا عدوهم ويلتقون بهم حتى يحكم الله ﷻ بينهم وبين عدوهم وذلك أنهم حرموا من وقعة بدر ومن الاستشهاد في سبيل الله فهم خرجوا أو أرادوا الخروج من أجل أن يكرمهم الله ﷻ إما بالنصر وإما بالشهادة فلما رأى النبي ﷺ الأقوال مضطربة دخل النبي ﷺ بيته وحينما دخل لبس لأمته أي آلة الحرب ثم خرج وقد ارتدى ملابس الحرب والجهاد فأراد بعضهم الرأي قال:



«ما كان لنبي أن يضع لامته بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»[(١)] فيخرج النبي ﷺ ويخرج معه أصحابه والمنافقون خرجوا فلما كانوا بمنتصف الطريق انخنس عبد الله بن أبي بقرابة ثلث الجيش وقال: **على ما يقاتل هؤلاء؟** لا ندري على ماذا يقاتلون فلما حصل في نهاية المعركة من التربية والتأديب لأصحاب النبي ﷺ فيما كان معناه عند المشركين نصرا لهم وليس نصرا فهو هزيمة للمشركين في أحد ولكنه درس تربوي لأصحاب النبي ﷺ حينما قال لهم النبي قال للذين على قمة الجبل:

«إن رأيتمونا انتصرنا أو انهزمنا فلا تبرحوا عن أماكنكم»[(٢)] فاجتهد واحد وأربعون نفرا وقالوا: ننزل فنزلوا فيأتي الكفار من خلفهم فيحدقون بالصحابة فيموت من أصحاب النبي ﷺ قرابة السبعين منهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله يقتله وحشي الحبشي وهكذا حصلت معركة حامية الوطيس يوم شديد على النبي وعلى أصحاب النبي محمد ﷺ **فما الذي حصل؟**

قال عبد الله بن أبي وأصحابه في نهاية الأمر: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران:١٦٨] لو أطاعنا هؤلاء الصحابة ما قتلوا هذا فيه اعتراض على شرع الله.

رسول الله ﷺ يخرج وابن أبي يريد الطاعة من رسول الله ﷺ أعوذ بالله بل إنه قد قال لأصحابه في بداية الأمر قال: يطيع غيري ويعصيني فكان والعياذ بالله يتربص بالمسلمين الدوائر فاستعمال لو هاهنا محرم وفيما شابهها حرم الله الزنى تقول: لو كان يباح بعضه حرم الله الخمر تقول: أوجب الله صلاة الفجر عند طلوع الفجر

(١) صحيح: سنن البيهقي الكبرى (١٣٠٦١) وانظر تحقيق فقه السيرة للألباني صفحة ٢٥٠.

(٢) الآحاد والمثاني (٢٠٠٩).



الصادق فتقول: لو تأخرت قليلا حتى ينام الناس هذا اعتراض على الشرع فاستخدام لو هاهنا محرم ولا يجوز.

الصورة الثانية: أن تستعمل لو للاعتراض على القدر ويستدل لهذا بقوله ﷻ حاكيا عن المنافقين أيضا: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] يعني في أحد فرد الله ﷻ عليهم قال سبحانه: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨] وهذا جواب مفحم وملزم أنتم سواء خرجتم أو بقيتم لما حصل لكم إلا ما كتبه الله

وكـــل شـــيء بالقضـــاء والقـــدر   وكـــل مقـــدور فمـــا منـــه مفـــر

ليس منه مفر ما قضاه الله ﷻ فلا بد أن يكون كان شخص في بيته قال: أريد أن أخرج للنزهة إلى الحديقة أو إلى البر كذا فحصل له حادث أو لبعض أولاده فلا ينبغي أن يقول: لو كنت ما خرجت كنت نجيت كنت سلمت ما حصل لي هذا، غامرت في مشروع تجاري خسرت تقول: والله لو ما دخلت كنت كذا أو فلان قال لك كذا فاستجبت وأنت بسمعك وبصرك واختيارك فترجع تقول: أنت السبب لا إنه قضاء الله وقدره

دع المقـــادير تجـــري في أعنتهـــا   ولا تبيـــتن إلا خـــالي البـــال

والعبد يستريح حينما يفوض أمره لله الواحد القهار وإذا هو لم يفوض ربما يصاب بالهموم والأحزان والوساويس وربما بالجنون ربما بالنوبة القلبية بجلطة بكثير من الأمراض الناجمة من عدم تفويض الأمر لله ﷻ فاستعمال لو محرم وكما سيأتي في الحديث: «**ولا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

والعوام يقولون: لو كان ما تفتح دكان.



استخدامها للاعتراض على القدر محرم استعمالها للاعتراض على الشرع محرم.

الصورة الثالثة: تستخدم لو للندم والتحسر وهذا أيضا لا يجوز ودليل هذه النقطة الثالثة قول النبي ﷺ: «**فلا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان**» لو فعلت كذا كان كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان استخدامها محرم.

رابعا: تستعمل للاحتجاج بالقدر على المعصية **ليش سرقت يا فلان؟**

قضاء الله وقدره **ليش زنيت؟** قال: قدر الله علي **ليش تسمع الأغاني؟** قال: قضاء وقدر **ليش تأخذ حقوق الناس؟** قضاء وقدر يقول هذا وهو متلطخ بالذنب وعنده إصرار الله ﷻ يقول عن هؤلاء حكى الله عن المشركين أنهم قالوا:

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] وهكذا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف:٢٠] أما أنك تحتج بالقدر بعد أن تنزع عن المعصية وتتوب إلى الله فلا بأس كما «**احتج آدم على ابنه موسى لما قال له موسى: أنت أبونا أخرجتنا من الجنة أشقيتنا ونفسك قال: يا موسى تلومني على شيء قدره الله علي قبل أن يخلق السماوات والأرض بأربعين ألف عام**» قال النبي ﷺ: «**فحج آدم موسى**»[١] غلبه بالحجة فلا بأس حينئذ من الاحتجاج بالقدر وهكذا لما قال فرعون لموسى:

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ١٩ - ٢٠] على أن فرعون أبو الفعائل ولكن تأمل إلى الرد قال: فعلتها ولكن كنت في حال ضلال وليس معنى هذا أنه كان تائها ضائعا ضالا لا وإنما كان يجهل مثل هذه الأحكام كما قال الله ﷻ عن نبينا ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا

(١) البخاري (٦٢٤٠) ومسلم (٢٦٥٢).



فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٦، ٧] أي عن معرفة الشرع.

وهكذا أيضا تستعمل للتمني هذه **المرحلة الخامسة** في لو للتمني وهي على حسب أمنية الشخص إن كانت أمنيته خيرا فخير وإن كانت أمنيته شرا فشر لما جاء في مسند أحمد من حديث أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه وأرضاه لما قال النبي ﷺ:

«**وإنما الدنيا لأربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فسلط علمه على ماله فأنفقه في الخير ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيرى صاحب المال يستخدمه فيما أحب الله فيقول: لو أن لي مالا لأكونن مثل فلان قال رسول الله ﷺ: هما في الأجر سواء**»(١) هذا استخدم كلمة لو في الخير لو عندي خمسة ألف مثلا لأعتقت رقبة لأطعمت الفقراء والمساكين لعمرت مسجدا لوكان لي من المال لأنفقت لفعلت أماني خير «**وأما الثالث أعطي المال ولم يعط العلم فما ترك من سبيل شر إلا أنفق فيه أما الرابع فلم يعط شيئا فيرى صاحب المال ينفقه في الحرام يقول: لو أن لي مالا لأكون مثل فلان قال رسول الله ﷺ: هما في الوزر سواء**»(٢) فالحالة هذه على حسب المتمني على حسب ما تمنيت وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.

سادسا: تستعمل لو للخير المحض أخبار محضة خبرة واستدلوا لهذا ما جاء في الصحيحين من حديث جابر في حجة النبي ﷺ حجة الوداع حينما ساق الهدي وأصحابه بعضهم ساقوا الهدي وبعضهم لم يسوقوه فالذين لم يسوقوا الهدي أمرهم النبي ﷺ أن يتحللوا وأن يتمتعوا بالعمرة إلى الحج فقال النبي ﷺ: «**لو استقبلت من**

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٣٢٥) وأحمد (١٨٠٦٠) انظر حديث رقم: ٣٠٢٤ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٣٢٥) وأحمد (١٨٠٦٠) انظر حديث رقم: ٣٠٢٤ في صحيح الجامع.



أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة ولما سقت الهدي»[(١)] فهنا خبر محض أشبه ما تقول: لو عندي مال لأبني مسجدا لو عندي مال لذهبت للحج والعمرة أو صليت من التراويح أربعا وغيرك صلاها كلها فقلت: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لصليتها كلها فاتتك العمرة فاتك الحج فاتك حفظ القرآن فات كذا فأنت تستخدم لو للأمور المستقبلية الخيرة فلا شيء في ذلك.

فيقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ما جاء في اللو وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ [آل عمران:١٥٤] هؤلاء هم المنافقون يقول بعضهم لبعض: ما قتلنا والمراد بذلك ما قتل من أصحابنا قيل: من أصحابنا في النسب وقيل: في الدين لأن المنافقين أسلموا ظاهرا وقيل: يراد به هذا وهذا فهذا كما تقدم لكم أنه اعتراض على الشرع ولا يجوز أبدا وقوله سبحانه:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٦٨] أيضا الضمير يعود على المنافقين والمراد بإخوانهم الصحابة فقيل: أخوة الدين وقيل: أخوة النسب ولا بأس من احتمال الأمرين لأن المنافقين أسلموا ظاهرا ولم يسلموا باطنا فقيل عنهم: منافقون يظهرون الإسلام زندقة ومصلحة ويبطنون الكفر والزندقة ويظهرون الدين من أجل مصالحهم ومن أجل أن يندسوا في صفوف المسلمين

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران:١٦٨] هذا يقول بعضهم لبعض: لو أطاعنا هؤلاء ما حصل لهم ما حصل وقد حصل - بارك الله فيكم - رد من الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن هؤلاء قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨] فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

(١) مسلم (١٢١٨).

رد على هؤلاء كما تقدم وقد ذكر الحافظ ابن كثير كلاما طيبا حول هذه الآية قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٦٨] أي لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨] أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم ألا تموتوا والموت لابد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه يعني أنه هو الذي قال ذلك.

قال: وأخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل يسقط سيفي وآخذه ويسقط وآخذه قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية إنما هم أهل ريب وشك بالله جَلَّ وَعَلَا.

هنا يصور الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما كان من هؤلاء قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران:١٥٣] وهذا في غزوة أحد تصعدون تطلعون على الجبل والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناديهم الرجوع قال سبحانه: ﴿۞إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٣] آخر المعركة ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٣] هذا أرسله الله أرسل النعاس على هؤلاء طمأنينة

﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣، ١٥٤] هؤلاء المنافقون يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ



يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٤]

مـن لـم يمـت بالسـيف مـات بغيـره تعــددت الأسـباب والمـوت واحـد

يعني لو ما خرج هؤلاء الذين قتلوا في أحد لو ما خرجوا لجاءهم الموت إلى مضاجعهم كما حصل في قصة الرجل الذي أراد أن يسافر في رحلة جوية فخافت عليه أمه وأخبأت جواز السفر خبأته ثم بعد ذلك يدخل غرفة فيحتجز نفسه فيها ثم تأتي الأخبار أن الطائرة التي أقلعت في الساعة الفلانية متجهة للبلاد الفلانية تفجرت في الأجواء فذهبت تريد أن تبشر ابنها حتى يذهب عنه الحزن ويرضى عنها فدقت باب الغرفة فما فتح لها ابنها فتحاملوا على الباب وكسروه فوجدوا الابن ميتا هو كان سيموت مع الذين ماتوا فوق في الفضاء ولكن أراد الله ﷻ أن يميته في البيت في تلك اللحظات التي حصل فيها تفجير الطائرة في الفضاء لا بد الشخص أن يكون عنده هذه العقيدة في قلبه قال: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٥٤- ١٦٠] ثم بعد ذلك يذكر الله ﷻ فيما حصل في نهاية المعركة قال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران:١٦٥] يعني في أحد ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] هذا عتاب للرماة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥- ١٦٧]

هذا عبد الله بن أبي قال لهم: ارجعوا إيش معهم هؤلاء ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٧] قال سبحانه: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٧- ١٦٨] ثم أثنى الله ﷻ على السبعين الذين قتلوا تسلية للنبي ﷺ والصحابة الذين أصيبوا بإخوانهم وأبنائهم وآبائهم وكذلك تسلية لنفوسهم لنسائهم قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧١] ثم ذكر الله ﷻ أعاد الكلام إلى ما حصل بعد انتهاء المعركة وهو وصول الصحابة إلى المدينة ثم جاءهم الندب للخروج مرة أخرى إلى حمراء الأسد لأن أبا سفيان وأصحابه أبو سفيان قبل أن يسلم كان يقول: لا بد من الرجوع حتى نستأصل شأفة المسلمين قال سبحانه:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ﴾ [آل عمران:١٧٢] والمراد بالقرح القتل الجروح الآلام ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا



وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤] وذلك أن أصحاب قريش رجعوا خافوا لما يعني قال لهم ذلك الرجل لقد خرج محمد بجيش لا قوام لكم به ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤- ١٧٦] عمت المشركين وكذلك أيضا المنافقين ثم قال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧- ١٧٨] ثم بين حقيقة المنافقين قال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران:١٧٩] وهذا من فوائد غزوة أحد كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٩] ثم أثنى الله ﷻ على الذين ساهموا في هذا الخروج قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٠] وذلك أن بعضهم سخى وقدم وبعضهم شح وبخل فالله المستعان فهذا تصوير قرآني بديع لما حصل في العام الثالث من هجرة المصطفى ﷺ في غزوة أحد تلك الغزوة العظيمة التي ابتلى الله ﷻ فيه أولياءه ابتلاء حسنا حتى قالت عائشة: يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد - يوم تأريخي لا ينسى - فقال لها النبي ﷺ: «**نعم**» تتعجب عائشة **ويش اليوم**

الذي جاء أشد من يوم أحد؟ فقال لها: «**يوم أن عرضت نفسي على بني عبد يا ليل**»[(١)] وذلك هذا في العهد المكي خرج النبي ﷺ من مكة إلى الطائف يعرض نفسه على بني عبد يا ليل قبيلة هذه من أجل أن يسلموا فاستقبلوه بالعكس سلطوا سفهاءهم وأطفالهم فرموا النبي ﷺ بالحجارة وأخرجوه مطرودا من الطائف استفاد العلماء من هذا أن الآلام النفسية أشد من الآلام البدنية فالنبي ﷺ أوذي أذى بدني وأذى حسي فكان الأول هو أشد والله المستعان.



في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بالله، وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شيءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطَانِ»[(٢)].



ثم قال الشيخ: وفي الصحيح والمراد بذلك صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن**».

قوله: احرص هذا أمر من النبي ﷺ وأمره ﷺ عام لنا جميعا أن تحرص على ما ينفعك دنيا ودين وآخرة والحرص المبالغة في طلب الشيء والمعنى أنك تبذل وسعك في تحصيله فإن حصل ما لم يكن لك بحسبان ففوض أمرك إلى الله ولكن أنت احرص قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**» مع حرصك وبذلك الوسع

---

(١) مسلم (١٧٩٥).

(٢) مسلم (٢٦٦٤).



في ذلك استعن بالله اطلب الإعانة من الله ﷻ إذا استعنت فاستعن بالله وفي الآية:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال: «**ولا تعجزن**» بفتح الزاي وهذا لا ناهية وتعجز فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة ولا تعجزن والعجز معناه الكسل والإهمال وعدم المبالاة وليس معناه لا تعجزن أن المراد بذلك العجز البدني العجز البدني ليس بمقدورك فالشخص لا يلام إذا لم يستطع أن يحمل كيس من البر أو كيس من الأسمنت لا يستطيع ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ولكنه يلام حينما يعجز عجز قلبي يعني كما يقال: المرعى أخضر ولكن العنز مريضة يعني موجود الخير وكذا ولكن عنده والعياذ بالله من الكسل ما لو وزع على قرية لصاروا كلهم كسالى لو وزع كسل هذا على هؤلاء الذين في القرية لصار كل واحد عنده من الكسل ما يكفيه ولقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الكسل إذا أصبح وإذا أمسى كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود وهكذا «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل**»(١) فإذا الشخص فرط في أمر كان من السهل أن يقوم به ثم بعد ذلك أهمله فهنا والله المستعان خالف أمر النبي ﷺ حينما قال: «**ولا تعجزن**» قال:

«**وإن أصابك شيء**» وشيء هنا نكرة أي شيء أي شيء من الآفات يعني شيء مما تكرهه وقد بذلت الجهد في وسعك فيما يعود عليك بالنفع واستعنت بالله ﷻ قال:

«**فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا**».

---

(١) البخاري (٢٧٣٦).



اشتريت سيارة ثم تعطلت قرحت احترقت حصل لها شيء تزوجت امرأة بمائتين ألف ماتت في اليوم الثاني اليوم روحتها عروسة بكرة ماتت فإيش هي روحت والحمد لله صحيحة ولا فيها شيء تروح تشارع تقول لهم: ماتت المرأة خلاص قد الله وما شاء فعل.

قال: «**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا**» لو اتزوجت فلانة والله هذيك فلانة ما ماتت أنها كانت أحسن هنا ما يجوز وهكذا في أي شيء تعيد الأمر إلى الله ﷻ.

«**وإن أصابك شيء فلا تقل - لا نهي - لو أني فعلت كذا وكذا**» قال: «**ولكن قل قدر الله**» قضاء الله وقدره قل هذا قضاء الله وقدره قدر الله يعني هذا تقدير الله مقادير هذه مقادير الله

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

هذا علم الله خلقه كتابته مشيئته يحصل عندك الطمأنينة إي والله والله الذي لا يحلف إلا به تجد الطمأنينة أي شيء تبذل وسعك فيه الله ﷻ يعينك إذا استعنت به

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى — فما انقادت الآمال إلا لصابر

فإذا جاءك معترض فوض الأمر إلى الله ما شاء الله، يقال: أن الكسائي كان لا يفهم النحو الكسائي قيل: ما كان يفهم من النحو شيئا فنام مرة تحت شجرة فرأى نملة موقرة بالطعام ويش سيكون طعام النملة حبة أو وكانت تتسلق على جذع الشجرة فكلما تسلقت سقطت المهم وهي تحاول تطلع وبعدين تسقط وبعدين تطلع



وبعدين تسقط حاولت محاولات شديدة الرجل يشاهد الموقف قيل: غلبته عيناه فنام فاستيقظ وإذا بالنملة قد حاولت وقد عشقت الدبل كما يقال وطلعت تعجب فقال: لأطلبن النحو فطلب النحو فصار إماما في النحو صار إمام.

وهكذا لو أردت تحفظ جزء من القرآن يأتى الشيطان ويقول: متى ستحفظ وكذا لكن لا تعجز احرص احفظ وراجع ويكون عندك حرص وتطبيق وصدق واستعن بالله استعن بالله ﷻ ما تدري بعد فترة إلا وقد حفظت القرآن كله

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى — فما انقادت الآمال إلا لصابر

بقدر الكد تكتسب المعالي — ومن طلب العلا سهر الليالي

ومن طلب العلو بغير كد — أضاع العمر في طلب المحال

تروم العز ثم تنام ليلا — يغاص البحر في طلب اللآلي

أما العاجز هو عاجز يريد تريد يا أخي تكون عالم تريد تكون سواق سيارة نعم اتعلم السواقة لا أشتي كذا أكون سواق تريد أولاد إي نعم والله أشتي عشرة أولاد ذكور وعشر إناث قال: والله تعب وكذا ما يشتيش يتزوج وهكذا قس على ذلك كله لا بد من الجد والاجتهاد والاستعانة بالله ﷻ أولا وآخرا هذا شرع الله ﷻ العلماء الكبار ما جاءتهم العلوم يعني هكذا فجأة وإنما يعني بالجد والاجتهاد

لا تحسبن المجد تمرا أنت آكله — لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال: «**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**» لو تفتح عمل الشيطان والشيطان يدخلك في مهاوي الردى والتفاكير وربما تسيء الظن بالله ﷻ ولا ينبغي لك أن تسيء الظن بالله وإنما سئ الظن بنفسك وبشيطانك

فلا تظنن بربك غير سوء ... فإن الله أولى بالجميل



فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول (لو) إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعاذة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.



قال: فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين من سورة آل عمران الأولى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] وقد بينا أن هذا فيه اعتراض على شرع الله حصل من قبل عبد الله بن أبي والثانية أيضا فيها الاعتراض على القدر: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٦٨] فرد الله عليهم:

﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨].

ثانيا: النهي الصريح عن قوله: لو، إذا أصابك شيء هنا تعتبر محرم لأنه اعتراض على القدر.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان فيدخل منه فربما تتنكر لصاحبك تسيء الظن بربك تحسن الظن بالشيطان ربما يعني تصاب بأمراض كثيرة جدا فالأولى أن تفوض أمرك إلى الله وهذا إرشاد من نبينا ﷺ والله ﷻ يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور:٥٤].

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن قل: قدر الله وما شاء فعل.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله وهنا تنبيه مهم جدا لا ينبغي للشخص أن تكون على لسانه في كل شيء **ليش ما عملتش كذا؟** قدر الله وما شاء فعل هو كسلان أصلا **ليش تأخرت عن كذا؟** قال: قدر الله وما شاء فعل **ليش صلحت كذا؟** قدر الله وما شاء فعل طيب **ليش ما تهمل نفسك؟** يعني اهمل حق الغير وقدر الله وما شاء فعل ولم يهمل حق نفسه حتى يقول: قدر الله وما شاء فعل لا هنا أنت عاجز كسلان لكن قل: قدر الله وما شاء فعل متى ما بذلت وحرصت وحاولت وتابعت وبعدين في النهاية قل قدر الله وما شاء فعل أما أنك نايم تحت الفراش وبعدين ليش ما صلحت هذه وليش ما فعلت كذا تأتي تحتج بالقدر قدر الله وما شاء فعل وهو صحيح قدر الله وما شاء فعل لكن هذا يسمى أيضا عجزا وكسلا.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز وهذا مرض - بارك الله فيكم - عضال نعوذ بالله منه أن يكون الشخص - بارك الله فيكم - عاجزا كسلان تائه بليد حائر إخوانه يحفظون ويتعلمون ويدعون إلى الله وعندهم من النشاط والحماس وهو - بارك الله فيكم - كسلان أو حتى بعد الفجر إخوانه يحفظون القرآن ويراجعون وهو تحت الفراش يغط غطيطا نوم نوم نوم وإخوانه يقرءون

وا حسرتاه تقضى العمر وانصرمت ... ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقـوم قـد أخـذوا درب النجـاة وقـد ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

شخص نزل تحت البطانية ما بين فخ وبخ وآخر يقرأ قرآن قل لهم تعالوا الساعة تسعة **إيش معك إيش حصتك؟** كل واحد يجيب تقرير الأول: راجعت نصف سورة وحفظت ورقة وصليت ركعتي الضحى جلست في المسجد جبت الأذكار أنت طلع التقرير ويش يكتب بالتقرير يكتب نوم استلمنا التقرير الساعة تسعة نوم نوم الله المستعان.

يوم الأول تقريره ما شاء الله أبيض والثاني: تقريره نوم الأول تقريره آيات وأحاديث ونشاط وأذكار وصلاة ضحى وما شاء الله يستقبل يومه بالخير لأنه يكون أول اليوم كالشباب وآخره كالشيبوت شوف ابن التسعين كيف تجده كيف تجد قد تغير وجهه وحالته كذا هذا ابن تسعين هذا آخر اليوم وقت المغرب مثلا والشباب تجدهم ما شاء الله مفتول العضلات وصبيح الوجه ما شاء الله فأول اليوم مثل الشباب وآخره مثل الشيبة فانتبه لنفسك ما استطعت إلى ذلك سبيلا عل الله ﷻ أن يكرمنا وإياك من فضله نسأل الله ﷻ أن يأخذ بأيدينا إلى كل خير وأن يجنبنا كل ضير ونعوذ بالله من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

باب النهي عن سب الريح

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فيقول المؤلف وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب النهي عن سب الريح

عقد المؤلف هذا الباب وهذه الترجمة في كتاب التوحيد والمراد بذلك أن الريح وجمعها الرياح لما كانت مخلوقة ومسخرة ومدبرة أيضا دبرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فسب المخلوق لها هو سب للخالق فكان المنع من هذا السب والشتم والعيب والقدح لأن هذا يفضي إلى نقص الإيمان وإلى ضعف التوحيد في قلب العبد ولم يبين المؤلف الحكم الشرعي فيمن سب هذه الرياح وهذه الترجمة شبيهة بترجمة أخرى مرت بنا وهي النهي عن سب الدهر وحكم سب الريح إن كان هذا الساب والشاتم لهذه الرياح بناء على أن هذه الرياح هي التي تجلب الخير والشر بنفسها فيكون هذا شركا أكبر مخرجا من الملة، أما إذا كان سبه لها لأنها محل الحوادث التي يكرهها وأن الله هو المدبر فهذه معصية ومحرم وعلى أية حال فلا بد من سد هذا الباب ومن الانقياد لشرع الله وقدره فشرع الله النهي وقدره هو الذي جاء بهذه الرياح قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ

ٱلْمَآءَ﴾ [الأعراف:٥٧] وهذه الرياح جند من جنود الله «**لا تسبوا الريح فإنها من روح الله**»[(١)] نصر الله ﷻ بها أولياءه ودمر الرحمن بها أعداءه قال النبي ﷺ: «**نصرت بالصبا**»[(٢)] وهي الريح الشمالية هذه الرياح ذكرها الشيخ العثيمين قال:

قوله: الريح هو الهواء الذي يصرفه الله ﷻ وجمعه رياح وأصولها أربعة الشمال والجنوب والشرق والغرب وما بينهما يسمى النكباء لأنها ناكبة عن الاستقامة في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب وتصريفها من آيات الله ﷻ فأحيانا تكون شديدة تقلع الأشجار وتهدم البيوت وتدفن الزروع ويحصل معها فيضانات عظيمة وأحيانا تكون هادئة وأحيانا تكون باردة وأحيانا تكون حارة وأحيانا تكون عالية وأحيانا تكون نازلة كل هذا بقضاء الله وقدره ولو أن الخلق كلهم اجتمعوا على أن يصرفوا الريح عن جهتها التي جعلها الله عليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ولو اجتمعت جميع المكائن العالمية النفاثة لتوجد هذه الريح الشديدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ولكن الله ﷻ بقدرته يصرفها كيف يشاء وعلى ما يريد **فهل يحق للمسلم أن يسب هذه الريح؟** الجواب لا لأن هذه الريح مسخرة مدبره كما أن الشمس أحيانا تضر بإحراقها بعض الأشجار ومع ذلك لا يجوز لأحد أن يسبها فكذلك الريح ولهذا قال: «**لا تسبوا الريح**» فالريح وغيرها دلالة على عظمة الله وعلى وجوده

وفي كـــل شـــيء لـــه آيـــة ... تـــدل علـــى أنـــه واحـــد

فيـا عجبـا كيـف يعصـى الإلـه؟ ... أم كيـــف يجحـــده الجاحـــد؟

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٣٧٢٧) وأحمد (٢١١٧٧) وابن أبي شيبة (٢٦٣١١) انظر حديث رقم: ٧٣١٦ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٩٨٨) ومسلم (٩٠٠).

وقوله: باب النهي قد تقدم لنا التفصيل إن كان المراد بذلك أن الساب لها يعتقد أنها هي المدبرة هذا كفر شرك أكبر مخرج من الملة وإذا كان يعتقد أن ذلك بتقدير من الله وأنها محط الحوادث والكوارث فيكون عاص ولا يجوز له السب لا في الأولى ولا في الأخرى ولكن المرحلة الأولى أشد وأخطر من الثانية.

قوله: عن سب السب هو الشتم والعيب والقدح قال النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق**»(١) والريح جمعها رياح.



عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شر هَذِهِ الرِّيحِ وَشر مَا فِيهَا وَشر مَا أُمِرَتْ بِهِ» صححه الترمذي(٢).



قال: عن أبي بن كعب، وأبي بن كعب هو أبو المنذر هذه كنيتة وهو خزرجي أنصاري وكان مشهورا بجودة القراءة فقد جمع عمر بن الخطاب الناس في صلاة التراويح على قراءته ولقيه النبي ﷺ مرة قال: «**يا أبي أي أية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: قلت:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ

---

(١) البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٢٥٢) وأحمد (٢١١٧٦) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٩) انظر حديث رقم: ٧٣١٥ في صحيح الجامع.

ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] **قال: فضرب على صدري وقال: ليهنك العلم أبا المنذر**»(١) والنبي ﷺ يقول: «**خذوا القرآن عن أربعة ومنهم أبي بن كعب**»(٢) صحابي جليل يروي هذا الصحابي أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا**» لا هاهنا ناهية جزم الفعل المضارع بعدها وعلامة الجزم حذف النون لا تسبوا وقد تقدم لكم أن السب بمعنى الشتم والعيب قال: «**لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح**» في هذا إثبات على أن هذه الريح فيها خير فاسأل الله من خيره وقد كان النبي ﷺ إذا وجد الريح تقول عائشة: دخل وخرج وتغير لونه تقول له عائشة: الناس إذا رأوا الريح استبشروا قال: «**وما يدريني لعلها تكون كما قال** ﷻ:

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤-٢٥]»(٣) فهذه كانت عذاب أيضا وانتقام يرسله الله ﷻ لمن شاء من خلقه كأمة عاد الذين كان رسولهم هود عليه السلام قال سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢] وقال سبحانه: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧] دمرتهم وبهذلتهم فهي جندي من جنود الله والآن في كثير من العالم الغربي وغيره يصابون بمثل هذه الرياح والفيضانات فيفسرون ذلك بأنه براكين زلازل طبيعية براكين طبيعية لا والله إنما هو انتقام سماوي من الله ﷻ ولكن هكذا يفسرون بتفاسير مادية والله المستعان.

---

(١) مسلم (٨١٠).

(٢) البخاري (٣٥٩٧) ومسلم (٢٤٦٤).

(٣) البخاري (٣٠٣٤) ومسلم (٨٩٩).

قال «**فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح**» لأنه لا قدرة لهم بدفعها «**وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**» فالواجب على العبد هو هذا ولا يعترض كثير من المسلمين اليوم ربما إذا وجد الريح وكانت شديدة يعني قعقعت عليه الأبواب والنوافذ وأخذت عليه بعض الزروع أو بعض الملابس أو حتى أخذت عمامته من على رأسه ربما يسب لهذه الرياح هذا أمر لا يجوز الاعتراض عليه لأنه أمر الله ﷻ وإيمانك بهذا هو إيمان بالله ﷻ لأن الذي أرسلها هو ﷻ ولو تأملت في هذه الريح أنت لا تراها هو جندي خفي تجده على جسدك لكنك لا تشاهده فهذا أيضا من الإيمان بالغيب الذي هو أبلغ من هذا كالجنة والنار والملائكة والجن أنت تسلم بالرياح على أنها موجودة على أنك لا تراها هناك أيضا مخلوقات أنت لا تراها وجب عليك أن تؤمن بها فقد قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣] فمن إيمانك بالغيب أن تؤمن بما قاله الله وبما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: صححه الترمذي، الحديث ذكره الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع ويقول: هو صحيح بشواهده وغيره كذلك كالدوسري في تحقيقه على هذا الكتاب كتاب التوحيد يصححه.



فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.



ثم قال المؤلف: فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح وقد تقدم التفصيل في ذلك.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى إنسان ما يكره إذا رأيت ما تكره استعذ بالله من شره وهذا يحصل كثيرا في بعض الأحيان تقدم السفرة وتضع عليها الطعام تأتي الرياح وعندك ضيوف تأتي الرياح تأخذ السفرة وتكفأ عليك الآنية وفيها الطعام والشراب وعندك ضيوف **إيش مصيرك في مثل هذا؟** الصبر والتسليم سلم أمرك لله لا تعترض على الشرع ولا تعترض على القدر.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة **من الذي أمرها؟** هو الله سبحانه وتعالى الله أراد هذا الحمد لله إذا كان الله يريد هذا فالحمد لله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] ويقول سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨].

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر وأنت إنسان ضعيف لا تدري ما الذي يصير في معركة تبوك قال: والحديث في صحيح مسلم قال النبي ﷺ لأصحابه:

«**ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا ينظرن إليها أحد منكم**» فالتزم العسكر كله معسكر النبي ﷺ التزم كله إلا واحدا قال: لأنظرن ما الله صانع فلما جاءت الرياح



رفع رداءه لينظرها فأخذته وألقته في جبل من جبال اليمن[١] قالوا: جبل من جبال طيء في بلاد اليمن عقوبة حينما اعترض على أمر الرسول ﷺ أخذته الرياح والله المستعان لو التزم أمر النبي ﷺ ما حصل له شيء من ذلك ولكن هكذا بسبب المخالفة نسأل الله السلامة والعافية فلا ينبغي الرد وكذلك لا ينبغي الاعتراض فإن الذي قال هذا هو رسول الله ورسول الله مبلغ عن ربه ﷻ وهذا الذي في السماء وفي الأرض من العوالم هذه ما من شيء إلا لله ﷻ حكمة قد تعرف أنت هذه الحكمة وقد لا تعرفها فإن أدركتها وعرفتها فاحمد الله وإن لم تعرفها قل: هناك حكمة لكنني أنا لا أعرفها فالعلم تكله إلى عالمه وهو الله ﷻ وفقني الله وإياكم إلى ما يحببه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري (١٤١١) ومسلم (١٣٩٢).

باب قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤] **الآية**

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

باب قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤]

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن سوء الظن بالله سبحانه وتعالى ينافي التوحيد بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وأسماء وصفات فحكى الله سبحانه وتعالى عن قوم أظهروا الإسلام بأفواههم ولم تسلم قلوبهم ولم تخضع لبارئها وفاطرها سبحانه وتعالى هؤلاء هم المنافقون وصور الله سبحانه وتعالى شيئا من سوء طويتهم ومن خبث سرائرهم في معركة كبرى من معارك



المسلمين العظيمة وهي غزوة أحد وذلك أن النبي ﷺ كان بداية أمره يرغب أن يبقى في المدينة من أجل أن يحكم الله بينه وبين عدوه لكن كثيرا من الصحابة حثوا وطلبوا من النبي ﷺ الخروج كي يكرمهم الله ﷻ بالشهادة في سبيل الله ولا يهمهم أهم ما يتمنونه أن يقتلوا في سبيل الله سواء كان خارج الديار أو داخلها لكن شاء الله ﷻ مشيئة كونية قدرية ربانية أزلية أن يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الغر الكرام الميامين خرجوا من المدينة إلى القرب من جبل أحد وكان عبد الله بن أبي رأس المنافقين يرغب في القتال أو في البقاء في المدينة وهم الجبناء الخونة الغشاشون لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن هكذا يتربصون ويتصيدون العثرات يصطادون هذه العثرات عياذا بالله فلما خرج الرسول متيمما ذلك المكان يقول ابن أبي: هذا محمد يطيع الشبان والصغار ويعصيني أنا فما كان منه إلا أن ينخنس بثلث الجيش ويقول: **لا ندري إيش مع هؤلاء وعلى ماذا نقاتل؟**

ولم يعلموا أنه عصيان لله ولرسول الله وخذلان للمسلمين فهذا - بارك الله فيكم - هو الظن السيء الظن السيء الذي ظنوه بالله وبرسول الله وبدين الله ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤] فلا زالت الجاهلية بأوساخها وأدرانها وأنجاسها لا زالت قلوب هؤلاء متسخة بهذه الأوساخ والأدران فالله ﷻ حكى عن هؤلاء وما قالوه فعد ذلك من ظن الجاهلية قال سبحانه: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ [آل عمران:١٥٤] بمعنى **لماذا لا يكون لنا رأي ولا يكون لنا مشورة ولماذا لا يأخذ برأينا؟** فكان الرد من قبل الله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤] قال الله ﷻ مبينا حقيقتهم: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] لو أنك يا محمد وأنتم يا أيها الصحابة استمعتم الكلام وأطعتم الرأي

ونظرتم إلى ما عندنا من الصواب ومن السداد ما حصل لنا هذا القتال فتأمل الآن إلى الرد العظيم من الله ﷻ قال:

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] لو أنكم لم تخرجوا إلى موقعة أحد لن يحصل لكم إلا ما كتبه الله ﷻ من القتل عليكم أو على من قتلوا في ذلك المكان لأن الكتابة ركن من أركان القدر الذي قضاه الله ﷻ فإن القدر له أربعة أركان:

العلم والكتابة والمشيئة والخلق.

والكتابة على قسمين:

كتابة شرعية: وهذه قد تقع وقد لا تقع كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]

وكقوله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] هذه كتابة شرعية.

وهناك كتابة كونية واجبة الوقوع كقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة:٢١]﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] آيات كثيرة في هذا الباب فالله ﷻ يقول: يا محمد قل لابن أبي وأصحابه وأمثاله إلى قيام الساعة ولمن حملوا الأوساخ القذرة من النوايا والطوايا والظنون السيئة بالله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] يعني هو قضاؤنا وأمرنا هو قضاؤنا وقدرنا وهو أمرنا بين الكاف والنون لا يستطيع أحد أن يقدمه ولا يستطيع أحد أن يؤخره

وكل شيء بالقضاء والقدر   وكل مقدور فما منه مفر



وقال آخر:

إن الأمـور التـي في اللـوح قـد كتبـت إن أتتــك يــا فتــى وإلا فتأتيهــا

بمعنى اعلموا أنما حصل لكم من القتل والتدمير والإصابات الدامية في غزوة أحد شيء كتبه الله سواء خرجتم أو جلستم هو أمر الله ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨] ثم سلى الله ﷻ أهل الإيمان قال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤] حصل في هذا تمحيص وتصفية حتى يتبين أهل القلوب الصافية من أهل القلوب المريضة فإنه من أعظم الحكم والمنافع التي حصلت للمسلمين في غزوة أحد علموا أن هناك عدوا في صفهم ألا وهم المنافقون الذين همهم المال والغنيمة والدنيا

يــدور مــع الزجاجــة حيــث دارت ويلـــبس للسياســـة كـــل لـــبس

فعنــد المســلمين يعــد مــنهم ويأخــذ ســهمه مــن كــل خمــس

وعنــد الملحــدين يعــد مــنهم وعــن مــاركس يأخــذ كــل درس

وعنــد الإنجليــز يعــد مــنهم وفي بـــاريس محســـوب فرنســـي

هذا يتقلب ويتلون على حسب التشكيلات والتلونات وهو الحية الرقطاء عياذا بالله وتسمع منه كلاما معسولا ولكن يحمل الخبث الدفين في قلبه والعياذ بالله كما قيل:

إن الأفــاعي وإن لانــت ملامســها عنــد التقلــب في أنيابهــا العطــب

والظن في لسان الفقهاء بمعنى الاحتمال الراجح إذا قالوا المسألة ظنية احتمال راجح وقد يطلق الظن ويراد به اليقين كما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦] فالمراد بذلك الظن اليقين.

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ **الآية** [الفتح:٦].



وقوله سبحانه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ [الفتح:٦] وهؤلاء هم الآن المنافقون ويدخل في ذلك أيضا المشركون.



قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل وأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ وأن يظهره على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح بهذا وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيًا

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بإن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.



ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن ابن القيم قال: قال ابن القيم وهو محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي الدمشقي أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية الكبار وهو مؤلف زاد المعاد وشفاء العليل وطريق الهجرتين والرسالة التبوكية ومؤلف أيضا الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي وكتاب الفوائد وبدائع الفوائد وله رسائل كثيرة نفع الله به الإسلام والمسلمين لا سيما في باب العقيدة والتوحيد هذا هو ابن القيم ويكنى بأبي عبد الله وهو غير ابن الجوزي فابن الجوزي متقدم وابن الجوزي صاحب كتاب زاد المسير ويكنى بأبي الفرج ويسمى عبد الرحمن وهو بغدادي وهذا إنما هو دمشقي فيفرق بينهما من حيث الكنية ومن حيث اللقب أيضا فهذا شمس الدين وذاك جمال الدين ومن حيث النسبة هذا دمشقي وذاك بغدادي ومن حيث السن هذا متأخر وذاك متقدم ومن حيث الاعتقاد كان هذا على مذهب أهل السنة والجماعة وذاك على مذهب أهل السنة والجماعة ولكن عنده شيء من التمشعر دخل عليه والله يغفر لنا وله.

قال ابن القيم في الآية الأولى التي هي: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ [آل عمران:١٥٤] قال: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل هذا - بارك الله فيكم - ما كان من يقين في قلوب المنافقين هؤلاء الإسلام سيضرب مرجف مرجف عياذا بالله وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره الله على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح وإنما كان هذا ظن سوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وهذا حال كثير من المسلمين اليوم إلا من رحم الله ربما ينظرون إلى اللحى وإلى أهل الدين والصلاح يقول: خلاص ما في داعي احلقوا لحاكم الآن أمريكا الآن كذا وكأنه والعياذ بالله يعني أمريكا هي المتصرفة بالقضاء والقدر وهي بلدة من بلاد الله في أرض الله الواسعة يقول النبي ﷺ:

«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء»(١)

والأمر بيد الله ﷻ من قبل ومن بعد على أن أمريكا الآن تعاني ما تعانيه عساكرها وجنودها وأموالها مفرقة في جميع دول العالم وهكذا عندهم من الأعاصير ومن الفيضانات ما لايصرحون به هم لا يصرحون بذلك حتى لا يظهروا عجزهم أمام

(١) صحيح: الترمذي (٢٣٢٠) والحاكم (٧٨٤٧) والطبراني في الكبير (٥٨٤٠) انظر حديث رقم: ٥٢٩٢ في صحيح الجامع.



الدول وتأتيهم أيضا مساعدات من كثير من الدول ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله حينما ترك المسلمون دينهم سلط الله العدو فدب الذل والمهابة في قلوب المسلمين والنبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح يقول:

«**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل**»(١) ويقول النبي ﷺ: «**إذا اشتغلتم بالزرع وأخذتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٢) فهذا الذل الحاصل هو نحن سببه سببه نحن حينما ركنا إلى الدنيا ونظرنا إلى الكفار بعين الإعظام والإجلال وربما بعضهم عياذا بالله يقول: الإسلام ربما أيضا من هذا الباب ومن هذا الركن ومن هذه الزاوية يدخل عليك يقول: تدعون إلى كذا الآن الأمر كذا تطور صحيح لكن ليس معنى هذا أن الإسلام قد انتهى مفعوله وقد انتهى أمره الإسلام لا زال في قوته وإن حصل شيء من الإدالة إدالة الباطل على الحق في بعض الأحيان فإنما هو ابتلاء واختبار وتلك سنة الله في خلقه قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢- ٣] فهو ابتلاء واختبار للمؤمنين فلا ينبغي للمسلم أن يضعف بدينه أو يجبن برأيه الرأي المأخوذ من كتاب ربه أو من سنة نبيه ﷺ على فهم السلف الصالح

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٢٩٧) وأحمد (٢٢٤٥٠) والطيالسي (٩٩٢) والبيهقي في الشعب (١٠٣٧٢) انظر حديث رقم: ٨١٨٣ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أبو داود (٣٤٦٢) وسنن البيهقي الكبرى (١٠٤٨٤) انظر حديث رقم: ٤٢٣ في صحيح الجامع.



رضوان الله عليهم أجمعين ولكن السوء كل السوء يوم أن تقدم تنازلات وربما اتهمت الإسلام عياذا بالله وهذا كله من جراء الذنوب والمعاصي فإن الذنوب والمعاصي والعياذ بالله ربما جعلت القبيح خيرا وطيبا في نظرك وكان الطيب والخير قبيحا في نظرك نعم ما يكون قبيحا تجعله طيبا وما كان طيبا تجعله قبيحا هذا بسبب الذنوب والمعاصي وهذا من الظن السيء ولكن على المسلم أن يقول: نسأل الله ﷻ أن ينصر دينه وتحاول أن تنصر أنت دينك بقدر استطاعتك تحمي قلبك من الفتن تحمي جوارحك تحمي أسرتك من ولاك الله ﷻ عليهم قال الله ﷻ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦] ويقول النبي ﷺ:

«**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(١) وهكذا أيضا يقول سبحانه:

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧] ويقول سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ [الحج:٤٠] فانصر دين الله لا يريد منك أن تقاتل الأعداء وأنت لا تستطيع ولا يريد الله منك أن تحفظ السماء والأرض وإنما انصر دين الله في نفسك كما نصرته آسية بنت مزاحم يوم أن ثبتت وصبرت على ما جاءها من قبل فرعون من العذاب والنكال ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم:١١] فمن أراد طريق النجاح في الدنيا والآخرة فليظن بالله ظنا حسنا ظنا جميلا

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن**

(١) البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩).



ظن شرا فله»[(١)] فتفاءل بكل خير تفاءل بأن هذا الظلام سوف ينقشع وهذا الكفر والإلحاد والخمر والغناء وما إلى ذلك هذا كله يزول

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فهذا هو عبارة عن ليل والليل لا بد أن يكون بعده إصباح سنة الله ﷻ في خلقه فمن كان يظن أن تعود مكة على حالتها وقد كان حولها ثلاثمائة وستون صنما يذبحون لهم ويعطون لهم القرابين والأموال وما إلى ذلك ويذهب ذلك كله ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١] فدوام الحال من المحال فلا يدوم لصاحب الغنى غناه ولا يدم لصاحب الملك ملكه ولا يدوم لصاحب العز عزه ولا يدوم للدولة قوتهاهكذا لا بد من ابتلاءات

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الحياة كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

روسيا كانت دولة كبرى الآن لا تعد شيئا قبل ذلك بريطانيا وفرنسا أرادت أن تعتدي على كثير من الدول من أجل أن تكون في بوتقتها وما تم لها ذلك وهكذا لو تقرأ في التأريخ لرأيت عجبا عجابا وما هو اليوم موجود لا يعد شيئا بالنسبة لما قد مضى

إذا علم الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش من أول الدهر

وقال آخر:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

فإذا قرأت التأريخ وتأملت اتسعت مداركك وأدركت ما لا يدركه غيرك من

---

(١) صحيح: ابن حبان (٦٣٩) والطبراني في الكبير (٢٠٩) والأوسط (٤٠١) وانظر حديث رقم: ٤٣١٥ في صحيح الجامع.

الجهال فالظن الحسن بالله ﷻ هو أن تعمل لدينك وأن تثبت على دينك وأن تعتقد بالله ﷻ كل جميل وكل خير في باب العقيدة في باب المنهج في باب السلوك والعبادة والأخلاق وإياك أن تظن به ظنا سيئا فتنهزم وتتقهقر وتقدم تنازلات أمام هذه المغريات مغريات الحياة كأس وبنت وغانية ومرقص وملهى عياذا بالله هذه - بارك الله فيكم - قد نبذت في عقر دارها وهي في بلاد المسلمين يعني وإن كانت بادئة لكن هناك عند كثير من المسلمين صار عندهم صحوة وصار عندهم إدراك والنبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة**»(١) ويقول النبي ﷺ: «**الخير في أمتي كالغيث لا يدرى في أوله أو في آخره**»(٢) فالخير موجود والدين موجود والصلاح موجود وإن كان غيره موجود لكن لا ينظر إلى الغير جانب الانهزام وكذا ويترك جانب الخير الموجود في أمة محمد ﷺ، ثم واصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كلام الشيخ ابن القيم قال: وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرض الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب الناصح بنفسه بهذا وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر ففتش نفسك **هل أنت سالم؟**

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

---

(١) البخاري (٦٨٨١) ومسلم (١٩٢٠).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٨٦٩) وأحمد (١٢٣٤٩) وابن حبان (٧٢٢٦) انظر حديث رقم: ٥٨٥٤ في صحيح الجامع.



الله المستعان وكما قلت - بارك الله فيكم - ينبغي للشخص إذا أراد النجاة أن يظن الظن الحسن بالله ﷻ وهذا من خلال دراستك للقرآن ولأسماء الله ولصفاته وهنا يقول بعض الشعراء:

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

ولا تظنن بنفسك قط خيرا ... فكيف بظالم جان جهول

وقل يا نفس مأوى كل سوء ... أترجو الخير من ميت بخيل

وظن بنفسك السوء تجدها ... كذاك وخيرها كالمستحيل

وما بك من تقى فيها وخير ... فتلك مواهب الرب الجليل

وليس لها ولا منها ولكن ... من الرحمن فاشكر للدليل

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب ما جاء في منكري القدر

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فيقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في منكري القدر

قوله: باب المراد بكلمة باب فهو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب هذا من حيث اصطلاح المؤلفين وأما من حيث اللغة العربية فالباب عند العرب لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء وهنا الباب معنوي وليس بحسي فالأبواب الحسية هي باب المسجد الديوان المدرسة وما شابهها.

قوله: ما أي الذي فما هاهنا موصولية.

وجاء أي ما ورد ما ثبت ما أتى من الأدلة من القرآن من السنة من الآثار في هذه المسألة.

وقوله: في منكري أي في من جحد القدر.

وقوله: منكري ولم يقل منكرين حذفت النون للإضافة كما قيل:

كـــأني تنـــوين وأنـــت إضـــافة فـــأنى تـــراني لا تحـــل مكـــاني



فهنا حذفت النون وهذا الحذف سببه الإضافة.

وقوله: القدر القدر مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره ومعناه في الشرع: هو إحاطة الله ﷻ بالأشياء وعلمه بها قبل كونها كما قال ربنا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد:٢٢] فالله ﷻ علم ما كان وما سيكون من حديث عبادة بن الصامت عند أبي داود أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أول ما خلق خلق القلم فقال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: ما كان إلى قيام الساعة وما سيكون إلى قيام الساعة**»(١) وفي رواية: «**إلى أبد الأبد**» وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح مسلم يقول النبي ﷺ: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء**»(٢) والقدر له أركان وله مراتب سوف تأتي.

وقوله: منكري القدر هذه الترجمة وهذا الباب عقده الشيخ رحمه الله ليبين أن الإيمان بالقدر هو من توحيد الربوبية ومن أنكر القدر فقد أشرك في توحيد ربوبية الله ﷻ والناس في القدر طرفان ووسط:

فالطرف الأول: هم القدرية الذين يقول فيهم النبي ﷺ: «**لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(٣) هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود وحسنه الشيخ الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم رقم: (٣٢٩) هؤلاء هم الطرف الأول وهم الذين يقولون:

---

(١) أبو داود (٤٧٠٠).

(٢) مسلم (٢٦٥٣).

(٣) حسن: أحمد (٥٥٨٤) انظر حديث رقم: ٥١٦٣ في صحيح الجامع.

لا قدر ينفون علم الله السابق.

والطرف الثاني غلاة في إثباته الطرف الأول غلاة في نفيه قالوا: لا قدر نفوا علم الله وهذا والعياذ بالله من ظن الجاهلية الأولى هذا سوء ظن بالله ﷻ.

الطائفة الثانية عاكست هؤلاء تماما فقالوا بالإثبات وهؤلاء هم الجبرية غلاة في إثباته أثبتوا القدر لله ﷻ لكنهم عطلوا قدرة العبد ومشيئته فجعلوا العبد هذا كريشة في مهب الريح تميلها الرياح يمنة ويسرة لا حركة له ولا قدرة واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] وأولئك يقولون:

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] يعني سلبوا قدرة الله أو علم الله السابق.

والوسط هم أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا قدرة الله وقدر الله وآمنوا بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله ﷻ فهم الموفقون في هذا الباب وهاهنا بحث نفيس عندي خلاصته لكنني آثرت قراءته من كتاب الشيخ موسوعة الإسلام محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من أجل الإيضاح قال رحمه الله:

والناس في القدر ثلاث طوائف:

الأولى: الجبرية (هم طائفة من الجهمية) أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته وقالوا: ليس للعبد اختيار ولا قدرة فيما يفعله أو يتركه فأكله وشربه ونومه ويقظته وطاعته ومعصيته كلها بغير اختيار منه ولا قدرة ولا فرق بين أن ينزل من السطح عبر الدرج مختارا وبين أن يلقى من السطح مكرها هؤلاء هم الجبرية، العبد سرق قالوا: مجبور على السرقة مجبور وإيش نصلح له



تعطيل لأحكام الله، رجل قتل قالوا: إيش نصلح له هو مجبور على ذلك شوف السوء والعياذ بالله والشر لما يدخل على الشخص.

الطائفة الثانية: القدرية المعتزلة أثبتوا للعبد اختيارا وقدرة في عمله وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله تعالى في عمل العبد مشيئة أو خلق ونفى غلاتهم علم الله به قبل وقوعه فأكل العبد وشربه ونومه ويقظته وطاعته ومعصيته كلها واقعة باختياره التام وقدرته التامة وليس لله تعالى في ذلك مشيئة ولا خلق بل ولا علم قبل وقوعه عند غلاتهم هذه الطائفة الثانية الأولى الجبرية الذين سلبوا عن العبد والثانية القدرية الذين أثبتوه للعبد ونفوه عن الله ﷻ ولا عبرة بهؤلاء هم شاذون، استدل الأولون الجبرية بقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر: ٦٢] والعبد وفعله من الأشياء وبقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] وبقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] فنفى الله الرمي عن نبيه حين رمى وأثبته لنفسه وبقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام:١٤٨] ولهم شبه أخرى تركناها خوف الإطالة.

قال: والرد على شبهاتهم بما يلي:

أما قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر: ٦٢] فاستدلالهم بها معارض بالنصوص الكثيرة التي فيها إثبات إرادة العبد وإضافة عمله إليه وإثباته عليه كرامة أو إهانة وكلها من عند الله ولو كان مجبرا عليها ما كان لإضافة عمله إليه وإثابته عليه فائدة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] فهو حجة عليهم لأنه أضاف العمل إليهم وأما كونه تعالى خالقه فلأن عمل العبد حاصل بإرادته الجازمة

وقدرته التامة والإرادة والقدرة مخلوقان لله ﷻ فكان الحاصل بهما مخلوق لله.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] فهو حجة عليهم لأن الله تعالى أضاف الرمي إلى نبيه لكن الرمي في الآية له معنيان:

أحدهما: حذف المرمي وهو فعل النبي ﷺ إذ أضافه الله إليه.

الثاني: إيصال المرمى إلى عين الكفار الذين رماهم النبي ﷺ بالتراب يوم بدر فأصاب عين كل واحد منهم وهذا من فعل الله إذ ليس بمقدور النبي ﷺ أن يوصل التراب إلى عين كل واحد منهم.

وأما قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨] فلعمر الله إنه لحجة على هؤلاء الجبرية فقد أبطل الله حجة هؤلاء المشركين الذين احتجوا بالقدر على شركهم حين قال في الآية نفسها: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] وما كان الله ليذيقهم بأسه وهم على حق فيما احتجوا به.

ثم نقول القول بالجبر باطل بالكتاب والسنة والعقل والحس وإجماع السلف ولا يقول به من قدر الله حق قدره وعرف مقتضى حكمته ورحمته:

فمن أدلة الكتاب:

قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢] هذا الآن رد عليهم إذ أن العبد له إرادة فأثبت الله للعبد إرادة.

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧] يعني أن لهم إرادة يترجمون بها.



وقال: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨] بمعنى أن للعبد فعل ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣/ والتوبة: ١٦/ والمجادلة: ١٣/ والمنافقون: ١١] فأثبت للعبد إرادة وقولا وفعلا وعملا فبهذا يبطل دليل ومعتقد الجبرية الذين سلبوا القدرة والإرادة والمشيئة من العبد وجعلوه مجبورا على كل شيء وهؤلاء طائفة من الجهمية.

ومن أدلة السنة:

قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(١)].

وقوله: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»[(٢)].

ولهذا إذا أكره العبد على قول أو فعل وقلبه مطمئن بخلاف ما أكره عليه لم يكن لقوله أو فعله الذي أكره عليه حكم فاعله اختيارا.

وأما إجماع السلف على بطلان القول بالجبر فلم ينقل عن أحد منهم أنه قال به بل رد من أدرك منهم بدعته موروث معلوم معنى أنهم ردوها.

وأما دلالة العقل على بطلانه:

فلأنه لو كان العبد مجبرا على عمله لكانت عقوبة العاصي ظلما ومثوبة الطائع عبثا، والله تعالى منزه عن هذا وهذا ولأنه لو كان العبد مجبرا على عمله لم تقم الحجة بإرسال الرسل لأن القدر باق مع إرسال الرسل وما كان الله ليقيم على العباد حجة مع انتفاء كونها حجة.

---

(١) البخاري (١) (٥٤) (٢٣٩٢) (٣٦٨٥) (٤٧٨٣) (٦٣١١) (٦٥٥٣) ومسلم (١٩٠٧) وأبو داود (٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧) والنسائي (٧٥) وغيرهم.

(٢) مسلم (١٣٣٧).



وأما دلالة الحس على بطلانه:

فإن الإنسان يدرك الفرق بين ما فعله باختياره كأكله وشربه وقيامه وقعوده وبين ما فعله بغير اختياره كارتعاشه من البرد والخوف ونحو ذلك.

يعني رجل طائع أطاع الله تبارك وتعالى ستين سنة إخلاص خوف مراقبة التجاء ابتهال تضرع أعمال قدمها لله سبحانه وتعالى وآخر عربيد يمشي في الحرام وكذا على مذهب الجبرية - بارك الله فيكم - أن هذا مجبور وهذا مجبور لا هذا له حق طاعته ولا للآخر يؤخذ بقدر معصيته أعوذ بالله هذا والله إنه الضلال في حد ذاته والله تبارك وتعالى يقول:

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥- ٣٦] هذا - بارك الله فيكم - حكم باطل أن يعطى العاصي من الخير ما يعطاه الطائع هذا - بارك الله فيكم - استدلال القول القائلين بالجبر وحتى لا يضرب الكلام بعضه ببعض يعني يؤخر الدرس إن شاء الله سبحانه وتعالى وعسى أن تكونوا قد فهمتم هذا وهو أن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وبارك بعلمه وجزاه عن الإسلام خيرا ذكر بعض الشبه الجبرية التي يستدلون بها على إثبات القدر له تبارك وتعالى ونفيه عن البشر وسلبه منهم تماما حتى إن العبد إذا عمل عملا محرما إنما هو مجبور على ذلك نفى ذلك كله بدلالة القرآن والسنة والعقل والحس وبإجماع السلف فأرجو أن يكون قد فهم هذا وستأتي بعض الردود مع الأدلة على الطائفة الثانية التي هي القدرية والله المستعان.

عرفنا أن الناس كانوا في هذا الباب طرفان ووسط أما الطرف الأول فهم الجبرية الجهمية طائفة يقولون بأن المرء مجبور على الخير والشر ومعنى هذا تعطيل الشريعة الإسلامية وافتئات على الله تبارك وتعالى وقد سمعنا بعض شبههم والرد عليها قرأنا ذلك نقلا عن الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الطائفة الثانية أيضا مثلها نظرت إلى



النصوص بعين عوراء وشذت في هذا الباب فهم القدرية وهي طائفة من المعتزلة من أصحاب واصل بن عطاء أثبتوا للعبد اختيارا ونفوه عن الله يعني كما يقال: طرفي نقيض القدرية المعتزلة والجبرية الجهمية وكلاهما على شر

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد — كلا طرفي قصد الأمور ذميم

الطائفة الثانية: قال الشيخ العثيمين استدلت الطائفة الثانية القدرية بقوله تعالى:

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢] يعني أثبتوا جعلوا للعبد الإرادة قال: فأثبت للعبد إرادة وبقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦/ والجاثية: ١٥] ونحوها من النصوص القرآنية والنبوية الدالة على أن للعبد إرادة وأنه هو العامل الكاسب الراكع الساجد ونحو ذلك.

نظروا إلى هذه فجعلوها حجة ناسين أو متناسين الآيات التي تثبت إرادة ومشيئة أرحم الراحمين مثل جماعة التكفير والهجرة أخذوا آيات الوعيد نسوا آيات الرجاء أعوذ بالله قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والرد عليهم من وجوه:

الأول: إن الآيات والأحاديث التي استدلوا بها نوعان نوع مقيد لعمل العبد وإرادته أنه بمشيئة الله كقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٢٩- ٣٠] وكقوله تعالى في العمل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣] هذا المقيد أما المطلق فكقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ [البقرة:٢٢٣] يعني أثبت المشيئة للعبد وقوله:



﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف:٢٩] وكقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ وإلى قوله: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٩].

قال: وهذا النوع المطلق يحمل على المقيد كما هو معلوم عند أهل العلم انتهى الإشكال.

قاعدة أصولية:

أن المطلق يحمل على المقيد وأن العام يحمل على الخاص وأن المجمل يحمل على المبين فإذا جاء مطلق لا يعمل حتى يقيد وإذا جاء عام لا يعمل به حتى يخصص وإذا جاء مجمل لا يعمل به حتى يبين وهكذا درج العلماء على هذه القواعد.

الثاني: إن إثبات استقراء العبد بعمله مع كونه مملوكا لله يقتضي إثبات شيء في ملك الله لا يريده الله وهذا نوع إشراك به ولهذا سمى النبي ﷺ القدرية مجوس هذه الأمة يعني لو كان الأمر كما يزعم هؤلاء لكان للعبد هذا أن يعمل ما يريد وهذا غير صحيح ليس للعبد أن يعمل ما يريد حتى المال الذي وهبه الله من شاء من عباده وإن كان قد قال الله ﷻ:

﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور: ٦١]﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء:٣] إثبات الملكية للعبد لكن هو في الحقيقة ملك لله ﷻ ليس له أن يتصرف فيه إلا على ما يريد الله ليس له أن يزني بهذا المال ولا أن يستأجر أناسا من أجل الإيقاع بمسلم ولا يجوز له أن يتعامل بالربا نصوص كثيرة جدا.

الثالث: أن نقول لهم: **هل تقرون بأن الله تعالى عالم بما سيقع من أفعال العباد؟**



فسيقول غير الغلاة منهم: نعم يعني القدرية منهم غلاة وهم قدرية خفاف فالغلاة انقرضوا كما قال النووي رحمه الله من بدري وهم الذين نفوا علم الله السابق تماما لكن جاء من بعدهم أناس يقولون: إن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات أو أن الله يعلم الأمر أنف وهي كلها ضلال.

قال: فإن قالوا: نعم نقر بذلك فنقول: هل وقع فعله على وفق علم الله أو على خلافه فإن قالوا: على وفق علم الله قلنا: إذن قد أراده الله وإن قالوا: على خلافه فقد أنكروا علمه.

وقد قال الأئمة رحمهم الله في القدرية: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا المراد بالعلم علم الله.

يعني أنت يا أيها القدرية **هل تقر بأن الله يعلم؟** إن قال: نعم انتهى الإشكال خلاص أنت نسخت معتقدك وما تقرره وإن قال: لا نقول لا حول ولا قوة إلا بالله بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع كفرت بالله لأنك نفيت علمه.

قال رحمه الله: وهاتان الطائفتان القدرية والجبرية ضالتان طريق الحق لأنهما بين مفرط غال ومفرط مقصر فالجبرية غلوا في إثبات القدر وقصروا في إرادة العبد وقدرته والقدرية غلوا في إثبات إرادة العبد وقدرته وقصروا في القدر ولهذا كان الأسعد بالدليل والأوفق للحكمة والتعليل هم الطائفة الثالثة.

أنا قلت لكم: أنهم طرفان ووسط قدرية معتزلة وجبرية جهمية.

والطرف الثالث: هم أهل السنة والجماعة وهم الذين توسطوا فجمعوا بين النصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بإرادة الله وإرادة عبده وهكذا.

قال: الطائفة الثالثة هم أهل السنة والجماعة الطائفة الوسط الذين جمعوا بين الأدلة وسلكوا في طريقهم خير ملة فآمنوا بقضاء الله وقدره وبأن للعبد اختيارا وقدرة فكل ما كان في الكون من حركة أو سكون أو عدم فإنه كائن بعلم الله تعالى ومشيئته وكل ما كان في الكون مخلوق لله تعالى لا خالق إلا الله ولا مدبر للخلق إلا الله ﷻ وآمنوا بأن للعبد مشيئة وقدرة لكن مشيئته مربوطة بمشيئة الله العبد له مشيئة هو شاء أن يذهب وقت صلاة العصر لشراء مقاضي نقول: لا مشيئة الله الشرعية أنك تأتي تصلي بعدين المقاضي فأنت لك مشيئة لا نبطلها لكن مشيئتك مرتبطة بمشيئة الله أذن الفجر قال: والله أنا في نوم بارقد كذا شوية وأقوم أصلي بعدين لا نقول له: لا مشيئة الله أن تصلي في وقتها هذه المشيئة الشرعية.

المشيئة القدرية اصل لا يستطيع أحد أن يعاكسها شخص قال: أنا أروح أشتري مقاضي ضروري الآن، والله إني رائح أشتري مقاضي خرج فإذا بسيارة تصدمه صدمته سيارة وهو لايزال بجانب بيته بل ربما اكتعضت رجله وهو ينزل السلم ما قد خرج من البيت مشيئة الله ما تستطيع أن تخاصمها أو أن تنافيها ما تستطيع وتأمل إلى فرعون لما كان يقول لأهل مصر:

﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزُّخرُف: ٥١] فأرسل الله تعالى عليهم آيات القمل والضفادع والدم أرسل الله عليهم القمل شكوا إلى فرعون القمل فإذا بفرعون هو مصاب بالقمل أصلا الضفادع يعني يفتحون التنانير مليئة بالضفادع الصحون مليئة بالضفادع أفواههم الضفادع تصعد إلى وجوههم يا فرعون غير علينا أنت الرب أنت كذا الضفادع تعيث أمام فرعون ما يستطيع يردها الدم يشربون الماء فإذا به دم عقاب وعذاب ما يستطيعون رده وهكذا النمرود بن كنعان الذي ناظر



إبراهيم وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [البقرة:٢٥٨]﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالعبد له مشيئة لكن ليست مشيئة مطلقة وإنما هي مشيئة مقيدة بعلم الله بقدرة الله بمشيئة الله وإرادته كما قال تعالى:

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨– ٢٩]
فإذا شاء العبد شيئا وفعله علمنا أن مشيئة الله تعالى قد سبقت تلك المشيئة وكم من رجل حرص على أن يتزوج بفلانة مثلا جاء شخص ولفها من قدامه وكم علمنا أن شخص حرص على أن يشتري شيئا فما وفق بذلك لأن الله ما أراد فالمؤمن يقول: قدر الله وما شاء فعل وانتهى الإشكال هو أراد شيئا لكن الله ما أراد قال الإمام ابن القيم:

قاعدة جليلة أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والله ﷻ يقول:

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] فإذا فوض المؤمن مثل هذا استراح والله استراح مرة يعني أصيب بطمأنينة وخير وإذا هو تحسر وتندم أصيب بالقلق والأمراض النفسية الكثيرة.

قال: هؤلاء هم الذين جمعوا بين الدليل المنقول والمعقول فأدلتهم على إثبات القدر هي أدلة المثبتين له من جبرية لكنهم استدلوا بها على وجه العدل والجمع بينها وبين الأدلة التي استدل بها نفاة القدر وأدلتهم على إثبات مشيئة العبد وقدرته أدلة المثبتين لذلك من القدرية لكنهم استدلوا بها على وجه العدل والجمع بينها وبين أدلة الذين استدلوا بها نفاة مشيئة العبد وقدرته وبهذا نعرف أن كلا من الجبرية والقدرية نظروا

إلى النصوص بعين الأعور الذي لا يبصر إلا من جانب واحد فهدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلف فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

حكاية: هذه قصة جرت لاثنين من الجبرية من القدرية المعتزلة مع واحد من أهل السنة قال: مما يحكى أن القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي دخل على الصاحب بن عباد وكان معتزليا أيضا ابن عباد وهذا الهمذاني وكان عنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني هذا من أهل السنة فقال عبد الجبار على الفور: سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال أبو إسحاق فورا: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء فقال عبد الجبار وفهم أنه قد عرف مراده: **أيريد ربنا أن يعصى؟** فقال أبو إسحاق: **أيعصى ربنا قهرا؟** فقال عبد الجبار: **أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء؟** فقال له أبو إسحاق: إن كان منعك ما هو لك فقد أساء وإن كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون: والله ليس عن هذا جواب.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السنة والجماعة وسط بين فرق المبتدعة في خمسة أصول ذكرها في العقيدة الواسطية فلتراجع هناك وذلك أن بعض هؤلاء دخلوا في باب يعني أنت تقول أن الله – هذا معتقد أهل السنة – أراد الكفر من الكافر كونا وقدرا وأباه شرعا ودينا فالله أراد قدرا أن يكون فرعون هو فرعون وأراد كونا وقدرا أن موسى هو موسى النبي المجتبى والرسول المصطفى فلا يجوز لمسلم أن يقول: **ليش؟** المشكلة عند القدرية أنهم قالوا: **ليش لماذا؟** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] فعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه لا خيرية في فرعون ولا خيرية في أبي جهل ولا في أبي لهب علم الله أن هناك خيرية في موسى في محمد في أبي بكر في عمر في فلان علم الله في الأزل فلا ينبغي محاججة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في خلقه أو فيما أراده لخلقه



وعلى المؤمن أن يعلم أن يؤمن بالقضاء والقدر وأن يعلم أن له أربع مراتب:

التقدير الأزلي والتقدير العمري والتقدير السنوي والتقدير اليومي.

أما التقدير الأزلي فدليله قوله سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد:٢٢] وقوله ﷻ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١- ٥٢] وحديث النبي ﷺ:

«**إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي**»[(١)] هذا تقدير أزلي لا يغير ولا يبدل وحديث:

«**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء**»[(٢)] وحديث: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(٣)] خلاص جف القلم ما فيش كتابة بعد وطويت الصحيفة لا تفتح مقادير

هي المقادير التي في اللوح قد كتبت ... إما أتتك يا فتى وإلا فتأتيها
دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالي البال
وكل شيء بالقضاء والقدر ... وكل مقدور فما منه مفر

---

(١) البخاري (٣٠٢٢).

(٢) مسلم (٢٦٥٣) والترمذي (٢١٥٦) وأحمد (٦٥٧٩).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

خلاص قضاء وقدر هذه المرتبة الأولى.

المرتبة الثانية: التقدير العمري وهذا والجنين في بطن أمه له مائة وعشرون يوما كما في حديث ابن مسعود في الصحيحين قال: «**ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد**»(١) يكتب كل شيء وأنت في بطن أمك فعلى إيش الحسرة وعلى إيش الوساوس وقد كتب ما كان وما سيكون لو كان الله المستعان.

أما المرتبة الثالثة: فهو التقدير السنوي وهذا في ليلة القدر كما قال سبحانه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤] وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١] وليلة القدر سميت بذلك قال بعض المفسرين: ليلة القدر من الشرف تقول: هذا رجل ذو قدر أي ذو شرف فهي ليلة شريفة، الملائكة تحفها وتنزل من السماء وقيل: من التقدير قال بعض المفسرين: أي لإعطاء أ ناس وحرمان آخرين وإحياء أناس وإماتة آخرين تقدير لمدة سنة.

وتقدير يومي: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] و«**ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا**»(٢) قالوا: وهذا فيمن كان يقدر على أن ينفق على أهله ولكن يشح، عنده المال ولكن ما ينفق على أهله فالملائكة تقول: اللهم أعط ممسكا تلفا وملائكة آخرون يقولون: اللهم أعط منفقا خلفا.

---

(١) البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) البخاري (١٣٧٤) ومسلم (١٠١٠).



هذه أربع مراتب وله أربعة أركان:

العلم والكتابة والمشيئة والخلق

علـــم كتابـــة مولانـــا مشـــيئته	**وخلقـــه وهـــو إيجـــاد وتكـــوين**

هذه أركانه وقد تقدم لكم دليل العلم أن الله يعلم ما كان وما سيكون وكذلك أيضا الخلق وكذلك أيضا الكتابة حديث القلم والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كان يتمثل دائما بقوله:

مــا شــئت كــان وإن لــم أشــأ	**ومـا شـئت إن لـم تشـأ لـم يكـن**
خلقــت العبــاد علــى مــا علمــت	**ففـي العلـم جـرى الفتـى والمسـن**
علــى ذا مننــت وهــذا خــذلت	**وهــذا أعنــت وذا لــم تعــن**
ومــنهم شــقي ومــنهم ســعيد	**ومــنهم قبــيح ومــنهم حســن**

ذكر ذلك اللالكائي في شرح معتقد أهل السنة عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، هذا شرح موجز للمقدمة وللتبويب وهو قول المؤلف: باب ما جاء في منكري القدر.



وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِهِ» رواه مسلم(١).



(١) مسلم (٨).

ثم قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: وقال ابن عمر: «**والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر**» ثم استدل بقول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» رواه مسلم.

هذا الحديث له قصة وذلك أول ما ظهر القول بالقدر في البصرة ظهر به رجل يسمى معبد الجهني أخذ هذه العقيدة عن رجل نصراني يسمى سوسن فكان من أهل السنة رجلان حميد بن عبد الرحمن الحميري قال: القصة هنا بطولها ما في قال يحي بن يعمر الذي يروي الحديث قال: كان أول من تكلم بالقدر في البصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب الرسول ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر وهؤلاء كانوا مهتمين بأمر العقيدة قال: فوفق الله تعالى لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ظننت وما هو حريص لكن صاحبه لو قال له: اتفضل بايقول له: عندك إما أنه كبير سن أو كثير علم ولا يكون الشخص حريصا على الكلام إذا كان هناك من هو أعلم منه أو أكبر منه سنا فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم قال: يتقفرون يتتبعون أي يتطلبونه يزعمون ألا قدر يتقفرون العلم يعني يبحث لك عن أشياء غريبة ويمكن ما تطل على الزمان إلى قيام الساعة وهو يأتي يتقفرها ويريد أن يعلمها الناس وهم ليسوا بحاجة إليها لو تفرغ ليعلمهم الصلاة والوضوء كان أحسن قال: يزعمون ألا قدر وأن الأمر أنف يعني الله ما يعلم إلا بعد وقوعه عياذا بالله فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم مني براء والذي يحلف به عبد الله بن



عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه **لماذا؟** لأن العمل لا يقبل إلا بالإعتقاد الصحيح على أنه يقول: فأنفقه لو كان له مثل أحد ذهبا جبل من ذهب والنفقة لها قدر عند الله ﷻ عظيم شأنها عند الله ﷻ ولكن لا يقبل منه حتى يكون على عقيدة صحيحة قال: حتى يؤمن بالقدر ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال: فانطلق فلبثت ثلاثا وفي رواية مليا قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» فحصر النبي ﷺ الدين في هذه المراتب الثلاث وهذا - بارك الله فيكم - يحتاج إلى شرح يحتاج إلى أن نشرح الإيمان ونشرح كذلك الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر فهذا حديث ابن عمر الذي في صحيح الإمام مسلم راويته يحي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن أيضا في سبب سؤال ابن عمر عن طائفة القدرية ثم قال لهم عبد الله بن عمر:

«**والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر**» والقدر مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره فكأنه من التقدير والله ﷻ أحاط بالبرية علما قال ﷻ حاكيا عن موسى ومن قال له:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١- ٥٢] وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

ثم استدل عبد الله بن عمر بقوله: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**» الإيمان مشتق من الأمن وهو لغة بمعنى التصديق وشرعا: نطق باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقد وقع الإجماع على أن من اعتقد هذه المراتب الثلاث بريئ من عقيدة الإرجاء جملة وتفصيلا.

فقولهم: نطق باللسان وذلك أن تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا من الإيمان.

اعتقاد بالجنان أي بالقلب وقد جمع حديث من أحاديث النبي ﷺ هذه المراتب الثلاث قوله ﷺ:

«**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله**» هذا فيه دلالة على النطق باللسان فهو من الإيمان «**أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» هذا عمل بالجوارح، تزيحها من الطريق،



«**والحياء شعبة من شعب الإيمان**»[(١)] فالحياء هو عمل قلبي لا دخل للسان به ولا للجوارح، لكن الجوارح واللسان تترجم عما في القلب

إذا قـل مـاء الوجـه قـل حيـاؤه	ولا خيـر في وجـه امـرئ قـل مـاؤه
إذا لـم تخـش عاقبـة الليـالي	ولـم تسـتح فاصـنع مـا تشـاء
فـلا والله مـا في العـيش خيـر	ولا الـدنيا إذا ذهـب الحيـاء

فهذا الإيمان بمراتبه الثلاث وأما كونه يزداد وينقص فعندنا حديث: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه**»[(٢)] فربما يحصل الضعف فهنا حاصل كذلك قوله سبحانه:

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١] بمعنى أن إيمانكم كان ناقصا وفي حديث يحسنه الشيخ الألباني أو يصححه قال النبي ﷺ:

«**الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»[(٣)] فالإيمان يزداد وينقص يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية فكلما أكثر العبد طاعة ازداد إيمانه وإذا تلطخ ببعض المعاصي الله المستعان ضعف إيمانه.

قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله**» والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته أن تؤمن بالله يعني بهذه المراتب الأربع.

«**وملائكته**» الملائكة.

---

(١) مسلم (٣٥).

(٢) مسلم (٤٩).

(٣) صحيح: الحاكم (٥) وانظر حديث رقم: ١٥٩٠ في صحيح الجامع.

قبل ذلك الإيمان بالله يتضمن ما قلناه وبما جاء عن الله في الكتاب والسنة وبما جاء عن الله في الكتاب والسنة يتضمن من آمن بالله لزم أن يؤمن بكل ما قاله الله وبكل ما حكى به الله ﷻ.

أما الملائكة لغة: مشتقة من الألوكة بمعنى الرسالة وشرعا: هم مخلوقات نورانية قابلة للتشكيل خلقهم الله من نور كما في صحيح البخاري من حديث عائشة في كتاب الخلق قال النبي ﷺ: «**إن الله خلق الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»(١) أي من تراب.

والملائكة أعدادها هائلة لا يعلم بعددها إلا الله قال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠] وقال سبحانه: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت:٣٨] وقال النبي ﷺ:

«**أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وملك ساجد أو قائم أو ساجد يدعو الله ﷻ إلى يوم القيامة**»(٢) ولما ذكر النبي ﷺ البيت المعمور في السماء السابعة قال: «**يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إلى قيام الساعة**»(٣) ولهم وظائف فهناك من هو موكل بقبض الأرواح ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١] وهناك من هو موكل بتسجيل الحسنات والسيئات ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢] وهناك من هو موكل بالقطر والنبات والعذاب ولهم وظائف كثيرة

(١) مسلم (٢٩٩٦).

(٢) الترمذي (٢٣١٢) وأحمد (٢١٥٥٥) والحاكم (٣٨٨٣) انظر حديث رقم: ٢٤٤٩ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (٣٠٣٥) ومسلم (١٦٤).



فوجب علينا أن نؤمن بهؤلاء الملائكة كلهم من سمي لنا ومن لم يسم لنا كجبريل وميكائيل وإسرافيل وخازن الجنة وخازن النار وهكذا ما جاء عاما في القرآن والسنة وجب الإيمان بذلك كله فمن الإيمان بالله أن تؤمن بملائكته منهم أيضا حملة العرش ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧] ويقول النبي ﷺ: «**أذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش ما بين منكبه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[١].

وأيضًا من الإيمان بالله أن تؤمن بكتبه بالكتب المنزلة الصحف التي أنزلت على إبراهيم وموسى، التوراة التي أنزلت على موسى خطها الله بيده، والزبور الذي أنزل على داود، والإنجيل الذي أنزل على عيسى بن مريم والقرآن الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو خاتم الكتب قال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب:٤٠] فوجب أن تؤمن بهذه الكتب كلها، لكن **هل بقي منها شيء ينفع؟** لا خلاص نسخت كلها بالقرآن الكريم جاء في مسند أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ رأى صحيفة مع عمر بن الخطاب قال:

«**ما هذه؟ قال: مررت على رجل يقرؤها فأخذتها منه أعجبتني فأخذتها منه فغضب النبي ﷺ وقال: أمتهوك أنت يا ابن الخطاب؟ - يعني أمتشكك أنت - لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[٢] وقال سبحانه:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] وهكذا الإيمان بالرسل من أولهم إلى آخرهم قرابة مائة وأربعة

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٧٢٧) انظر حديث رقم: ٨٥٤ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أحمد (١٥١٩٥) وانظر إرواء الغليل (٦ / ٣٤).

وعشرين ألف نبي رسولا ذكر القرآن منهم خمسة وعشرون نبيا رسولا وهناك أنبياء ورسل لم يذكروا لكن نؤمن بهم إجمالا فنؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأيضا باليوم الآخر وهو آخر يوم من آيام الدنيا الآخر بكسر الخاء آخر يوم من أيام الدنيا لكن الآخر بفتح الخاء معناه شيء آخر تقول: أنا أريد شيئا آخر يعني شيء غير هذا الذي أعطيتني إياه لكن لما تقول: آخر الشيء بمعنى منتهاه فهذا اليوم هو آخر أيام الدنيا ليس بعده يوم أبدا فيه الفصل فريق في الجنة وفريق في السعير.

ومن إيمانك باليوم الآخر أن تؤمن بكل ما فيه أن تؤمن بعذاب القبر ونعيمه وبالفتان الفتان في القبر: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وأن تؤمن بالبعث والحشر والنشر والصراط والميزان وأن تؤمن بنزول الله ﷻ للفصل بين العباد وأن تؤمن بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الرسل وشفاعة النبيين وشفاعة الملائكة المقربين وشفاعة رب العالمين وأن تؤمن بكل ما نطق به النبي ﷺ من أمور الغيب كلها لأن هذا مقتضى الإيمان بالغيب ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣].

ثم قال: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**» وقد تقدم لكم معنى ذلك القدر لغة: مشتق من التقدير وشرعا: هو علم الله السابق علم الله الأزلي وكان الإمام أحمد يقول لما سئل: ما هو القدر؟ قال: القدر قدرة الله ﷻ.



وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شيءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول:



«مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

وفي رواية لأحمد:

«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٢).

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشرِهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ».

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت له: في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ، حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه(٣).



قال: وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت

---

(١) أبو داود (٤٧٠٠).

(٢) أحمد (٢٢٧٥٧).

(٣) صحيح: أبو داود (٤٦٩٩) وابن حبان (٧٢٧) والبيهقي في الشعب (١٨٢) وأحمد (٢١٦٥١) وانظر مشكاة المصابيح (١١٥).

رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله أول ما خلق الله القلم**» وقد تقدم لكم هذا، هذا في المرتبة الأولى من مراتب القدر وهو التقدير الأزلي «**فقال له: اكتب فقال: ربي وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**» بمعنى أنه لا بد من صحة الإعتقاد وإلا كانت الأعمال فاسدة لا تقبل، العمل لا يقبل إلا بشرطين اثنين:

الإخلاص صحة المعتقد ومتابعة الرسول ﷺ وفي رواية لأحمد «**إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**» وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**» وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من هذا القدر فحدثني لعل الله يذهبه من قلبي، يعني ما يخرج هذه الشبهة إلا بالدليل الساطع القاطع بالعلم يعني فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار» قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.



فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.



الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.



قال هنا المؤلف: فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر معنى أنه واجب.

الثانية: بيان كيفية الإيمان بمعنى أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن بالقدر كما قال ابن عمر: «**لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبل من أحد منهم**».

الرابعة: الإخبار أن أحدا لن يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به كما في الحديث الذي سمعناه.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله وهو القلم.



السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة هذا ما نعتقده وندين الله به

إن المقادير التي في اللوح قد كتبت إن أتتك يا فتى وإلا فتأتيها

وحديث ابن عباس: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به كما شهد بذلك ابن عمر.

الثامنة: عادة السلف بإزالة الشبهة بسؤال العلماء، هذا مأخوذ من هذا الذي هو ابن الديلمي لما قال: أتيت أبي بن كعب فقال: إن في نفسي شيء من القدر فأزاحه الله سبحانه وتعالى بالعلم.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته وذلك أنهم نسبوه إلى رسول الله ﷺ وهذا مصداق قوله تبارك وتعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦] فمن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله ومن لم يكفه محمد ﷺ فلا كفاية له أبدا فإنما كفايتنا في كتاب ربنا وفي سنة نبينا محمد ﷺ قال أبو القاسم الجنيد وهو من الصوفية المعتدلة قال: تقع الشبهة في قلبي من القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل المراد بذلك الكتاب والسنة ونكون قد انتهينا من هذا الدرس وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



(١) تقدم تخريجه.



باب ما جاء في المصورين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في المصورين

قوله: باب المراد به التبويب المعنوي وهو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب.

وقوله: ما، ما هاهنا موصولية.

وجاء أي ما ورد من الأدلة أو ما ورد من التحذير أو ما ورد من الإثم في المصورين أي في الذين يصورون يصنعون التصاوير.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن في التصوير خلقا وإبداعا يكون فيه المصور مشاركا لله في ذلك الخلق والإبداع وربما تكون هذه الصور وسيلة من وسائل الشرك كما حصل في زمن كما حصل لقوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فأوحى الشيطان إليهم أن هؤلاء كانوا قوما صالحين فخبئوا تلك الصور حتى جاء أناس بعدهم فعبدوا هذه التصاوير من دون الله، هذه هي المناسبة من إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد.



عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» أخرجاه[١].



قوله: ما جاء في المصورين، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى - هذا حديث قدسي -: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**» أخرجاه.

قوله: «**ومن أظلم**» أي أن هذا في منتهى الظلم أو في أشده أو في منتهى الأظلمية.

وقوله: من اسم استفهام والمراد به النفي ومن أظلم أي لا أحد «**أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» وذلك أنه يصور والتصوير المراد به التشكيل ولكن الخلق المنسوب إلى البشر إنما هو التحويل تحويل الشيء من شيء إلى شيء آخر بخلاف خلق الله فإنه الإيجاد من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين.

وقوله: «**من أظلم**» يقول العلماء إذا جاء النفي بصيغة الإستفهام يكون أبلغ من النفي المحض يقولون: لأنه يشرب بالتحدي والإعجاز وذلك إذا كان نفي بصيغة استفهام الآن هنا قال: ومن أظلم كان من الممكن أن يقال هل أظلم لكن نفي وبصيغة استفهام يكون أقوى من النفي المحض لأنه حينئذ يشرب بمعنى التحدي والإعجاز.

قال: ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة والمراد به الذرة واحدة النمل الصغار ورسول الله خاطب العرب بلغتها وليس المراد به الذرة النووية التي يقول

---

(١) البخاري (٧١٢٠) ومسلم (٢١١١).



عنها المتأخرون لا ذرة معروفة

«**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة**» هذا الذي يصور ويشكل قل له: يخلق ذرة صغيرة لا يستطيع، والخلق بمعنى التقدير قال الشاعر:

ولأنـــت تفـــري مـــا خلقـــت   وبعـض النـاس يخلـق ثـم لا يفـري

قوله: «**أو ليخلقوا حبة**» أيضا هذا يراد به التحدي يخلق حبة شام ذرة أو إيش ما كان أو ليخلقوا شعيرة.

والمنهي عنه من التصوير ذوات الأرواح أي تصوير ذوات الأرواح وهذا عموما لا يجوز تصوير ذوات الأرواح سواء كان إنسانا طيرا حيوانا أما ما لم يكن بذات روح فلا بأس كالجبال والزراعة والأشجار كما في الحديث:

«**إلا رقما في ثوب**»(١) والرقم هو الشيء الذي لا رأس له لا روح له جبل أي شيء يتعارف الناس عليه في هذه الملابس.



ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ»(٢).



قال: ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين**

(١) البخاري (٥٦١٣) ومسلم (٢١٠٦).

(٢) البخاري (٥٦١٠) ومسلم (٢١٠٧).

يضاهئون بخلق الله» ومعنى يضاهئون أي يماثلون والأشدية هذه تفيد أن هذا محرم وأن الله ﷻ يسخط عليه وهو يفيد ما أفاده الحديث الأول من تحريم صور ذوات الأرواح إلا ما كان ضرورة كالبطاقة ورخصة القيادة أشياء أنت ملزم بها من قبل المسئولين يحتاجون رخصة في كذا في الجواز في البطاقة في رخص أشياء كثيرة فأنت مجبور على ذلك أما الصور التي للذكرى تعلق على الجدران هذه لا تجوز والمصور الذي في السوق إن جاء إليه من يتصور للذكرى فهو آثم المصور والمصور كلاهما آثمان، لو جاء شخص قال: صورني للبطاقة صورني للجواز ليسا بآثمين، أما من أجل الذكرى من أجل ارسلها من أجل الناس ينظرونها هذا لا يجوز، وبعض الناس يصور مثل يتصور رب الأسرة ويجعلون صورته في البيت يتذكرونه إذا سافر إذا مات إذا كذا يوقعون أنفسهم في آثام كثيرة حرمة الصورة الملائكة تطرد وتحل الشياطين، قال النبي ﷺ: «**إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة**»[(١)].

ثالثا: أنه ربما يموت هذا الرجل فالصورة هذه تذكرهم به فيبكون والنبي ﷺ يقول: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله**»[(٢)] يعني يتألم في قبره ببكاء أهله نعم وكلنا سنموت ومن ذا الذي سيعمر فالذي تصور والذي لم يتصور كلهم إلى الفناء.



ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[(٣)].

---

(١) البخاري (٣٠٥٣) ومسلم (٢١٠٦).

(٢) البخاري (١٢٢٦) ومسلم (٩٢٨).

(٣) مسلم (٢١١٠).



ولهما عنه مرفوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[(١)].

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشرفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[(٢)].

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي».

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: «فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.



قال: ولهما أي للبخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها روحا يعذب بها في جهنم**» ولهما عنه مرفوعا: «من صور صورة

---

(١) البخاري (٦٦٣٥) ومسلم (٢١١٠).

(٢) مسلم (٩٦٩).

في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ» وهذا تحدي انفخ فيها الروح هذه الصورة التي شكلتها انفخ فيها الروح لن تستطيع، أي صورة لكن كما قلت لكم استثنى العلماء ما كان ضرورة، ولمسلم في صحيحه عن أبي الهياج وهو الأسدي تابعي جليل قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: **ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟»** يعني **رسول الله أرسلني من أجل إيش؟**

«ألا تدع صورة إلا طمستها» أي صورة على بطانية على طراحة على الجدران على أي شيء دخل النبي ﷺ بيت عائشة وعندها ستارة الحديث معروف ستارة فاغتاظ النبي ﷺ اشتطاط غضبا قالت عائشة: **أستغفر الله ماذا فعلت؟** فقال: **«أما علمت أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون فأخذت الستائر وشططتها عائشة** ﵂»[(١)] يعني انطمس منها الرأس أنت يكفي أن تطمس الرأس إذا قطع الرأس كما في الحديث فلا صورة وهذه الصور حقيقة مما عمت به البلوى فتجد المفتاح فيه صورة الصلصة فيها صورة الفلوس فيها صورة ما من شيء إلا وقد غزوه بالتصاوير أعوذ بالله غزوا كل شيء بالتصاوير ربما بعض البضائع لا تمشي إلا إذا كان فيها تصاوير وهناك بعض البضائع لجودتها تمشي من غير صور يعني تأملوا بعض البضائع الذي كذا مثلا يعرفها الناس من قبل عشرين ثلاثين سنة يشترونها من غير أن يكون عليها صورة ولكن نحن الآن في زمن لا حول ولا قوة إلا بالله الجشع والطمع عند بعض التجار، وهكذا أيضا اليهود والنصارى غزوا بهذه الصور المسلمين إلى عقر دارهم نسأل الله السلامة والعافية فالإنسان يعني يطمس ما استطاع طمسه وما لم يستطع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يعني أنت لست مطالب كلما رأيت صورة

---

(١) البخاري (٥٦١٠) ومسلم (٢١٠٧).



بالشارع أن تذهب تطمسها وربما كان حق الناس بعض الناس ربما يشوف فماذا - بارك الله فيك - صورة ليست لك لا يجوز لك أن تطمسها قد حصل في بعض السجون سجن بعض الناس ورأى صورة للرئيس فقام يطمسها هذا مغفل الآن يقولوا: أنك تحتقر الرئيس ولو كان حتى غير الرئيس لو دخلت مجلس في صورة غنمة والمجلس ليس مجلسك تقوم أنت تقطعها ولو رأيت حتى صورة خلاعة قل: يا أخي أنا والله أستأذن أن أخرج أما أن تقوم تقل حياءك وتقوم هذا ما يصلح هذا لا بد من الاستئذان رأيت مع شخص قلم فيه صورة أو تلفون فيه صورة انصحه قل له: لا يليق بك كذا وأنت رجل كذا ولك أولاد ولك زوجة لك بنات اتق الله خاف الله هذا حرام، الله يقول كذا والرسول يقول كذا أما أنك على طول تقطع أخبرنا أنه في حرب الأفغان الذي كان مع روسيا رسم بعض الشباب صورة غربتشوف هذا الذي كان رئيس روسيا يعني رسمه كذا ما بين صورة كلب وقرد وصورة غربتشوف يعني جمعه ثلاثا ثم أعطاها أحد العرب المجاهدين وهذا يظن الآن أنه قد قدم جمالة لما شوه بالرجال في صورته قال له: اتفضل فذاك بمجرد ما نظر هكذا قال: الصور حرام أخذها وقطعها ذاك مش فاهم يعني قال له: أنت شيوعي هذا الأفغاني الآن قال له: أنت ما غضبت الآن المهم فظل يشرح له أنه ما غضب ليش عمل هذا وإنما الصور حرام قال: ستقول لي: الصور حرام أما أنك تمزقها لا، فالإنسان له كرامة إلا أن يكون ابنك بنتك مرتك هذا يختلف الوضع طالبك تلميذك فيها احتمال لكن شخص مثلك شخص أكبر منك أنت دخلت بيت إنسان ركبت في سيارة إنسان لا حتى فيما يتعلق بالأغاني إذا ركبت في سيارة فيها أغاني انصح بالتي هي أحسن لا يكون الحال كما حصل يعني ركب واحد في سيارة مشوا أغاني فإذا به أول ما بدأ المسجلة تتغني بجانبه خبطها خبط المسجلة لما كسرها وبعدين قاموا تضاربوا هو وصاحب السيارة

وبعد قام الناس تعصبوا مع صاحب السيارة وانقسموا إلى فريقين ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] نسأل الله السلامة والعافية، لا، لا بد من الرفق ولا بد من فقه الدعوة إلى الله ولكن قل: يا جماعة اتقوا الله خافوا الله الأغاني في حولها كلام الله يقول كذا والرسول يقول كذا لما الناس أنت تتكلم بكلام طيب الناس كلهم يقومون معك لكن لما تبدأ تتقارح من بداية الأمر الناس يغضبون انتبه وبعدين بعضهم مش فاهم بعض الناس مش فاهم بعضهم الآن يتصل علينا في رمضان من أجل أشياء يسأل عنها يظنها من المفطرات يقول لك يعني مثلا: **يجوز له ينظر إلى زوجته في رمضان؟ أو لا يجوز؟ هل يجوز أن يرقد مع زوجته في فراش واحد في رمضان؟ أو لا يجوز؟** يعني في رمضان يقول لك: أنا إذا خرجت في الصباح من البيت لشراء المقاضي أو كذا فبعدين مثلا نسي ما شعر إلا وقد أكل من هذه الأغراض شيء وربما يزعجك على هذا على أنه مثلا ما يفطر بذلك لكنهم يجهلون مثل هذا الشيء عن حسن نية فالناس في اليمن مسلمين في السعودية مسلمين في العراق مسلمين الدول العربية بشكل عام مسلمين فأنت تخاطبهم بالفطرة التي وهبهم الله ﷻ إياها فعلي بن أبي طالب يقول لأبي الهياج: **ألا أبعثك على ما بعثني عليه النبي ﷺ؟** «**ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرا مشرفا إلا سويته**» أي قبر مرتفع، لأن الأضرحة هذه هي دليل الشرك والعياذ بالله فما خرج من القبر من التراب يعاد إليه هذا هو ولا يزاد على ذلك إطلاقا، والله المستعان.

باب ما جاء في كثرة الحلف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في كثرة الحلف

الباب لغة: يطلق ويراد به الباب الحسي الذي يدخل الناس ويخرجون منه كذلك وأرادوا به الباب المعنوي في كتب الفقه والحديث وما شابهها فهذا مصطلح درج عله المؤلفون في كتبهم ويعنون بذلك الجملة العلمية المختصة من الكتاب وهو دون الكتاب وفوق الفصل لأن الفصل: عبارة عن مسائل تشبه بعضها البعض.

قوله: ما جاء أي ما ورد ما ثبت ما أتى.

في كثرة الحلف أي من التشديد أو من الترهيب أو من الآيات والأحاديث في هذا الباب ما جاء في كثرة الحلف.

المناسبة: مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن الاستهانة بشأن الحلف ينقص التوحيد والله ﷻ قد ذم الذين يكثرون الأيمان فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم:١٠] حلاف على وزن فعال كثرة حلف ويقول سبحانه عن المنافقين: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦] أي وقاية سترة يستترون بها فما يتكلم إلا والله والله

والله فالمؤمن لا ينبغي له أن يحلف إلا لأمر محقق أو إذا طلب منه وهو يعلم مصداقية ذلك والحلف: هو اليمين أو القسم وهو تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة بصورة مخصوصة بحرف من حروف القسم والله وبالله وتالله ولا يجوز القسم إلا بالله أما بغير الله فلا يجوز لا تقسم بالجاه ولا برأس أولادك ولا بالعيش والملح ولا بالزمالة ولا بالصداقة ولا بشرفك ولا بوليك الذي تعتقده وإنما:

«**من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت**»(١) يعني يسكت والنبي ﷺ يقول: «**من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق**»(٢) ويقول النبي ﷺ: «**من حلف بالأمانة فليس منا**»(٣) وأدرك النبي ﷺ عمر وهو يقول: وأبي قال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**» قال: فوالله ما عاد عمر لها ذاكرا(٤)، أي ما زاد يحلف بأبيه وإنما يحلف بالله.



وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة:٨٩].



قال: وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة:٨٩] هذا أمر من الله ﷻ بأن يحفظ المسلم يمينه وحفظ اليمين له ثلاثة مراتب:

---

(١) البخاري (٢٥٣٣) ومسلم (١٦٤٦).

(٢) البخاري (٤٥٧٩).

(٣) صحيح: أبو داود (٣٢٥٣) وأحمد (٢٣٠٣٠) وابن حبان (٤٣٦٣) والبيهقي في الشعب (١١١١٦) انظر حديث رقم: ٦٢٠٣ في صحيح الجامع.

(٤) البخاري (٦٢٧١) ومسلم (١٦٤٦).



المرتبة الأولى: مرتبة الإبتداء وذلك بعدم الحلف لا تحلف بدل ما تتعب نفسك لا تحلف هذا أحد تفسير حفظ اليمين وهو عدم حلفك.

المرتبة الوسطى: وذلك بعدم الحنث، حلفت فحنثت بمعنى حلفت على أمر مستقبل والله مثلا لا أزور فلان فراجعت نفسك ونظرت إلى الشريعة أنه لا بد من أن تزوره وهو أخوك هنا تكفر عن يمينك يقول النبي ﷺ: «**وإني إن شاء الله لن أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها فآتي الذي هو خير وأكفر عن يميني**»(١).

المرتبة الثالثة: مرتبة الإنتهاء انتهاء الشيء وهو أحد أوجه حفظ اليمين وذلك يكون بالكفارة وكفارة اليمين ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه في سورة المائدة قال سبحانه:

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٥] بقي معنا أن الأيمان ثلاثة أيضا:

يمين لاغية: وهو ما يجري على اللسان وما عقدته على القلب والله وبالله وتالله خذ هذا والله اتفضل عندنا والله هذا لا يحسب.

واليمين المعقودة: وهي التي حديثنا حولها.

واليمين الغموس: وهي اليمين الباقية الفاجرة قال النبي ﷺ: «**من حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مال امرئ مسلم أو حق مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**»(٢) هذه اليمين سميت غموس لأنها تغمس صاحبها، قيل: في النار وقيل: في الإثم ولا يستبعد الأمران فالله سبحانه وتعالى يقول في الكفارة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ [المائدة:٨٩] انعقد في القلب قصدته قصدت هذا اليمين

---

(١) البخاري (٦٢٤٩) ومسلم (١٦٤٩).

(٢) البخاري (٢٢٢٩) ومسلم (١٣٨).

قال سبحانه: ﴿فَكَفَّرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩] والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: والله ما حلفت بالله صادقا ولا كاذبا.

والمتأمل في أحوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يحلف قال: كان يقول:

«**لا ومقلب القلوب**»(١) ويقول: «**والذي نفسي بيده لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(٢) يقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أحلف بغيره صادقا(٣).

وعلى أية حال ينبغي للمؤمن أن يكون صادقا في قوله وفي يمينه وفي أموره كلها قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

الإمام ابن جرير الطبري يعلق على قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩] قال: أي لا تتركوها بغير تكفير وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس قال: يريد لا تحلفوا وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس فإن القولين متلازمان فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف وعدم التعظيم لله وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

---

(١) البخاري (٦٢٤٣).

(٢) البخاري (٤٠٥٣) ومسلم (١٦٨٨).

(٣) صحيح: الطبراني في الكبير (٨٩٠٢) وعبد الرزاق في المصنف (١٥٩٢٩) وابن أبي شيبة (١٢٢٨١) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٣)



عن أبي هريرة ﵁: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ» أخرجاه(١).



وعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلف منفقة**» وجاء في بعض الروايات: «**منَفقة للسلعة ممحقة للكسب**» أخرجاه أي في الصحيحين. الحلف منفقة بمعنى أن الحلف يجعل رواجا لهذه السلعة والمراد بالحلف الحلف الكاذب كما بينته رواية صحيحة في مسند أحمد فيأتي بالسلعة يقسم أنها أصلية أو من المصنع الفلاني أو أنه اشتراها بكذا وكذا أو أنها موديل كذا وهي ليس كذلك فالناس يغترون بهذا اليمين فينخدعون ومن خدعنا بالله انخدعنا له لكن الجزاء من جنس العمل هو يحلف من أجل ينفق سلعته ثم هذا المال الذي اكتسبه يكون وبالا على المكسب الذي اكتسبه وذلك أن النبي ﷺ يقول: «**ممحقة**» أي متلفة «**للكسب**» والله المستعان فهو إن ربح من جهة خسر من جهات كثيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله وعلى التاجر البائع أن يكون صادقا دون أن يحلف يمينا ما في داعي لحلف الأيمان الله ﷻ يقول: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥] وجاء من حديث حكيم بن حزام في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يفترقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»(٢) قل له: هذا الحاصل الذي تراه أمامك إن كنت تريد شراءه وإلا فدعه حتى أن الناس الآن صاروا لا يصدقون الحلاف أو الثرثار الذي يعتدي إلى الشارع فيدخل الناس محله وبعدين

(١) البخاري (١٩٨١) ومسلم (١٦٠٦).

(٢) البخاري (١٩٧٣) ومسلم (١٥٣٢).

ينزل ويقلب ويمسك الناس يفرون من هذا المحل لأن هذا يريد أن يمشي بضاعته بالإحراج، وهكذا بعضهم صار الآن يستخدم حيل أخرى يأتي ببنات فيضعن على أنفسهن الأصبغة والتلاوين وما إلى ذلك من أجل أن يكون هذا رواج للسلع وعلى المسلم أن يكون بعيدا من هذه المحلات ولا ينبغي له أن يكون رقيق الدين فيدخل المحل الذي فيه بنت في محل اتصالات مثلا أو بنت في محل بيوع ومشتريات إلا للضرورة كأن تدخل مكان مرفق حكومي ومعاملتك في هذا المحل فهنا أنت مضطر

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها.



وعن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ» رواه الطبراني بسند صحيح(١).



قال: وعن سلمان، هو الفارسي أبو عبد الله قيل: تعمر مائتين وسبعين وقيل ثلاثمائة وسبعين سنة اختلفوا في المائة الثالثة رضي الله عن سلمان، سلمان الخير كان أبوه مجوسيا وهو خرج يبحث عن الحقيقة فتنقل من راهب إلى راهب حتى وجد الحقيقة وهو نبينا ﷺ فإنه حق وجده بعد أن تعب كثيرا ولكن هكذا من جد وجد ومن سار على الدرب وصل حتى وجد النبي ﷺ فرضي الله عن سلمان. يروي هذا الصحابي الجليل أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله**»، ثلاثة هنا نكرة ولكن جاز

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (٦١١١) والصغير (٨٢١) انظر حديث رقم: ٣٠٧٢ في صحيح الجامع.



الابتداء بها كما قال بعض الشراح: لأنها أفادت التقسيم، وجملة «**لا يكلمهم**» هي الخبر «**ثلاثة لا يكلمهم الله**» ثلاثة أجناس والتكليم هو الاسماع إسماع القول بحرف وصوت مسموع هذا هو الكلام عند الإطلاق وهل ما يكون في النفس يسمى كلاما على وجه الإطلاق لا لكن على وجه التقييد فقد يكون كلاما أو يسمى قولا كما قال الله ﷻ عن المنافقين:

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة:٨] وجاء في البخاري أيضا أن عمر بن الخطاب ﵁ لما كانوا مجتمعين في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي ﷺ ورسول الله لا زال مسجى ببرده قبل أن يدفن فقام فاجتمع الصحابة فقال بعض الأنصار: منا أمير ومنكم أمير وقال بعضهم: منكم الأمراء ومنا الوزراء قال عمر: فزورت كلاما في قلبي، في نفسي يعني حضرته قدرته جمعته ثم قام أبو بكر فتكلم قال عمر: فما ترك شيئا أردته إلا أتى به توفيق من الله ﷻ ثبتهم الله والمؤمن دائما مثبت ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله**» لا يكلمهم الله أي كلام رحمة كلام إكرام لا يكلمهم الله كما أنه حجب المنافقين عن رؤيته كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المطفِّفين: ١٥-١٦] هؤلاء لا ينظر الله إليهم نظر رحمة وهؤلاء لا يكلمهم الله كلام رحمة وكلام شفقة. ويؤخذ من هذا أيضا إثبات صفة الكلام وهذه عقيدتنا في كلام ربنا سبحانه أنه يتكلم بكلام أزلي حادث متى شاء وكيف شاء وبما شاء يقول النبي ﷺ: «**إذا أحب الله فلانا نادى جبريل: يا جبريل إني**

أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم يوضع له القبول في الأرض»[(١)] وهكذا ما من ليلة إذ بقي الثلث الآخر ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ فالله يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة بخلاف عقيدة الأشاعرة الذين يقولون: كلام الله نفساني أو الجهمية الذين أبطلوا صفة الكلام أو المعتزلة الذين يقولون: كلام الله مخلوق ونحن نقول: الله له خلق وله أمر فالكلام من أوامره ولا ينبغي لنا أن نعتقد أن الله يتكلم بآلة كآلتنا فلا ندري لكنه يتكلم حسبنا أن نقول إنه يتكلم.

قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله**» نفى عنهم هذه الكرامة.

«**ولا يزكيهم**» التزكية هي التعديل والتوثيق هؤلاء لا يوثقهم الله ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم أي عذاب مؤلم موجع شوف لا حول ولا قوة إلا بالله لا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. من هم هؤلاء؟

قال: «**أشيمط زان**» أصلها زاني ولكن حذفت الياء للتخفيف وأشيمط هو من اختلط شعره بالبياض وقال: أشيمط تصغير تحقير لشأنهأشيمط يعني رجل كبير شيبة ولكن أعوذ بالله مدبر زاني وهو كبير السن وهل الزنا حلال؟

حرام قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] أي ساء طريقا مصائب الزنا كثيرة أمراض، اختلاط أنساب، توريث من ليس بوارث، ادخال على محارم الناس من ليس منهم، بلاوي، شتات نسأل الله السلامة والعافية ولماذا كانت هذه العقوبات؟لأن هذا الرجل كبير السن من شأنه أنه عاقل ومن شأنه

---

(١) البخاري (٣٠٣٧) ومسلم (٢٦٣٧).



برود شهوته بخلاف الشاب فإنه عنده شيء من النزوة الشاب عنده ثوران شهوة فربما قادته إلى الحرام فيرجع يتوب ويستغفر لكن هذا ضعيف المقتضى وما زنا إلا لشر متأصل في قلبه ألف هذا الباب باب الحرام أعوذ بالله

لو كنت حرا من سلالة ماجد ... ما كنت نهاكا لحرمة مسلم

إن الزنا دين فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

هذا هو الأول: لا يكلمه الله ولا يزكيه وله عذاب أليم.

قال: «**وعائل مستكبر**» فقير من شأنه أن يتواضع ليس من شأنه أن يتكبر والكبر يفسره النبي ﷺ بأمرين قال: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(١) رد الحق ودفعه على قائله، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم فمن شأن هذا الفقير أن يتواضع الفقير والغني مطالبين بالتواضع لكن لما كان عنده ضعف مقتضى فكانت العقوبة شديدة.

الثالث: «**ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**» الحديث رواه الطبراني بسند صحيح وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع نسأل الله السلامة.

فلا يبيع شيئا إلا أقسم اليمين سواء كان هذا اليمين حقا أو باطلا فاجرة لا يبالي فكانت هذه العقوبة الشديدة لهؤلاء الثلاثة عياذا بالله.



(١) مسلم (٩١).

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(١).



قال: وفي الصحيح عن عمران بن حصين ويكنى بأبي نجيد رضي الله عنه، هذا عمران بن حصين كانت الملائكة تسلم عليه تقول له: السلام عليك يا عمران فلما اكتوى تركت الملائكة التسليم عليه.

يروي هذا الصحابي الجليل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير أمتي قرني**» القرن الجيل وقيل بمعنى الطائفة يطلق على الزمان ويطلق على المقدار قيل: قدره ثمانون عام وقيل: أربعون وقيل: مائة وقيل: مائة وعشرين.

وقوله: «**خير أمتي**» الخيرية لأمته أمة الإجابة لأن أمته أمتان أمة دعوة وأمة الإجابة أمة الإجابة هم المسلمون وأمة الدعوة هم اليهود والنصارى ومن لم يؤمنوا.

وأفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين وكذلك أفضلية أمته على سائر الأمم ثم أفضلية أصحابه وخيريتهم على بقية القرون إلى قيام الساعة.

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم ضربوا أروع الأمثلة في كل الأبواب

أولئك آبائي فجئنا بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

قال: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم**» القرن الثاني «**ثم الذين يلونهم**» قال بعض

(١) البخاري (٢٥٠٨) ومسلم (٢٥٣٥).



أهل العلم: للإخلاص والجهاد والعلم والتربية والتزكية والأمانة صفات كثيرة جدا فازوا بها قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا وقد جاء زيادة رابعة ولكنها لم تصح كما أفاد ذلك ابن حجر.

قال: «**ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون**» يأتي بالشهادة يشهدون ولا يستشهدون وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم وقلة ورعهم فهو يشهد هكذا زورا ولا يبالي بأمر الشهادة ويخونون، والخيانة المراد بها الغدر وهي من خصائص المنافقين المنافق إذا خاصم فجر وإذا اؤتمن خان سواء خان علمه كان عنده علم فخان هذا العلم العلم يحرم عليه النظر يحرم عليه كذا وهو يخالف أو أعطيته أمانة فخانها أعطيته سر أيضا خانك في سر الحديث عام

إذا ما المرء أخطأه ثلاث ... فبعه ولو بكف من رماد
سلامة صدر والصدق منه ... وكتمان السرائر في الفؤاد

فهؤلاء يخونون ولا يؤتمنون والنبي ﷺ يقول لابن عمر: «**أربع إن كن فيك لا تبالي على ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وأداء الأمانة وعفة الطعمة وحسن الخلق**»[(١)] رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني.

قال: «**وينذرون ولا يوفون**» النذر لغة بمعنى الإلزام واصطلاحا: إلزام الشخص نفسه بطاعة الله وهي ليست واجبة عليه وذهب كثير من الفقهاء بل كل العلماء إلى كراهيته وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وكثير من العلماء معه إلى تحريمه، محرم لأن المرء ألزم نفسه بهذا النذر ما أحد ألزمه لكن إذا ألزمت نفسك فعليك الوفاء قال ﷻ:

---

(١) صحيح: أحمد (٦٦٥٢) والحاكم (٧٨٧٦) والبيهقي في الشعب (٤٨٠١) انظر حديث رقم: ٨٧٣ في صحيح الجامع.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان:٧] ويقول النبي ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»(١) واجب عليك أن تطيع الله ﷻ.

وبعض الناس ينذر وبعدين يعجز وبعدين يرجع يدور على مخارج كيف افعل أكفر دلوني هو ألزم نفسه وذلك لقلة الدين وإلا يفكر ثم أيضا جاء في بعض الأحاديث:

«**أن النذر لا يدفع حذرا ولا يجلب نفعا**» النذر إنما تضبل به وإلا فلا يرد المقدور إذا نزل أمر الله فلا يرد بشيء وكان أمر الله قدرا مقدورا أمر الله لا يندفع بهذا النذر قال: إن شفى مريضي قد يشفى وقد لا يشفى رجل كما يقال نذر لحماره ثلاث أيام أو عشرة أيام فيصوم العشر الأيام كمل العشر الأيام مات الحمار اليوم العاشر مات الحمار حقه وهو أحمق فكان يقول: والله لأخصمها من رمضان، هو الذي ألزم نفسه بهذا وإلا فما أراده الله كان وما لم يشأ لم يكن لا تنذر ادع الله باب الدعاء ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم:١- ٤] بعدين إيش حصلك أعطاه الله يحي على الكبر فعليك أن تفتتح باب الدعاء والرجاء

أتهزأ بالدعاء وتزدريه	**ولم تدر ما فعل الدعاء**
جنوح الليل لا يبقي ولكن	**له أمد وللأمد انقضاء**

قال: «**ويظهر فيهم السمن**» هذا دليل على الرفاهية وعلى الغرور بالدنيا ونسيان الآخرة فمن جاءه السمن وفيه هذه الصفات يشهد ولا يستشهد يخون ولا يؤتمن ينذر

(١) البخاري (٦٣١٨) (٦٣٢٢) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٣٨٠٦) وابن ماجة (٢١٢٦) وأحمد (٢٥٩١٩).



ولا يوفي فهو يشمله هذا الحديث ومن كان قصده وجه الله وهو يشهد شهادة حق وإذا نذر وفى وإذا أؤتمن كان أمينا ثم سمن فهذا شيء من الله ﷻ جاء اتفاقا فالله ﷻ هو الذي بيده القوة والضعف وقد كان من الصحابة من هو سمين ووكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللَّهُ لما وصل من العراق كان سمينا قالوا له: **زاهد العراق بهذا الجسم؟** فكان يمزح قال: هذا من فرحي بالإسلام.



وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[1].

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار[2].

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

---

(١) البخاري (٢٥٠٩) ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) البخاري (٣٤٥١).



السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.



قال: وفيه، أي في البخاري عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال:

«**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**».

قال إبراهيم النخعي من التابعين: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار، يعني كان السلف يضربون أبناءهم إذا شهدوا زور وهذا يدل على فقه علم السلف وكذلك أيضا يؤخذ منه تربية الصغير على الشهادة ويؤخذ منه جواز قبول شهادة الصغار بعضهم على بعض لأن الكبار يندر وجودهم مع الصغار فالصغير إذا جاء إلى الحاكم يشهد وتقبل شهادته فيما إذا كان بينهم البين صغير رمى فريم سيارة رمى بيت فلان انكسر الزجاج رمى فلان انخزقت عينه انكسر رأسه قضايا كبيرة جدا فالسلف كانوا يضربون أبناءهم والنبي ﷺ يقول:

«**علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب**»[(١)] ويقول: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**»[(٢)] وليس كما يقول بعضهم: أنها وحشية، لا يكون الضرب ولكن برفق بشرط أن يكون الابن يدري لماذا أنت

---

(١) حسن: الطبراني في الكبير (١٠٦٧١) انظر حديث رقم: ٤٠٢٢ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أبو داود (٤٩٥) وأحمد (٦٧٥٦) والدارقطني (٢) وانظر صحيح أبي داود (٤٦٦).



ضربته أما تضربه وهو لا يدري فهذه بلية والصغار أمانة في أعناق الكبار فعلى الآباء أن يتقوا الله ﷻ في أبنائهم والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا:

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قوله: باب المراد به الباب المعنوي وهو الاسم للجملة العلمية المختصة من الكتاب ويطلق ويراد به الباب الحسي أيضا كباب المسجد والمدرسة وما إلى ذلك فتلك أبواب حسية وهذه أبواب معنوية ودرج العلماء فيما مضى وحاليا في التبويبات باب من أبواب العلم بخلاف الكتاب فإنه اسم جنس كأن تقول حب يشمل كثير من الحبوب أما باب فكأنه يشمل نوعا واحدا من الحبوب.

قوله: ما جاء، ما هاهنا موصولية بمعنى الذي ما جاء أي ما ورد من الآيات من الأحاديث من الأحكام من الترهيب من الترغيب فهو على حسب ما ترجم له.

قوله: ما جاء في ذمة الله، الذمة بمعنى العهد وسمي بذلك لأنه يلتزم به كما يلتزم صاحب الدين بالوفاء بدينه وإلا كان مؤاخذ به من حديث ثوبان في مسند أحمد قال



النبي ﷺ: «**من مات وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والغلول**»[(١)] فهو بمعنى الالتزام ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٤]﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١].



وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١].



قال: وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].

مناسبة إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد:

أن نقض العهود فيه نقص في جناب التوحيد لأنه يدل على عدم احترام عهد الله ومن لم يحترم عهد الله نقص توحيده كأن يقول: انزل أنت لك عهد الله كذا وبعدين تغدر والمنافق إذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر فالعهد بمعنى اليمين بل ربما كان أكبر من اليمين وتعرفون - بارك الله فيكم - اليمين شأنها عظيم فما بالك بالعهد فهو أبلغ، الأيمان ثلاثة لغو اليمين وهو ما يجري على الألسن كقول العبد: لا والله وبلى والله وليس لها هذه كفارة كما قال الله ﷻ:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥/ والمائدة: ٨٩] ويتبع اللغو أيضا في

---

(١) صحيح: الترمذي (١٥٧٢) وسنن البيهقي الكبرى (١٧٩٨٧) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٩٢).

اليمين من حلف على شيء يظن أنه كذا فتبين خلافه يقول: والله إن زيدا قدم باعتبار غلبة الظن أنه قال: أنا سآتي في الساعة الفلانية وكذا ثم لم يأت ليس عليه كفارة ويمين تسمى يمين فاجرة وتسمى أيضا بالغموس وهذه اليمين كاذبة يحلف صاحبها ويدري بأنه كاذب قال النبي ﷺ: «**من حلف على يمين يرى أنه فيها كاذب لقي الله وهو عليه غضبان**»[١] فهذه ليس لها كفارة أيضا ولكن لها توبة بشروطها الستة: الإخلاص والصدق والإقلاع والندم والعزم وإن كان هناك حق لآدمي أرجعه لا بد من هذا، ويمين معقودة وتعريفها: أن يحلف على معنى معقودة أي مقصودة من القلب أقسم بالله أن الأمر على كذا وكذا هذه يمين معقودة أو يحلف على شيء يريد أن يعمله فيعجز يقسم مثلا أنه سيعطي زيدا كذا ثم ما استطاع أو ألا يعطي زيدا كذا ثم لم يستطع ثم راجعته نفسه فيعطيه فهنا يكفر قال النبي ﷺ: «**وإني إن شاء الله لن أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني**»[٢] فعهد الله شأنه كبير وعظيم والإنسان مؤاخذ به ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٤] وعليه فإن باب العهود أوسع من باب البيعات فالبيعة الشرعية هي لإمام المسلمين بيعة بايع في كذا وهناك بيعة تكون في أوقات ضيقة وحرجة كما حصل من عكرمة بن أبي جهل لما تبايع مع بعض الصحابة في بعض الغزوات على الموت حتى ماتوا بخلاف العهد فإن أبوابها واسعة وكثير من الجماعات الإسلامية تأتي بالعهد يقول لك: عاهد أنك تنصر هذه الجماعة ما يقولون هكذا بداية يقولون: عاهدنا على أن نعمل بالكتاب والسنة ونتناصر وكذا وبعدين وأن ألزم هذه الجماعة وأن أنصر

---

(١) البخاري (٢٢٢٩) ومسلم (١٣٨).

(٢) البخاري (٦٢٤٩) ومسلم (١٦٤٩).

هذه الجماعة أنت لما تقول: أنا أعاهد الله على أن أعمل بالكتاب والسنة يعني بعد لحظات أنت سوف تخرج من هذا العهد مرت من جانبك امرأة نظرت إليها خلاص هنا ما وفيت بالعهد كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فليش تلزم نفسك وتقيد نفسك وتحصر نفسك أنت مسكين

ومـن ذا الـذي ترضـى سـجاياه كلهـا كفـى المـرء نـبلا أن تعـد معايبـه

فلا ينبغي للشخص أن يقبل مثل هذا لكن اشترك رجلان في عمل في مشروع تجاري فخشي أحدهما أن يخونه الآخر قال: عاهدني قال: عاهدني ما في هذا شيء عاهدني على كذا فإن خان أحدهما فهو آثم نقض العهد بعض الناس يأتي إليك بغيبة ونميمة ويأخذ عليك العهد قبلها إن في قلبي كلام وأريد أفرغه إليك ولكن عاهدني أنك ما تخرجوش وهو كذاب يريد يحنبك بهذا الكلام ويفعل بينك وبين فلان وحشة قل له: لا أنا ما ألتزم معك كلام تقوله مستعد تواجه وإلا اتركني من هذه القلقلة والبلبلة لا أريد أن أسمعها إطلاقا يالله مع السلامة.

بل يقول بعض أهل العلم في قول الله ﷻ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦] أن هذا يعتبر فاسق وإن كان ثقة لأنه نقل كلام بقصد الإفساد والمؤمن عذار والمنافق عثار المنافق همه أن يفرق لا أن يجمع فالله ﷻ يقول:

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل:٩١] وهذا فعل أمر ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١] بعد أن توكد اليمين فلا ينبغي لك أن تنقضه قال: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ [النحل:٩١] يعني الكفيل هو الله ومن خدعنا بالله انخدعنا به جاء في صحيح البخاري أن رجلا كان في غير بلده احتاج من رجل ألف دينار مبلغ كبير قال: **من الشهيد؟** قال: كفى بالله شهيدا قال: **من الكفيل؟** قال: كفى بالله كفيلا

فأعطاه والوعد شهر ثم أراد بعد ذلك أن يرسل بالمبلغ في اليوم المحدد فلم يجد مركبا رأى خشبة أخذها فرجعها قطعها ونحتها ووضع في وسطها المبلغ وزججها وكتب: اللهم يا رب إن صاحب هذا المال طلب الكفيل فقلت: أنت الكفيل وطلب الشهيد فقلت: أنت الشهيد اللهم فأدها إليه كان الناس عندهم يقين ثم رماها البحر خرج صاحب المال ينتظر هل يصل مركب من أجل يستلم مبلغ لم ير إلا تلك الخشبة تلعب بها الأمواج قذفها الموج فقال الرجل: يأخذها حطبا فلما أراد أن ينحتها وجد المبلغ والورقة وجده بعد فترة يريد أن يعطيه المال يظن قد راح في البحر قال له: لا إن الكفيل والشهيد قد أدى عنك وصلت الخشبة بما فيها[(١)] كان عند الناس يقين.

في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم تعرفون هذا من العباد كان من أولاد الوزراء وكان عنده لهو وطرب فخرج مرة إلى الصيد يلعب فهتف به هاتف من الجن أو من الملائكة قال: كفى يا إبراهيم إلى متى لهو فترك الوزارة والإمارة وخرج تقشفا فكان من الأولياء ويضرب به المثل في الولاية قيل: إنه كان على جبل فقال: إن من عباد الله من لو أمر الجبال أن تتحرك لتحركت فأراد الجبل أن يتحرك فركضه برجله وقال: إنما ضربت بك مثل.

الشاهد من ذكري لهذا أنه كان مرة في سفينة فاضطربت الأمواج ولعبت بالسفينة فقال بعض الملاحين: هاهنا أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم كلموه يدعو الله أن يوقفها فجاءوا وهو نائم في مؤخرتها قد انعطفت عنقه فقالوا: **يا أبا إسحاق ألا تدري ما بلغ به الناس؟** فاستيقظ والصياح مرتفعة في السفينة فقال: اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك

---

(١) البخاري (٢١٦٩).



بكلمتين فهدأت السفينة وهذا ليس بالشخصيات لا يبلغ الشخص هذا المستوى ولا بالعبارة ولا بالأدب ولا بالملك والمال وإنما يا إخوان بالإخلاص والصدق مع الله

لا تهـــيء كفنـــي يـــا عـــاذلي إن لـــي مـــع الليـــل مواعيـــد وعهـــد

هنا كلام طيب للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي يوضح هذه الآية قال ربنا ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩١- ٩٢] قال:

وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان سبحان الله التي عقدها إذا كان بها برا ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين.

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] إبراهيم طلب المقام له ولذريته ونحن من ذريته قال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الظالم الذي ظلم نفسه بالزنا بالشهوات بالغيبة بالنميمة بكذا ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ المسألة ما هي سهلة.

قال: وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكده على نفسه فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة ولكن هنا وقفة لا ينبغي للشخص أن يحرج أخاه المسلم حتى يضطره إلى الكذب أو إلى إخلاف الوعد شخص أراد أن يستلف من شخص خمسين ألف قال: والله يا أخي الأمور كذا وهو عنده أدب ما يريد أن يقول له: ما أعطيك أو ما عندي ولكن يقول: أسأل الله أن ييسر أمرك وكذا فذاك يلح عليه يعطيه

رسائل جوال المهم يضطره إلى أن يخلف الوعد مثل ما جاء في البخاري من حديث جعفر في قصة جعفر بن أبي طالب لما مات ذهب رجل إلى رسول الله وقال: يا رسول الله إن نساء جعفر ينحن يبكين على جعفر مات فنساؤه تبكي عليه، أي شيء في هذا هذا أمر قدره الله والشيخ العثيمين يقول: إذا رأيت المرأة أو الطفل يبكي دعه من شان يفرج عن نفسه، ويقول ابن القيم: إن البكاء للطفل أيضا يوسع مجاري الحلق وينشط الدماغ الرطبة في المخ فماذا؟ قال: «**مرهن فليسكتن فذهب فأمرهن وما سكتن رجع إلى رسول الله مرة ثانية فذهب ولم يفعلن ثم رجع حتى أوغر قلب النبي ﷺ في الثالثة أو الرابعة قال له:**

«**مرهن أن يسكتن أو فاحثو في وجوههن التراب فذهب الرجل ليأخذ ترابا ويحثو في وجوههن قالت له عائشة: والله لن تفعل فإنك ما زلت به حتى قال ما قال**»[(١)] فالإلحاح لا ينبغي حتى توقعه في إخلاف الوعد.

أو تخرج معنا إلى صنعاء قال لك: يا شوف كذا مش راضي فتحاول أنت كذا وتأخذه غصبا ليش خل الأمر طبيعي إلا من كان ابنك بنتك زوجتك ابن ابنك مسئوليته بيدك أما دع الناس الناس أحرار في مثل هذه فلا ينبغي للشخص أن يضطر الغير وأن يؤثمه ولكن إن رأيت عنده تفاعلا فكررت عليه وإذا لم فلا ينبغي قال: فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة شوف مع القدرة بمعنى إذا لم تكن القدرة فهو لا لوم عليه ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلۡأَيۡمَـٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١] بعقدها على اسم الله تعالى ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ [النحل:٩١] أيها المتعاقدون فلا يحل لكم ألا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلا

(١) البخاري (٤٠١٥) ومسلم (٩٣٥).



فيكون ذلك ترك تعظيم لله واستهانة به وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلا وهكذا من حلف له بالله فليرض وفي بعض الأحاديث «**من حلف له بالله فليرض**»[١] وإن كان كاذبا لا تظن ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢].

اشترك رجلان في بقالة في السعودية فجحد أحدهما الآخر قال: ما عندي لك شيء لأن الأوراق باسم واحد منهم فقط أنا أعطيك من عندي هكذا عيش وملح وجبر خاطر مائة ألف وذاك عرف أنه لو وقف في أي محكمة أنه با يغلبه لأنه كما يقال: أنا ابن البلد يا بوي فقال: أنا آخذ منك هذا ولكن أمام ناس قال: يا أخي أعطني اليمين وربي وربك الله فأخذ المائة الألف وزجف له ذاك يمين في اليوم الثاني مباشرة أصيبت البقالة بشرت كهرباء حتى صارت كالصريم حرق كل ما فيها وصار في عداد الشحاذين والآخر صاحب المائة الألف السعودي نفع الله ﷻ بها فلا تظن كلمة والله والله وبعض الناس قد يحلف كذاب وبعدين الله ﷻ ما يآخذوش وبعدين يحلف يظن أن الله ﷻ غافل يغالط أرحم الراحمين لا.

ذكروا في ترجمة الربيع بن خثيم أن امرأة دعته إلى رذيلة فقال لها: يا أمة الله إن الله يستر ويستر ثم يغضب غضبة فيهتك فلا ينبغي للشخص أن يغتر بستر الله حلفت اليوم وبكرة وكذا وكذا هذه مخبآت لك على شان كما يقال عندنا في بلاد الأعروق: يعني يجعل لك الصلع فطيرة.

قال: الذي جعلت الله فيه كفيلا فكما ائتمنك وأحسن ظنه فيك فلتف له بما قلته

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٢١٠١) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٥١٢) انظر حديث رقم: ٧٢٤٧ في صحيح الجامع.

وأكدته إن الله يعلم ما تفعلون فيجازى كل عامل بعمله على حسب نيته ومقصده ولا تكونوا في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على صفة متعاطيها وذلك كالتي تغزل غزلا قويا فإذا استحكم وتم ما أراد ما أريد منه نقضت غزلها من بعد قوة فجعلته أنكاثا فتعبت على الغزل ثم على النقض ولم تستفد سوى الخيبة والعنا وسفاهة العقل ونقص الرأي فكذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة.

وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل:٩٢] أي لا تنبغي هذه الحالة منكم تعقدون الأيمان المؤكدة وتنتظرون فيها الفرص فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير قادر على الآخر أتمها لا لتعظيم العقد واليمين بل لعجزه وإن كان قويا يرى مصلحته الدنيوية في نقضها نقضها غير مبال بعهد الله ويمينه كل ذلك دورانا مع أهوية النفوس وتقديما لها على مراد الله منكم وعلى المروءة الإنسانية والأخلاق المرضية لأجل أن تكون أمة أكثر عدد وقوة من الأخرى وهذا إنما يبلوكم الله به امتحانا حيث قيض لعباده من أسباب المحن ما يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقي وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيجازى كلا بعمله ويخزي الغادر.



عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا فقال: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا



أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا» رواه مسلم[(١)].



بقي علينا حديث بريدة بن الحصين الثابت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا،

وكان هذه تفيد المضي وأيضا في زمن النبي ﷺ الاستمرار إذا كانت هذه عادته وسجيته.

---

(١) مسلم (١٧٣١).

كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا أمر سرية أمير سفر على جيش أو سرية يقول:

أو هذه ليس للشك وإنما هي للتنويع لأن الجيش ما زاد على أربعمائة رجل والسرية ما كان دون ذلك فهنا إذا أمر أميرا على جيش أو سرية دون ذلك أوصاه والوصية العهد بالشيء إلى غيره على وجه الاهتمام بذلك يوصيه بتقوى الله بمعنى هذه وصية للأمير والأمير هذا سيتعدى هذه الوصية إلى جنده وإلى من ولاه الله ﷻ أمرهم فالتقوى معناها فعل المأمور وترك المحذور امتثال أوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ على طريقة الرسول ﷺ والتحرز من الذنوب والمعاصي ما استطعنا إلى ذلك سبيلا

خل الذنوب صغيرها	وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر	ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة	إن الجبال من الحصى

رب معصية سببت له فشل كلوي رب معصية سببت هزيمة نسأل الله السلامة ربما هزيمة نفسية العاصي قليل التوفيق في قلبه وحشة العاصي ولا حول ولا قوة إلا بالله يشتكي آهات وآلام وصدق النبي ﷺ إذ قال: «**وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري**»(١) ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠] فمن حادد الله فمن شاققه فهو دائما في ذلة والله ﷻ رفع مقام الأتقياء في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالأمن والضمان والمخارج من كل ضيق ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢- ٣] وفي الآخرة فوق الناس كلهم ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة:٢١٢].

(١) أحمد (٥١١٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٩٤٠١) والطبراني في مسند الشاميين (٢١٦).



قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا،

وخيرا هنا عام في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة أما في أمور الدنيا فعلى هذا الجندي على هذا الأمير أن يراعي مصالح هذا الجيش مثلا إن كان عندهم إبل يسلك بهم الطريق الأسهل الأخصب الأفضل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وإذا كان مثل الآن سيارات لا يسرع بهم ولا يطالبهم بأشياء فوق طاقتهم فالمهم يأمره أن يكون على خير مع أصحابه يأمره بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا في كل شيء فقال بعدما ينصحه ويوجهه يقول النبي ﷺ: «**اغزوا باسم الله**» أي مستعينين بالله «**في سبيل الله**» في هذا تنويه إلى الإخلاص وإلى أن يكون جهادهم لإعلاء كلمة الله وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي موسى قال: سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء **أي ذلك في سبيل الله؟** قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١) ولو جاهد من أجل وطنه الإسلامي وحفظه من الكفار ومن الدخلاء ومن الغزو الفكري والغزو العسكري رد الناس عن وطنه هو أيضا شهيد يقول النبي ﷺ:

«**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»(٢) فهذا قتل دون وطنه ولا نعني بالوطنية التقديس للوطن وإن كان هذا الوطن غير إسلامي أو غير شرعي يغني بذلك أن يكون الوطن وطنا إسلاميا فيه

---

(١) البخاري (٧٠٢٠) ومسلم (١٩٠٤).

(٢) صحيح: أبو داود (٤٧٧٢) والترمذي (١٤٢١) والنسائي (٤٠٩٥) وأحمد (١٦٥٢) انظر حديث رقم: ٦٤٤٥ في صحيح الجامع.

المسلمون والمسلمات فيكون هذا إن شاء الله في سبيل الله.

فيقول: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله**» هذا هو المقصد من هذه الغزوة أن يقاتلوا من كفر بالله من

المشركين كما قال سبحانه: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٢٩].

ثم يقول: «**أغز ولا تغل**» والمراد بالغلول الخيانة في الغنيمة قبل قسمتها «**ولا تغدروا**» وهذا هو موطن الشاهد والمراد بالغدر الخيانة لا تغدروا مع هؤلاء الكفار سبحان الله شوف لا فين يعني عزة الإسلام وعظمة الإسلام ورحمة الإسلام لا يكون بينك وبين هؤلاء غدر إلا أن يكون من باب الحرب خدعة فللعلماء في ذلك كلام ذكر الشيخ العثيمين فائدة عند هذه اللفظة في قوله: «**لا تغدروا**» قال: الغدر الخيانة وهذا هو الشاهد من الحديث وإذا عاهدنا فإنه يحرم الغدر أما الغدر بلا عهد فلنا ذلك لأن الحرب خدعة وقد ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج إليه رجل من المشركين ليبارزه فلما أقبل الرجل على علي صاح به علي: ما خرجت لأبارز رجلين فالتفت المشرك يظن أنه جاء أحد من أصحابه جاء ليساعده فقتله علي رضي الله عنه.

قال: وليعلم أن لنا مع المشركين ثلاث حالات:

الحالة الأولى: ألا يكون بيننا وبينهم عهد فيجب قتالهم بعد دعوتهم إلى الإسلام وإبائهم عنه وعن بذل الجزية بشرط قدرتنا على ذلك.

الحالة الثانية: أن يكون بيننا وبينهم عهد محفوظ يستقيمون فيه فهنا يجب الوفاء لهم بعهدهم لقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧] وقوله: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ﴾ [التوبة:٤].



الحالة الثالثة: أن يكون بيننا وبينهم عهد نخاف خيانتهم فيه فهنا يجب أن ننبذ إليهم العهد ونخبرهم أنه لا عهد بيننا وبينهم لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨] ثم يقول نبينا ﷺ: «**ولا تمثلوا**» التمثيل هو التشويه لا يذهب المسلمون يأخذون أحد هؤلاء الكفار يقطعون أنفه أو لسانه أو أذنه أو يشوهوا به في مواضع أخرى لا يجوز حرم علينا هذا إسلامنا.

قال: «**ولا تقتلوا وليدا**» يعني لا تقتلوا طفلا صغيرا ما ذنب هؤلاء وفي بعض الروايات «**ولا تقتلوا امرأة**»(١) وقد وجد في بعض مغازي النبي ﷺ كما جاء من حديث ابن عمر في الصحيحين وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي ﷺ فأنكر قتل النساء والصبيان وفي بعض الروايات: «**والشيوخ ومن كان في صومعة**»، لا يقتل لأنه لا مشاركة له في ذلك.

قال: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام**» ويدخل في ذلك الإيمان فإن الإسلام إذا أطلق وحده شمل الإيمان «**فإن أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين**» الظاهر أن هذا فيما إذا كان العدو في القرى في البدو في الأعراب يتحولون إلى المدينة الحاضرة من أجل يتعلمون العلم ويحضرون صلاة الجماعة وغالبا تجد الناس في القرى فيهم جهل أو كما قال النبي ﷺ: «**من بدا جفا**»(٢) فغالبا أن المدن فيها خير لكثرة من يرتادها من العلماء وطلاب العلماء «**وأخبرهم أنهم**

---

(١) سنن البيهقي الكبرى (١٧٩٣٥).

(٢) صحيح: أحمد (٨٨٢٣) والطبراني في الأوسط (٥٥٦) وأبو يعلى (١٦٥٤) انظر حديث رقم: ٦١٢٣ في صحيح الجامع.

إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين» يعني من الأحكام الظاهرة في الأحكام الشرعية في البيوع والمعاملات فيعاملون معاملة المسلمين تماما هذا إذا تحولوا «**فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعزب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى في كل شيء**» إن قتل أحدهم قتل إن سرق قطعت يده إن زنى رجم وهكذا «**ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء**».

والغنيمة ما أخذ من أموال الكفار بقتل أو غيره قال النبي ﷺ:

«**من قتل كافرا فله سلبه**»[1] وأما الفيء فهو ما يصرف لبيت مال المسلمين كخمس الغنيمة بدون قتال «**يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين**» فإن جاهدوا مع المسلمين لهم حظ في الغنيمة وفي الفيء «**فإن هم أبوا فاسألهم الجزية**» الجزية بمعنى الجزاء ضريبة قال سبحانه: ﴿قَاتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التوبة:٢٩] قيل: عن قوة ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] أي أذلاء.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال:

قوله: فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربي كان أو غيره كتابي كان أو غيره وذهب أبو حنيفة أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم وقال الشافعي: لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه وتؤخذ من

(١) البخاري (٢٩٧٣) ومسلم (١٧٥١).



المجوس قال: قلت: لأن النبي ﷺ أخذها منهم وقال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»(١) الحديث صحيح وقد اختلفوا في القدر المفروض من الجزية فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الورق وهل يتقصى منها الضعيف أو لا قولان: قال الشافعي: فيه دينار على الغني والفقير وهذا الصحيح وقال أبو حنيفة رحمه الله والكوفيون: على الغني ثمانية وأربعون درهما والوسط أربعة وعشرون درهما والفقير اثنا عشر درهما وهو قول أحمد رحمه الله وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار والبالغين العقلاء دون غيرهم وأنها تؤخذ ممن كانت تحت قهر المسلمين لا ممن تأتي بداره ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين أو حربهم وهذه تؤخذ مقابل حماية المسلمين لهم فإن هؤلاء في بلاد المسلمين وأيضا مقابل كونهم يعيشون في أوساط المسلمين من أجل أن يتأثروا بأخلاق المسلمين بدين المسلمين فيسلموا فالإسلام له نظرة طيبة فيما يتعلق بأخذ الجزية من أهل الذمة الذين هم مقيمون في بلاد المسلمين هذا تعريف للجزية وإن كان قد تقدم بعضها.

قال: الجزية من جزأت الشيء إذا قسمته ثم سهلت الهمزة وقيل: من الجزاء لأنها جزاء تركهم ببلاد الإسلام أو من الإجزاء لأنها تكفي من توضع عليه عصمة دمه.

قال العلماء: الحكمة في وضع الجزية أن الذل يلحقهم يحملهم على الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الإطلاع على محاسن الإسلام قيل: شرعت سنة سنة ثمان وقيل سنة تسع والجزية ما يؤخذ من أهل الكفر الذمة جزاء على تأمينهم وهي مشتقة من الجزاء وهو المقابلة لأنهم قابلوا الأمان بما أعطوه من المال فقابلناه

---

(١) ضعيف: مالك (٦١٦) والبزار (١٠٥٦) وعبد الرزاق (١٩٢٥٣) وانظر غاية المرام (٤٣).

بالأمان والجمع الجزي مثل الحية الحيي وسميت جزية لأنها تجزي عن القتل أي تعصم وقيل: مال يجلبه الإمام على الكافر الذكر الحر المكلف القادر المخالط لأهل الذمة ولو منعزل بنيته يصح أسره جزاء تأمينه على نفسه وماله بغير الحجاز واليمن وقيل: تطلق على العقد وعلى المال الملزم به وهي مأخوذ من المجاوزة لكفنا عنهم هذا معجم المصطلحات الفقهية في مادة جزاء وهذا الحديث فيما يتعلق بتقديرها فقد جاء عن النبي ﷺ ما يوضح ذلك فيما رواه الثلاثة وهم الترمذي والنسائي وأبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فأمرني أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافريا[1] والمعافري الثياب الثياب اليمنية أخرجه الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

قال ابن الأمير الصنعاني: والحديث دليل على تقدير الجزية بالدينار من الذهب على كل حالم أي بالغ وفي رواية محتلم وظاهره إطلاق سواء كان غنيا أو فقيرا والمراد أنه يؤخذ دينار ممن ذكر في السنة وإليها ذهب الشافعي فقال: أقل ما يؤخذ من أهل الذمة دينار على كل حالم من بلغ الحلم وبه قال أحمد وقال: الجزية دينار أو عدله من المعافري لا يزاد عليه ولا ينقص إلا أن الشافعي جعل ذلك حدا في جانب القلة والدينار الإسلامي يقدر الآن من الذهب بأربعة جرامات وربع يعني في كل سنة يؤخذ من كل حالم من اليهود أو النصارى أو المجوس المقيمين في بلاد المسلمين هذا وهذه أحكام لا ينبغي لنا أن نعطلها باعتبار أنه صار الآن للكفار صولة وجولة وصار عند بعض جهلة المسلمين اتقاء لهؤلاء الكفار فلا نذكر مثل هذه، هذه هي من ديننا وإذا لم يكن هذا في هذا الزمان ربما تأتي أزمنة أخرى يعيش الكفار أمريكان أو

---

(١) صحيح: الترمذي (٦٢٣) والنسائي (٢٤٥٠) وأحمد (٢٢٠٦٦) وانظر إرواء الغليل (٥/ ٩٥).



بريطانيين أو ما شابهم تحت وطأة أهل الدين تحت الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل أفصحت بهذا سنة النبي ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فالمستقبل للإسلام ولا بد.

قال: «**فإن هم أبوا فاسألهم الجزية**» يعني إما إسلام وإما الجزاء «**فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم**» إذا قالوا: سيدفعون الجزية خلاص يكف عنهم «**فإن هم أبوا اطلب المعونة من الله ﷻ وقاتلهم**».

قال: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله أي عهد الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك**» التعليل: «**فإنكم إن تخفروا أي تغدروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه**» استنبط بعض أهل العلم من هذا على أنه في كل الأحكام الشرعية لا ينبغي أن تقول: هذا حكم الله قد تصيبه وقد لا تصيبه ولكن قل: هذا حكم الله فيما أرى أو فيما ظهر لي وكان بعض طلبة العلم إذا سئل عن سؤال إذا سئل: **ما رأيك في كذا؟** يقول: لا تقل: **ما رأيك في كذا؟** قل: **ما حكم الإسلام؟** هذا غلط الصحيح **ما رأيك في كذا؟** يعني **إيش الذي توصل إليه اجتهادك في هذا الباب**؟ ذكر هذا الشيخ العثيمين وغيره.

قال: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ولكن انزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا**». رواه مسلم.



فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «اغزوا باسم الله في سبيل الله».

الرابعة: قوله: «قاتلوا من كفر بالله».

الخامسة: قوله: «استعن بالله وقاتلهم».

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا.



قال: فيه مسائل:

١- الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

٢- الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرا وذلك أخذه من القاعدة هذه ارتكاب أخف الضررين.

٣- قوله: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله**» أي مستعينا بالله وفي هذا تنويه إلى الإخلاص وإصلاح النية فإن الغزاة لهم مقاصد أطماع دنيوية وما إلى ذلك.

٤- يكون المقاتلة إلا بعد أن تستعين بالله ﷻ.



٥- الفرق بين حكم الله وحكم العلماء وذلك أن حكم الله يعني الصواب بخلاف حكم العالم فإنه قد يكون صوابا وقد لا يكون.

٦- في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا وتعرفون حديث:

«**إذا حكم الحاكم فاجتهد إذا اجتهد الحاكم فأصاب له أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**»(١) هنا قوله في هذه الأخيرة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء قال:

وفيه فرقان:

١- أن حكم الله يصيب بلا شك وحكم العلماء قد يصيب وقد لا يصيب.

٢- تنزيل أهل الحصن على حكم الله ممنوع إما في عهد الرسول ﷺ فقط أو مطلقا وأما على حكم العلماء ونحوه فهو جائز وذلك من باب الصلح.

ثم قال الشيخ العثيمين: هنا فائدة لا ينبغي أن يقال لمفت: ما حكم الإسلام في كذا؟ أو ما رأي الإسلام في كذا؟ فإنه قد يخطئ فلا يصيب حكم الإسلام ولا يقول مفت: حكم الإسلام كذا لأنه قد يخطئ ولكن يقيد فيقول: حكم الإسلام فيما أرى كذا وكذا إلا فيما هو نص واضح صريح فلا بأس مثل أن يقول: ما حكم الإسلام في أكل الميتة؟ فيقول: حكم الإسلام في أكل الميتة حرام.

٧- هذا ليس خاصا بالصحابة بل حتى من بعدهم فإن له أن يحكم بما يرى أنه حكم عند الحاجة.

---

(١) البخاري (٦٩١٩) ومسلم (١٧١٦).

باب ما جاء في الإقسام على الله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في الإقسام على الله

قوله: ما جاء، ما هاهنا موصولية وجاء بمعنى أتى وهي صلة الموصول والعائد هو لأن الاسم الموصول هو المفتقر إلى الصلة والعائد هذا فيما يتعلق بعلم النحو.

وقوله: في الإقسام، الإقسام بمعنى الحلف بمعنى اليمين بمعنى الألية ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور:٢٢] ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٢٢٦] وقول الشاعر:

تــألى ابــن أوس حلفــة ليــردني   إلــى نســوة كــأنهن مقائــد

هذا اليمين وأقسامه من حيث الألفاظ المترادفة لغة: حلف ويمين وقسم وألية.

وقوله: ما جاء في الإقسام على الله أي الحلف على الله الإقسام على الله تعالى ثلاثة أنواع:

الأول: أن يقسم على ما أخبر الله به من إثبات أو نفي تقسم على ما أخبر الله به لأن الله صادق ومن أصدق من الله قيلا لك أن تقول: كل كافر في النار وتقسم أقسم بالله أن كل مشرك في النار كل مشرك مات على الشرك في النار لأن عندك نصوص من القرآن على ذلك ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢] تقسم بالله



إن الميتة حرام جائز وهناك كتاب بعنوان المسائل التي أقسم عليها الإمام أحمد ولك أن تقول وتقسم أن كل مؤمن موحد في الجنة جائز أن تقسم على ما أخبر الله به أو ما أخبر به رسول الله ﷺ أو تقسم مثلا كما في حديث الشفاعة تقسم بالله أن الناس يوم القيامة يبحثون عن الشفيع ويكون صاحب الشفاعة هو محمد ﷺ لأن هناك أدلة ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] والمقام المحمود الشفاعة العظمى.

ثانيا: أن تقسم على الله تعالى لقوة الرجاء وحسن الظن بالله لك أن تقسم على الله لقوة رجائك وحسن ظنك بالله ﷻ.

جاء في صحيح البخاري ومسلم أن الربيع بنت النضر كسرت ثنية جارية من الأنصار فرفع الأنصار القضية إلى أستاذ العدل محمد ﷺ فرسول الله عنده قرآن ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ [المائدة:٤٥] ما في مراجعة ولا في شفاعة فقال النبي ﷺ: «**كتاب الله القصاص**» فقال أخوها أنس بن النضر: ، وتعرفون أنس بن النضر هذا رجل يعني ما هو سهل عملاق لقوة رجائه وحسن ظنه بربه قال: **يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع؟** والله لا تكسر وليس معنى ذلك أنه يعترض على القرآن لأن رسول الله قال: «**كتاب الله القصاص**» فهذا قال: لا والله لا تكسر فهذا قال:

«**يا أنس كتاب الله القصاص**» قال: والله لا تكسر فقال رسول الله: «**يا أنس كتاب الله القصاص**» قال: لا والله لا تكسر يحلف أيمان مغلظة فسخر الله ﷻ أولياء المكسور ثنية ابنتهم فعفوا عن القصاص ورضوا بالدية فقال النبي ﷺ على إثر ذلك:

«**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»(١) أبر الله ﷻ أنس بن النضر وهذا الإقسام ما جاء من فراغ لا هذا جاء من قوة إيمان وحسن ظن بالله ﷻ جاء في البخاري أن أنس بن النضر جاء يوم أحد فرأى الصحابة قد تفرقوا فقالوا له: مات رسول الله قال: ولو مات قوموا فقاتلوا حتى تقتلوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم لقي سعد بن معاذ قال: إلى أين يا أنس؟ قال: إني لأجد ريح الجنة دون أحد فذهب وقاتل قتالا مستميتا حتى قالت أخته: وجدنا به بضعا وثمانين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثل به المشركون فما عرفته إلا أخته ببنانه رجل عملاق أبر الله ﷻ قسمه إذن عرفنا النوع الأول وهذا هو النوع الثاني.

والنوع الثالث: أن يقسم على الله ويكون الحامل الكبر العجب الجهل فهذا حرام يكون عنده غيرة لكن في غير محلها مثل غيرة الخوارج ما عنده حسن ظن ولا عنده أيضا معرفة بكيفية النصح هذا محرم والباب الذي وضعه المؤلف من أجل هذا النوع فالمناسبة لهذا الباب في كتاب التوحيد: أن من تألى على الله فقد أساء الأدب معه وتحجر فضله وأساء الظن بالله وكل هذا ينافي أصل التوحيد.



عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: والله لَا يَغْفِرُ الله لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رواه مسلم(٢).

(١) البخاري (٢٥٥٦).

(٢) مسلم (٢٦٢١).



وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن القائل رجل عابد قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته[١].



اسمع قال: وعن جندب بن عبد الله البجلي من أهل اليمن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال رجل: **والله لا يغفر الله لفلان**» شوف هنا المشكلة يعني ما عنده حسن ظن ما عنده أيضا معرفة بكيفية النصح مثل ذاك الذي مر وقت الصلاة على رجل جزار يقطع اللحم فيريد ينصحه قال له: صل يا حمار هذا المطوع ينصح الذي يقطع اللحم فأخذ الجزار الساطورة حق اللحم وبعده ولو أدركه لقصه نصين مش كلام هذا تنصح الناس بمثل هذه النصائح هذه وفرها لنفسك وكذلك الخوارج يكفرون ويخرجون الناس من ملة الإسلام إلى ملة الكفر ويكفرون نساءهم وأنفسهم في اليوم مرات وكرات جهل شنيع والعياذ بالله فهذا الرجل قال: والله لا يغفر الله لفلان شوف يا فلان والله ما يغفر لكش الله فقال الله ﷻ: «من ذا الذي يتألى علي؟» من ذا الذي يحلف علي ألا أغفر لفلان؟ «**إني قد غفرت له وأحبطت عملك**» رواه مسلم.

اسمع إلى القصة بالتفصيل:

قال: صح من حديث أبي هريرة قال البغوي في شرح السنة وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ قال: يا يمامي تعال وما أعرفه فقال: لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الجنة قلت: من أنت

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٩٠١) وانظر شرح العقيدة الطحاوية للألباني صفحة (٣٥٧).

يرحمك الله قال: أبو هريرة فقلت: إن هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كأنه يقول مذنب فجعل يقول: اقصر عما أنت فيه الطائع يقول للمذنب: اقصر ينصحه قال: فيقول: خلني وربي قال: فوجده يوما على ذنب استعظمه فقال: اقصر قال: خلني وربي أبعثت علي رقيبا**» أشبه ما يكون بأصحاب الهجر نسأل الله السلامة يعني مراقب لك حذو القذة بالقذة لو خرجت في سفر وإلا كذا ما تستطيع تتنفس ولا تقول كلمة ربما يذهب يستخرج عليها أشياء ويضيف عليها أشياء ويبدعك ويهجرك نسأل الله السلامة والعافية.

«**فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبدا قال: فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر: أتستطيع أن تحضر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب قال: اذهبوا به إلى النار**» قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

هذا هو محط الشاهد قال: والله لا يغفر الله لك أي لا يستر ذنبك ولا يغفر هذا الذنب إطلاقا تألى على الله وحلف على الله والنبي ﷺ يقول: «**إذا سأل أحدكم ربه فليكثر فإن الله لا مكره له**» **من ذا الذي يكره الله؟** صلح أو لا تصلح هذه في الدنيا شفاعات ووساطات شفاعات باطلة أما يوم القيامة فلا الأحكام الشرعية وما علق الله به دخول الناس الجنة والنار هذا بيد الله ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان:٣١] رب ذنب أدخل صاحبه الجنة ورب طاعة أدخلت صاحبها النار ربما ذنب فعله وجلس يستغفر ويتوب دخل الجنة رَحِمَهُ اللَّهُ فأدخله الجنة ورب طاعة أصيب صاحبها بالإعجاب مثل حديث الثلاثة الذين أول ما تسعر بهم النار عالم



متفاصح بعلمه رياء ومجاهد أيضا شجاعة ومنفق من أجل أن يقال فأول من تسعر بهم النار ثلاثة يسحبون على مناخرهم فتأملوا إلى كلمة يسيرة جدا ضيعت مستقبله كما في الحديث:

«**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فيزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(١) وهكذا أيضا في غزوة تبوك أطلق بعض المنافقين ثلاث كلمات فحكم الله عليهم بالكفر والردة قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعني الرسول وأصحابه - أرغب بطونا - أكذب ألسنة - أجبن عند اللقاء فنزل الوحي على النبي ﷺ بكفر هؤلاء أصحاب المقالة هذه قالوا: يا رسول الله إنما هو حديث الركب يعني نجزع وقتنا في السفر ورسول الله لا يزيد عليهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦] فكان رسول الله يقول لهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم﴾ [التوبة:٦٦] ولا يزيد أن يقول على هذه.

ثلاث كلمات حكم الله عليهم بالكفر والردة وهكذا يقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما قال له: أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»(٢) فعند المنكر يجب على الشخص أن يتحلى بالحلم وأن لا تأخذه الغيرة حتى تخرجه عن طور الإعتدال إذا أردت أن تنكر فأنكر برفق ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ

---

(١) البخاري (٦١١٢) ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٦١٦) وأحمد (٢٢٠٦٩) والطيالسي (٥٦٠) والطبراني في الكبير (٢٠٠) انظر حديث رقم: ٥١٣٦ في صحيح الجامع.

﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] لا تذهب تنكر المنكر وتحدث منكر فوقه مثل الآن بعضهم هؤلاء الذين يفجرون الذين يقومون بالتفجيرات والاغتيالات يريدون أن يغيروا المنكر فيأتون بمنكرات أشد منها يقتلون الأبرياء النساء وأطفال وشيوخ وبرءاء بحاجة أنهم يريدون يفجروا بمكان خمر وإلا مكان فيه يهودي وهكذا - بارك الله فيك - من ترك طريقة العلماء زل فلا ينبغي للشخص أن ينفرد برأيه فلا بد أن تسأل أهل العلم الراسخين في العلم ولا ينبغي للشخص أن يكون استقلاليا في مثل هذه الأمور.

قال: وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد قال أبو هريرة: لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.



فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة.....» إلى آخره[١].

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.



(١) البخاري (٦١١٢) ومسلم (٢٩٨٨).



قال: فيه مسائل:

١- **الأولى:** التحذير من التألي على الله انتبه تقول لواحد: أنت حطب جهنم أنت والله ما يغفر لكش الله أو تقول: فلان تاب تقول: هذا ما يتوب لو تاب هذا لتاب حمار أهل الخطاب قلوب العباد بيد الله أرج من الناس خيرا أرج للناس خيرا.

٢- **الثانية:** كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله كما في بعض الأحاديث: «**النار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والجنة مثل ذلك**»[(١)].

٣- **الثالثة:** أن الجنة مثل ذلك.

٤- **الرابعة:** فيه شاهد لقوله: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة**» الرجل أو المرأة لكن الحديث خرج مخرج الغالب: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فيزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**».

٥- **الخامسة:** أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه وذلك أن نواصي العباد بيد الله ﷻ ولا ينبغي للشخص أن يكون نقادا **من ذا الذي ليس له هفوات؟** بعض الناس لا حول ولا قوة إلا بالله ملبس بالمصائب وتجده ينتقد أخطاء يسيرة جدا وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وكما في الحديث: «**إن الرجل يبصر القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه**»[(٢)] هذه مشكلة يقال إن المعز التي هي ما عندها إلية تغطي بها سوأتها ضحكت حينما شاهدت الشاة يوما بان دبرها وهي

---

(١) البخاري (٦١٢٣) وأحمد (٣٦٦٧) (٣٩٢٣) وابن حبان (٦٦١) ومسند أبي يعلى (٥٢٨٠) ومسند البزار (١٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٤٣).

(٢) صحيح: مسند الشهاب (٦١٠) انظر حديث رقم: ٨٠١٣ في صحيح الجامع.

مفتوح باستمرار على الطاقة الشمسية على طول عادي عندها عادي عندها وذيك يعني مرة قفزت على الجدار فارتفعت ثربتها فكانت تضحك وتعقد اللقاءات وتجيب الضحك والنكت وهي لا حول ولا قوة إلا بالله وهكذا فرعون يعني فعل ما فعل قتل بني إسرائيل استحيا نساءهم قتل أبناءهم فعل الأفاعيل ويقول لموسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩] أعوذ بالله فينبغي للشخص أن يبصر عيوبه وأن يبصر ذنوبه فإن وجد عند الآخرين عيوب حاول أن يستر حاول أن ينصح «**فمن ستر مسلما في الدنيا - كما في الحديث - ستره الله في الدنيا والآخرة**»[(١)] فالمؤمن عذار والمنافق عثار المنافق يدور عثرات

لماذا؟ لأن قلبه خبيث

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

أذكر رجل كان يلحن لحنا فاحشا وينتقد على بعض اللحن من بعض الإخوان وهو كلامه كله لحن لا ينبغي - بارك الله فيكم - أن يكون هذه سجية أحدنا فإذا رأى من الناس منكرا أو شيء يدعو الله بهداية هؤلاء انصحهم بين على منبر الجمعة بالأسلوب الحسن حتى تكون متابعا للنبي ﷺ في دعوته فقد كان ﷺ حريصا كل الحرص في إيصال الحق إلى أهله بالحكمة والموعظة الحسنة وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا جميعا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) مسلم (٢٦٩٩).

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم ﵁ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي ﷺ:

«سُبْحَانَ الله، سُبْحَانَ الله!» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بالله عَلَى أَحَدٍ من خلقه» وذكر الحديث، رواه أبو داود(١).

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: نستشفع بالله عليك.

الثانية: تغيره تغيرًا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: نستشفع بك على الله.

الرابعة: التنبيه على تفسير سبحان الله.

الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا:

---

(١) ضعيف: أبو داود (٤٧٢٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٧٢٧) وضعيف أبي داود (١٠١٧).



قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب لا يستشفع بالله على خلقه

الإستشفاع بالشيء أي جعله شافعًا له وفي الغالب أن يكون الشافع أعلى مرتبة من المشفوع له وعلى هذا فالإستشفاع بالله على الخلق محرم لأن فيه تنقصًا للذات الإلهية وهذا أو هذه هي مناسبة التبويب لكتاب التوحيد لأن الذي يشفع يكون في الغالب أدنى مرتبة من المشفوع له هذه ترجمة المؤلف ثم أردفها كدليل حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: ويحك أتدري ما الله إن شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد**» رواه أبو داود هذا الحديث ضعيف ضعفه صاحب كتاب النهج السديد الدوسري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك أن فيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس وفيه جهالة جبير بن محمد لم يوثقه غير ابن حبان وابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كان يوثق المجاهيل فالحديث - بارك الله فيكم - ضعيف وإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يتعبدنا بالأحاديث الضعيفة لكن من حيث ترجمة الباب وتبويب المؤلف لا يجوز أن نقول: يا ألله إنا نستشفع بك على فلان فإن شأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظيم أو نستشفع بفلان على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولكن من أراد شيئًا فلا يحجبه إلا معصيته أو ذنبه عن مطالبه يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي الحديث:



«من لم يسأل الله يغضب عليه»(١) والنبي ﷺ يقول: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٢) ويقول النبي ﷺ: «**من دعا الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا استجيب له إحدى ثلاث إما أن تعجل له في الدنيا أو يدخر له في الآخرة أو يصرف عنه من السوء مثلها**»(٣) فالعبد مطالب بأن يدعو الله وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: «**اللهم إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء**» فإذا ألهم العبد الدعاء كانت الإجابة فالله ﷻ يستجيب لا سيما دعاء المضطر والضعفاء قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] وبهذا القدر نكتفي والله أعلى وأعلم.



(١) حسن: الترمذي (٣٣٧٣) وانظر صحيح الترمذي (٢٦٨٦).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٣) صحيح: الطبراني في الأوسط (٤٣٦٨) وابن أبي شيبة (٢٩١٧٠) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٣).

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

أما بعد:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ

حمى التوحيد وسده طرق الشرك

قوله: ما جاء أي من الأحاديث من أقوال وأفعال النبي ﷺ في حماية جناب التوحيد والشيخ الفوزان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ له شرح طيب على هذه الترجمة أحببت أن أقرأه من كتابه مباشرة قال حفظه الله:

سبق باب يشبه هذا وهو قول الشيخ هناك باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب، هذا ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وذاك جناب التوحيد فاسمعوا إلى الفرق قال: سبق باب يشبه هذا وهو قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هناك باب ما جاء في حماية النبي ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك **فما الفرق بين البابين؟** ذاك جناب وهذا حمى الفرق بين البابين أن جناب التوحيد معناه جانب التوحيد وهنا



حمى التوحيد وفرق بين الجانب وبين الحمى لأن الجانب بعض الشيء وأما الحمى فهو ما حول الشيء فهناك أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبين حماية النبي ﷺ التوحيد نفسه من أن يقع فيه شرك وهنا أراد أن يبين أن النبي ﷺ حمى ما حول التوحيد بعد حمايته التوحيد وهذا من باب العناية التامة بشأن التوحيد قوله: باب ما جاء أي من الأحاديث في حماية النبي ﷺ.

الحماية معناها المنع أي منع النبي ﷺ حمى التوحيد أي ما حول التوحيد أشبه ما يكون بالحوش الذي هو حمى المنزل قال: وسده طرق الشرك الطرق هي الأشياء التي توصل إلى الشيء فالنبي ﷺ سد الوسائل والأسباب التي تؤدي إلى الشرك وإن لم تكن هي من الشرك لكن لما كانت تؤدي إلى الشرك منع منها النبي ﷺ احتياطا للتوحيد فقد يكون الشيء مباحا في نفسه ولكن إذا كان هذا المباح يفضي إلى محرم فإن هذا المباح يصبح حراما لأن الوسائل لها أحكام الغايات فالوسيلة إلى المحرم تكون حراما وهذا ما يسمى عند الأصوليين بقاعدة سد الذرائع فكل ذريعة توصل إلى محذور وإلى حرام فإن الشارع منع منها وحرمها وهذا كثير في الشريعة وقاعدة قريبة منها يعني: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فهو قريب أيضا من هذا.



عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا فقال: «السيدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ» قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشيطَانُ» رواه أبو داود بسند جيد[١].

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٨٠٦) والبخاري في الأدب المفرد (٢١١) وانظر مشكاة المصابيح (٤٩٠٠).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن عبد الله بن الشخير وهو عبد الله بن كعب بن عامر العامري من بني عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، وهذه العبارة ما فيها شيء النبي ﷺ يقول للخزرج: «**قوموا إلى سيدكم فأنزلوه**»[(١)] كان على حمار وكان مريضا سعد بن معاذ فقلنا: أنت سيدنا فقال: «**السيد الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى» يعني من حيث السيادة المطلقة قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، الطول بمعنى الشرف والغنى فقال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرنكم الشيطان**» من الإجترار رواه أبو داود بإسناد جيد وهذه مرحلة بين الحسن والصحة كما قد تكرر وهذا الحديث قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: إسناده جيد وقال الحافظ في الفتح: رجاله رجال الصحيح أورجاله ثقات وصححه أيضا صاحب عون المعبود والدوسري كما في النهج السديد وهنا كلام حول هذا للشيخ العثيمين استحسنته فأحببت أن أنقله لكم برمته فيقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: أنت سيدنا السيد ذو السؤدد والشرف والسؤدد معناه العظمة والفخر وما أشبهه قال: وسيد صفة مشبهة على وزن فعيل فعل أو فيعل لأن الياء الأولى زائدة قوله: «**السيد الله**» لم يقل ﷺ: سيدكم كما هو المتوقع حيث إنه رد على قولهم سيدنا لوجهين:

الوجه الأول: إرادة العموم المستفاد من ال لأن ال للعموم والمعنى أن الذي له السيادة المطلقة هو الله جَلَّ وَعَلَا ولكن السيد المضاف يكون سيدا باعتبار المضاف إليه مثل سيد بني فلان سيد البشر وما أشبه ذلك.

---

(١) البخاري (٢٨٧٨) ومسلم (١٧٦٨).



الوجه الثاني: لئلا يتوهم أنه من جنس المضاف إليه لأن سيد كل شيء من جنسه هذا فقط فيه بحث **لماذا قال لهم النبي ﷺ: «السيد هو الله» على أنهم قالوا: أنت سيدنا؟** ما قال: سيدكم هو الله وهذا من فقه العثيمين فقد كان غواصا في المعاني.

قال: والسيد من أسماء الله تعالى وهي من معاني الصمد كما فسر ابن عباس الصمد بأنه الكامل في علمه وحلمه وسؤدده وما أشبه ذلك ولم ينههم ﷺ عن قولهم: أنت سيدنا بل أذن لهم بذلك وهذا من فقهه أيضا أصل الكلام صحيح ولكن خشي النبي ﷺ من الإطراء والمبالغة التي ربما تفضي إلى إعطائه بعض صفات الرب ﷻ وقد جاء في حديث صحيح واضح في هذا قال:

«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[(١)].

قال: ولم ينههم ﷺ عن قولهم أنت سيدنا بل أذن لهم بذلك فقال:

«قولوا بقولكم أو بعض قولكم» لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان فيترقوا من السيادة الخاصة إلى السيادة العامة المطلقة لأن سيدنا سيادة خاصة مضافة والسيد سيدة مطلقة عامة غير مضافة ورسول الله سيادته مقيدة أيضا فهو سيد البشر على الإطلاق كما في حديث: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر أتدرون ماذاك؟**»[(٢)] وذكر حديث الشفاعة الطويل.

---

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم.

(٢) البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم.



قوله: تبارك أي كثرت بركاته وخيراته ولهذا يقال: إن هذا الفعل لا يوصف به إلا الله فلا يقال: تبارك فلان لأن هذا الوصف خاص بالله الله تبارك وتعالى.

قال: «**السيد الله تبارك**» وقول العامة: أنت تباركت علينا لا يريدون بهذا ما يريدون بالنسبة إلى الله عز وجل وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك والبركة يصح إضافته إلى الإنسان إن كان أهلا لذلك قال أسيد بن حضير حين نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر.

يعني إذا زارك ضيف عنده علم تقى ورع من الأولياء لا بأس أن تقول: زارتنا البركة أو حلت البركة في بيتنا إذا كانت حقيقة أما مجاملة فلا يجوز.

قوله: وأفضلنا أي فضلك أفضل من فضلنا.

قوله: أعظمنا طولا أي أعظمنا شرفا وغنى والطول الغنى قال تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء:٢٥] ويكون بمعنى العظمة قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر:٣] أي ذي العظمة والغنى.

قوله: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم**» الأمر للإباحة والإذن كما سبق.

قوله: «**قولوا بقولكم**» يعني قولهم: أنت سيدنا وأنت أفضلنا وما أشبه ذلك لا بأس ولكن إياكم أن تترقوا إلى السيادة المطلقة وهذا - بارك الله فيكم - هو موطن الشاهد وهو باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد يعني كل هذا الآن عبارة عن موانع وحضر حتى لا يوصل بهم الحد إلى الخدش بجانب التوحيد ومثل ذلك حينما قالت الجارية:



أعـــد لهـا كبشـا فـــي المربـــد

قالت الأخرى:

وفينا رسول الله يعلم ما في غد

قال: «لا، لا يعلم ما في غد إلا الله قولي كما كنت تقولين»(١) والشخص الذي قال: ما شاء الله وشئت قال:

«أجعلتني لله ندا قولوا ما شاء الله وحده»(٢).

قوله: «أو بعض قولكم» يحتمل أن يكون شكا من الراوي أو أن يكون من لفظ الحديث أو اقتصروا على بعضه.

قوله: «ولا يستجرنكم الشيطان» استجراه بمعنى جذبه وجعله يجري معه أي لا يستميلنكم الشيطان ويجذبكم إلى أن تقولوا قولا منكرا فأرشدهم ﷺ إلى ما ينبغي أن يفعل ونهاهم عن الأمر الذي لا ينبغي أن يفعل حماية للتوحيد من النقص أو النقض.

وقال في النهاية: لا يستجرنكم الشيطان أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جريا أي رسولا ووكيلا والنهاية هذه في غريب الحديث لابن الأثير الجزري.

قال: وعلى التفسيرين فمراد النبي ﷺ حماية التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك والحماية من المنكر تعظم كل ما كان المنكر أعظم وأكبر أو كان الداعي إليه في النفوس أشد يعني أشبه ما يكون مثلا بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]

---

(١) المعجم الأوسط (٣٤٠١) والمعجم الصغير (٣٤٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٤٤٦٦) (١٤٤٦٧) وانظر آداب الزفاف للألباني (١٠٩ - ١١٠).

(٢) صحيح: سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٤) وانظر تحذير الساجد صفحة ٩٠.

قالوا قال: ولا تقربوا ولم يقل: ولا تزنوا **لماذا؟** لأنه نهى عن الزنا ونهى عن مقدماته النظرة الغمزة الضحكة الكلمة الخلوة أشياء كثيرة.

قال: ولهذا تجد أن باب الشرك حماه النبي ﷺ حماية بالغة حتى سد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إليه لأنه أعظم الذنوب وأيضا باب الزنا حمي حماية عظيمة حتى منعت المرأة من التبرج وكشف الوجه وخلوتها بالرجل بلا محرم وما أشبه ذلك حتى يقول فقهاء الشافعية: أن المرأة الغنية إذا لم تجد محرم فليس الحج في حقها واجب يعني سقط عنها فرض الحج **لماذا؟** لأنه يشترط المحرمية وذلك كله صيانة للأعراض قال: لئلا يكون ذلك ذريعة للزنا لأن النفوس تطلبه وفي باب الربا حمى الربا بحماية عظيمة حتى إن الرجل ليعطي الرجل صاعا طيبا من البر بصاعين قيمتها واحدة ويكون ذلك ربا محرما لا يجوز ولو كان بنفس المستوى أو بأقل يعني أحدهما رديء والآخر طيب لا يجوز ويكون ذلك ربا محرما مع أنه ليس فيه ظلم فالشرك قد يكون من الأمور التي لا تدعو إليه النفوس كثيرا لكنه أعظم الظلم فالشيطان يحرص على أن يوصل ابن آدم إلى الشرك بكل وسيلة فحماه النبي ﷺ حماية تامة محكمة حتى لا يدخل الإنسان فيه من حيث لا يشعر وهذا هو معنى الباب الذي ذكره المؤلف.

قال: تنبيه:

جرى شراح الحديث على أن النبي ﷺ نهاهم عن قول: سيدنا فحاولوا الجمع بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «**إنا سيد ولد آدم**»(١) وحديث: «**قوموا إلى**

---

(١) تقدم تخريجه.



سيدكم»(١) وقوله في الرقيق: «**وليقل سيدي ومولاي**»(٢) بواحد من ثلاثة أوجه:

الأول: أن النهي على سبيل الكراهة والأدب والإباحة لا سبيل الجواز.

الثاني: أن النهي حيث يخشى منه المفسدة وهي التدرج إلى القلوب والإباحة إذا لم يكن هناك محذور.

الثالث: أن النهي في الخطاب أي أن تخاطب غيرك بقولك: أنت سيدي أو سيدنا بخلاف الغائب لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وغلو وترفع ثم إن فيه شيء آخر وهو خضوع المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف ما إذا جاء من الغير مثل: قوموا إلى سيدكم أو على سبيل الغيبة كقول العبد: قال سيدي ونحو ذلك لكن هذا يراد عليه صلى الله عليه وآله وسلم إباحته للرقيق أن يقول لمالكه: سيدي.

ثم قال الشيخ: والذي يظهر لي أن لا تعارض أصلا لأن النبي ﷺ أذن لهم أن يقولوا بقولهم لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل السيد لأن السيد المطلق هو الله ﷻ وعلى هذا فيجوز أن يقال: سيدنا وسيد بني فلان ونحوه ولكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلا لذلك وجاء أن رجلا مر بأهل البصرة قال: **من سيدكم يا أهل البصرة؟** قالوا: الحسن وقال: **بم سادكم؟** قالوا: رغب هو عن دنيا الناس واحتاج الناس إلى علمه، فالسيادة بالعلم أو بالجاه وكذلك الآن ربما بالمال والملك والمشيخة.

قال: أما إذا لم يكن أهلا للكمال أو كان فاسقا أو زنديقا الآن هو هذا تجد في

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

بعض الفواتير أو سند قبض أو كذا يقولون: استلمنا من السيد الفلاني كأنها والله أعلم عبارة دخيلة على المسلمين ساروا يطلقونها لا سيما المصريون أنت يا سيد وهكذا.

قال: فلا يقال له حتى ولو فرض أنه أعلى منه مرتبة أو جاها وقد جاء في الحديث: «**لا تقولوا للمنافق سيد فإنكم إذا قلتم ذلك أغضبتم الله**»(١) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد قال النووي في رياض الصالحين: أخرجه أبو داود وسنده صحيح.

فإذا كان أهلا لذلك وليس هناك محذور فلا بأس وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل فلا يجوز والمحذور هو الخشية من الغلو فيه.



وعن أنس رضي الله عنه أن أناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشيطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عز وجل» رواه النسائي بسند جيد(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

---

(١) صحيح: الترمذي (٤٩٧٧) وأحمد (٢٢٩٨٩) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٠) انظر حديث رقم: ٧٤٠٥ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أحمد (١٢٥٧٣) والبيهقي في الشعب (٤٨٧١) وسنن النسائي الكبرى (١٠٠٧٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٩٧).

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي».



ثم قال الشيخ: وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناسا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**» رواه النسائي بسند جيد الحديث صححه الدوسري وهو أيضا في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لشيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى وهو كالحديث الذي قبله.

لكن بقيت فائدة ذكرها الدكتور صالح بن فوزان رحمه الله تعالى قال الشيخ صالح حفظه الله:

فهذان الحديثان يستفاد منهما فوائد عظيمة:

الفائدة الأولى: فيه التحذير من الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم وإذا كان الغلو في حقه فغيره من باب أولى عن طريق المديح والمدح يا إخوان القتل والذبح لا ينبغي أن نتعوده أبدا قال الشافعي رحمه الله تعالى: ما مدحت رجلا فرفعته فوق منزلته إلا وضعني الله بقدر رفعي إياه.

لأن هذا ظلم لما ترفع واحد وتقول فلان الكذا الكذا هذا لا ينبغي ينبغي أن يكون المدح صحيحا وأنه صلى الله عليه وسلم إنما يوصف بصفاته التي أعطاه الله إياها العبودية والرسالة أما أن يغلى في حقه فيوصف بأنه يفرج الكروب ويغفر الذنوب وأنه

يستغاث به ﷺ بعد وفاته كما وقع فيه كثير من المخرفين اليوم فيما يسمونه بالمدائح النبوية في أشعارهم كالبردة للبوصيري وما قيل على نسجها من المخرفين فهذا غلو أوقع في الشرك كما قال البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي	فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

قال بعض الشراح: ما أبقى لله سبحانه وتعالى شيئا فهذا غلو والعياذ بالله أفضى إلى الكفر والشرك حتى لم يترك لله شيئا كل شيء جعله للرسول في الدنيا والآخرة علم اللوح والقلم للرسول لا ينقذ من العذاب يوم القيامة إلا الرسول إذن **ما بقي لله** عز وجل؟ وهذا من قصيدة يتناقلونها ويحفظونها وينشدونها في الموالد وكذلك غيرها من الأشعار الكفرية الشركية خصوصا ما ينشد في الموالد المبتدعة من الأناشيد الشركية كل هذا سببه الغلو في الرسول ﷺ وأما مدحه ﷺ بما وصفه الله به بأنه عبد ورسول وأنه أفضل الخلق فهذا لا بأس به كما جاء في أشعار الصحابة الذين مدحوه كشعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير حسان بن ثابت يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا	رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي إن لم تروها	تثير النقع في كنفي كراء
يبارين الأعنة مصعدات	على أكتافها الاسل النساء

فـــإن أعرضـــتم عنـــا اعتمرنـــا	وكـــان الفـــتح وانكشـــف الغطـــاء
وإلا فاصـــبروا لقتـــال يـــوم	يعـــز الله فيـــه مـــن يشـــاء
وقـــال الله قـــد أرســـلت عبـــدا	يقـــول الحـــق لـــيس بـــه خفـــاء
وقـــال الله قـــد يســـرت جنـــدا	هـــم الأنصـــار عرضـــها اللقـــاء
لنـــا في كـــل يـــوم مـــن معـــد	قتـــال أو ســـباب أو هجـــاء
فمـــن يهجـــو رســـول الله مـــنكم	ويمدحـــه وينصـــره ســـواء
وجبريـــل رســـول الـــوحي فينـــا	وروح القـــدس لـــيس بـــه كفـــاء.

قال: كشعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة فهذه أشعار نزيهة طيبة مثل شعر عبد الله بن رواحة كما في البخاري:

وفينـــا رســـول الله يتلـــو كتابـــه	إذا انشـق معـروف مـن الفجـر سـاطع
أرانـــا الهـــدى بعـــد العمـــى فقلوبنـــا	بـــه موقنـــات أن مـــا قـــال واقـــع

قال: قد سمعها النبي ﷺ وأقرها لأن ليس فيها شيء من الغلو وإنما فيها ذكر أوصافه ﷺ.

الفائدة الثانية: في الحديث النهي عن وصف رسول الله ﷺ بالسيد وهذا فيه إشكال عند أهل العلم حيث أنه أنكر على من قال: أنت سيدنا وقال: «**السيد الله**» بينما جاءت أحاديث أخرى فيها إطلاق السيد عليه ﷺ وعلى غيره فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»(١) وقال في الحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(٢) وقال: «**الحسن والحسين سيدا**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٢٥٥٧).

شباب أهل الجنة»[(١)] وقال في أبي بكر وعمر: «**سيدا كهول أهل الجنة**»[(٢)] ولما جيء بسعد بن معاذ عام الخندق قال ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم**»[(٣)] فالعلماء اختلفوا في الجواب على ثلاثة أقوال:

القول الأول: تحريم إطلاق لفظ السيد على المخلوق فلا يقال السيد إلا في حق الله كم جاء في هذين الحديثين

«**السيد الله**» وهذا مروي عن الإمام مالك رحمه الله وأجابوا عن الأحاديث المخالفة بأنها أحاديث متقدمة وحديث:

«**السيد الله**» متأخر لأنه في عام الوفود من السنة التاسعة فيكون ناسخا للأحاديث التي تدل على جواز إطلاق لفظ السيد على المخلوق.

القول الثاني: جواز إطلاق السيد على المخلوق عملا بالأحاديث التي فيها ذلك

«**أنا سيد ولد آدم**» «**إن ابني هذا سيد**» «**قوموا إلى سيدكم**» فيجوز إطلاق لفظ السيد على المخلوق كما في هذه الأحاديث وأجابوا على حديث المنع بأنه محمول على كراهة تنزيه فيكون النهي للتنزيه.

القول الثالث: القول بالجواز مطلقا بلا كراهة إلا إذا خيف من الغلو فإن

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٧٦٨) وابن ماجة (١١٨) وأحمد (١١٠١٢) وابن حبان (٦٩٥٩) انظر حديث رقم: ٤٧ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: الترمذي (٣٦٦٥) وابن ماجة (٩٥) وأحمد (٦٠٢) وابن حبان (٦٩٠٤) انظر حديث رقم: ٥١ في صحيح الجامع.

(٣) تقدم تخريجه.



النبي ﷺ خاف عليه من الغلو كما في الحديثين المذكورين فإذا خيف على الإنسان من الغلو ينهى من ذلك أما إذا لم يخف عليه من الغلو فلا بأس عملا بالأحاديث الكثيرة التي جاء فيها إطلاق لفظ السيد على المخلوق.

وهناك قول رابع ألمح إليه الشارح وهو أنه لا يجوز إطلاق السيد على الشخص في حضوره ومواجهته ويجوز إطلاقه عليه وهو غائب لأن النبي ﷺ إنما استنكر هذا لما وجهوه إليه فيمنع مواجهة الإنسان بقوله: أنت السيد أنت سيدنا وما أشبه ذلك خوفا عليه من الإعجاب بنفسه كما نهى النبي ﷺ من مدح الإنسان في حال حضوره.

هذا حاصل الأقوال في هذه المسألة وما ذكره الشيخ العثيمين هو الذي نذهب إليه وهو المنع من إطلاق لفظة السيد بألف ولام لأنها تفيد السيادة المطلقة وهذا لله ﷻ فإطلاق كلمة سيد بالتقييد جائز سيد البشر، سيد ولد آدم، سيد بني مثلا القرية الفلانية، بني فلان.

تنبيه: الآن لفظ سيد صار يطلق على من يعتقد فيه النفع والضر مثل الذين يسمونهم السادة من أهل البيت والسادة من الصوفية بعضهم يقول: أنا با روح عند السيد وبيت السيد وصار يصحب هذا القول اعتقاد في الأشخاص وهذا لا شك فيه تحريمه فإذا أطلق السيد على مثل هؤلاء فإنه محرم لأنه ينبئ عن اعتقاد باطل وشرك بالله ﷻ وأن هؤلاء ينفعون ويضرون وتحل البركة فيهم.

المسألة الثالثة: فيه ما عقد المصنف هذا الباب من أجله وهو حمايته ﷺ حمى التوحيد وسده الطرق التي تفضي إلى الشرك حيث أنه منع من وصفه ﷺ بالسيادة وبالفضل وبالطول من أجل سد الوسيلة إلى الغلو وإلى الشرك ففيه شاهد للترجمة.



الفائدة الرابعة: فيه المنع من الغلو من مدحه ﷺ سواء في النثر أو في الشعر والشعر أشد لأن الشعر يحفظ ويرغب فيه أكثر من النثر وبعضهم إذا جاء لزيارة قبر النبي ﷺ يقف ويدعو النبي ﷺ ويستغفر ويقول: جئتك تائبا يا رسول الله وما أشبه ذلك من الغلو لأن التوبة إلى الله وليس إلى الرسول ﷺ.





باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]

هذا الباب هو آخر باب من أبواب كتاب التوحيد ختم به المؤلف هذا الكتاب لما اشتمل من توحيد الأسماء والصفات والكتاب من أوله فيما يتعلق بتوحيد الألوهية وإن كان توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية ومن أقسام التوحيد الثلاثة:

توحيد الأسماء والصفات وهو أن لا تصف الله أو تسميه إلا بما سمى نفسه أو وصف نفسه أو وصفه رسوله أو سماه رسوله ﷺ وكثر النزاع والخلاف في هذا الباب فالجهمية جحدوا الأسماء والصفات والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن أوصافها والأشاعرة جحدوا الأسماء والصفات إلا سبع صفات أثبتوها على أن عقيدتهم في باب القرآن من أسوأ أهل النحل المنحرفة ويعيش المرء حائرا تائها حينما يخرج عن طور الذكر الحكيم الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦] وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] فمن خرج عما جاء به القرآن وعما جاء به رسول القرآن محمد ﷺ لا شك أنه يضيع يقول الشهرستاني في الملل والنحل:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها	وصيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر	على ذقن أو قارعا سن نادم

فقال له بعض أهل السنة: يا أستاذ

لعلك أهملت الطواف بمعهد	الرسول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد	ولست تراه قارعا سن نادم

فأهل الكلام حينما دخلوا في هذا الباب تبلدوا وضاعوا وتاهوا وحاروا ومن جملتهم صاحب مختار الصحاح الفخر الرازي في آخر أيامه ترك تلك النحلة قال: ومن جرب مثل مجربتي عرف مثل معرفتي قال في قصيدة له:

نهاية إقدام العقول عقال	وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فيقول: لقد تأملت الطرق الكلامية والمبادئ الفلسفية فما رأيتها تروي غليلا ولا تشفي عليلا إلا طريقة الكتاب والسنة اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] اقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وأنا على عقيدة الأستاذ الكبير أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله ويقال: أنه مات وقد وضع على صدره صحيح البخاري منوها إلى أن العقيدة إنما هي من القرآن ومن الصحيح الثابت عن النبي ﷺ فنحن سالمون كل السلامة يوم أن نأخذ الخير يوم أن نأخذ المعتقد والمنهج والسلوك والآداب والخير الذي يقربنا من الله تبارك وتعالى ومن جنة عرضها

السماوات والأرض من القرآن لذلك يقول النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله**»(١) وزاد مالك في الموطأ: «**وسنتي**»(٢) وقال النبي ﷺ لأصحابه: «**ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فلن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا**»(٣) ويقول الله ﷻ: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه:٢] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩] ويقول سبحانه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٧- ٢٨] فالله ﷻ حفظ هذا القرآن حفظه من التبديل والتغيير كما قال: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [فصلت:٤٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وقال سبحانه:

﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ [الطور:٣] وقال سبحانه: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج:٢٢] فهذا القرآن محفوظ بحفظ الله يحفظ الله به ﷻ من شاء من عباده بتمسكهم وهكذا المصدر الثاني من مصادر التشريع سنة النبي ﷺ فهي صمام أمان قال النبي ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٤)

ومـــن لا يربيـــه الرســـول ويســـقه ... لبانـــا لـــه قـــد در مـــن ثـــديي وحيـــه

---

(١) مسلم (١٢١٨).

(٢) حسن: مالك (١٥٩٤) وانظر مشكاة المصابيح (١٨٦).

(٣) صحيح: ابن حبان (١٢٢) والطبراني في الكبير (١٥٣٩) والبيهقي في الشعب (٢٠١٣) وانظر السلسلة الصحيحة (٧١٣).

(٤) البخاري (٦٨٥١) والحاكم (٧٦٢٦).

فــذاك لقــيط مالــه شــبهة الــولاء ولــن يتعــدى طــور أبنــاء جنســه

فيقول ربنا ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الزمر: ٦٧] والضمير هاهنا الواو يعود على المشركين ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ﴾ [الحج:٧٤] والقدر بمعنى التعظيم كما قال ربنا: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ [نوح: ١٣- ١٤] وذلك أن المشركين ما عظموا الله حق تعظيمه إذ أنهم دعوا الأصنام هبل ومناة والشعرى وهكذا أيضا الذين يقولون: يا ابن علوان ويا خمسة ويا هادياه ويا جناه هؤلاء ما قدروا الله حق قدره إذ أنهم تنقصوا أرحم الراحمين وهذا دليل على خفة عقولهم فهؤلاء الذين تدعونهم هم مخلوقين إما أشجار أو أحجار أو أتربة أو تمر أو صمغ أو شجر أو من بني آدم،الله ﷻ هو الذي خلقهم كيف تدعونهم من دون الله وهم مخلوقون مربوبون لا يملكون شيئا من النفع ولا يستطيعون أن يدرؤوا عنكم شيئا من الضر قال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥- ٦] فهؤلاء الذين يدعون يعادون أولئك الذين كانوا يهتفون بأسمائهم في هذه الدنيا.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧] قبضة الله كما قال ﷻ: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وهذا دليل على عظمة الله وقوته وقهره لخلقه والأرض جميعا قبضته الأرض بما فيها من الجبال والأتربة والبحار بما فيها من كل شيء

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] نزه الله ﷻ نفسه ورفع من شأنه ﷻ بقوله: ﷻ عما يشرك هؤلاء الظالمون الذين يدعون غيره وهو الذي خلق العالمين أجمعين.



عن ابن مسعود ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧][(١)].

وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله[(٢)].

وفي رواية البخاري: ويجعل السماوات على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع، أخرجاه[(٣)].

ولمسلم عن ابن عمر ﵄ مرفوعًا: «يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[(٤)].

وروي عن ابن عباس ﵄ قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي

---

(١) البخاري (٤٥٣٣) ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) مسلم (٢٧٨٦).

(٣) البخاري (٤٥٣٣).

(٤) مسلم (٢٧٨٨).

قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِي إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ» قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا الكُرْسِي فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، واللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شيءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ» أخرجه أبو داود وغيره(٢).



(١) تفسير الطبري (٣/ ٦).

(٢) ضعيف: أحمد (١٧٧٠) والحاكم (٣٤٢٨) انظر حديث رقم: ٦٠٩٣ في ضعيف الجامع.



ثم روى عن ابن مسعود ﵁ قال: جاء حبر والحبر هو العالم الكثير العلم يقال له: حبر ويقال له: بحر المعنى متقارب قال: جاء حبر من الأحبار إلى الرسول ﷺ فقال: يا محمد – لأنه كافر وليس بمؤمن وإلا فلا يجوز أن يدعى رسول الله باسمه مجردا قال سبحانه: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور: ٦٣] لا بد أن يدعى يا رسول الله يا نبي الله أو يا خليل الله فقال: يا محمد إنا نجد أي في التوراة أن الله يجعل السماوات على أصبع – فيه إثبات الأصبع لله ﷻ وقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**»[(١)] ثم قال النبي ﷺ: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»[(٢)] «**اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[(٣)] والأصبع واحدة الأصابع وهي مثلثة الأولى والثالثة أي االهمزة والباء ففيها تسع لغات كما قال الناظم:

وهمزة أنملة ثلث وثالثة   التسع في أصبع واختم بأصبوع

فقال: إننا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع والأرضين – يعني السبع الله خلق سبع سماوات طباقا ومن الأرض مثلهن، ومن اقتطع شبرا من الأرض طوقه إلى سبع أرضين والأرضين كلها يعني على أصبع – والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:٦] وسائر الخلق على

(١) صحيح: أبو يعلى (٣٦٨٨) وعبد الرزاق (١٩٦٤٦) انظر حديث رقم: ١٦٨٥ في صحيح الجامع.

(٢) الحاكم (١٩٢٦).

(٣) مسلم (٢٦٥٤).

أصبع فيقول: أنا الملك – والمراد بالملك ذو السلطان المتصرف بالملك كله ﷻ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩/ والمائدة: ١٧، ١٨/ والنور: ٤٢/ والجاثية: ٢٧/ والفتح: ١٤] وقال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١] ملك مطلق كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ [غافر:١٦] فيجيب الله نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] سبحانه.

فضحك النبي ﷺ موافقة لما قاله هذا وما كذبه ولا قال له: أنت يهودي لا يقبل منك هذا، هذا حق والفضل ما شهدت به الأعداء والإنسان يأخذ الحق ممن أتى به ولو من الشيطان الرجيم وقد قبل أبو هريرة النصيحة من الشيطان فضحك النبي ﷺ من هذه الخطبة الموجزة التي حصل فيها الموافقة لما عند النبي ﷺ من الإعتقاد ومن الوحي الصحيح حتى بدت نواجذه أي ظهرت أسنانه والنواجذ الأسنان التي في أقصى الحلق أقصى الأضراس تصديقا لقول الحبر ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧] يعني أنت يا عالم اليهود حينما تقول هذا وتعتقد هذا ونلقى هذا على النبي ﷺ هل لا كنت أحق الناس باعتقاده هل لا كنت أنت أولى الناس أن تعمل بهذا الخير وتوحد الله ﷻ دون أن تثبت له الشريك والند والمثيل ولكن النبي ﷺ قال هذا من باب الاستغراب والاستعجاب قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، أخرجاه يعني في الصحيحين.



ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله**» لفظة بشماله هذه شاذة تفرد بها عمر بن حمزة وهو ضعيف.

وروى عن ابن عباس قال: «**ما السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم**» وهذا ضعيف كما أفاده الدوسري في النهج السديد.

وقال ابن جرير وهو محمد بن جرير العالم الكبير قال حدثني ابن يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما السماوات السبع والكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**» وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**» وهذا صححه الشيخ الألباني كما في الصحيحة.

وعن ابن مسعود قال: «**بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ولا يخفى عليه شيء منأعمالكم**» أخرجه ابن مهدي يعني عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عاصم عن ذر عن عبد الله يعني ابن مسعود والحديث يقول محمد بن عبد الوهاب قال: ورواه بنحو المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال الذهبي رحمه الله: وله طرق، والحديث حسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما في مختصر العلو وكذلك أيضا صححه ابن القيم كما في اجتماع الجيوش الإسلامية وكذلك أيضا صححه الدوسري كما في النهج السديد أسأل الله تعالى بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن

يميتنا على التوحيد وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يجعل القرآن حجة لنا لا علينا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧].

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكر ذلك للنبي ﷺ صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين وأن السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «كخردلة في يد أحدكم».

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.



الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة.

والله أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الفهرس





فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة





